الدولة الميتانية

دراسة في التاريخ السياسي والحضاري

أطروحة تقدم بها الطالب

جمال نـدا صالح السلمـاني

إلى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة

في التاريخ القديم

إشراف

الأستاذ الدكتور

أحمد مالك الفتيان

1431 2010

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
قائمة المحتويات	أ–ب
قائمة المختصرات	ت–ث
المقدمة	1–6
الحوريون الخلفية التاريخية والجغرافية	7–18
اولاً: مدخل	8–10
ثانياً : التسمية	11–15
ثالثاً : الاصل والموقع الجغرافي	16–18
الفصل الأول: الهجرات الحورية ومناطق الاستقرار	19–52
المبحث الأول: الهجرات الحورية خلال النصف الثاني من الألف الثالث ق.م .	20–32
أولاً: الهجرة الحورية خلال العصر الأكدي (2371–2230 ق.م)	21–24
ثانيا: الهجرة الحورية خلال عصر سلالة أور الثالثة السومرية(2113–2004 ق.م)	24–32
المبحث الثاني: الهجرة الحورية خلال النصف الأول من الألف الثاني (2000–1500 ق.م)	33–51
الفصل الثاني: التطورات السياسية ما بين (1650–1500 ق.م) وقيام دولة ميتاني	52–83
مقدمة عن الوضع السياسي لمنطقة الشرق الأدنى القديم من النصف الثاني من القرن السابع عشر حتى نهاية القرن الثالث عشر ق.م، وأثره على كيان الدولة الميتانية .	53–56
المبحث الأول: بدايات قيام البنية السياسية الحورية	57–65
المبحث الثاني: قيام دولة ميتاني	66–73
المبحث الثالث: ميتاني من الدولة إلى الإمبراطورية	74–83
الفصل الثالث: الإمبراطورية الميتانية والعلاقات مع دول الشرق الأدنى القديم خلال القرن الخامس عشر ق.م	84–111
المبحث الأول: العلاقات الميتانية المصرية	85–89
المبحث الثاني : التحرك الميتاني بعد انتهاء الحملة الثامنة لتحوتمس الثالث	90–93
المبحث الثالث: العلاقات الميتانية مع بلاد آشور وسوريا	94–100
أولاً: التطورات السياسية الداخلية للدولة الميتانية بعد عهد باراتارنا	94–96
ثانياً: السيطرة الميتانية على بلاد آشور خلال العصر الآشوري الوسيط	96–99
ثالثاً: استعادة الهيمنة الميتانية على مناطق شمال غرب الفرات في سوريا.	99–100
المبحث الرابع: العلاقات الميتانية الحثية	101–106

الموضوع	الصفحة
المبحث الخامس: الانتشار الحوري الجديد خلال القرن الخامس عشر ق.م	111-107
الفصل الرابع: العلاقات الميتانية مع دول الشرق الأدنى القديم خلال القرن الرابع عشر ق.م وانهيار دولة ميتاني	167-112
المبحث الأول: التطورات السياسية بين دولة ميتاني والدولة الحثية والمصرية خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر ق.م	118-113
المبحث الثاني: الملك الميتاني توشراتا والتطورات السياسية	133-119
أولا: التطورات السياسية الداخلية لدولة ميتاني بعد وفاة شوتارنا الثاني	121-119
ثانيا: العلاقات الميتانية مع مصر والحثيين في عهد توشراتا	133-121
المبحث الثالث: الآثار السياسية المترتبة على انهيار الدولة الميتانية	143-134
أولاً: استقلال بلاد آشور	137-134
ثانيا: التطورات السياسية لدولة ميتاني بعد وفاة توشراتا	143-137
المبحث الرابع: خانيجلبات	167-144
أولا: اصل التسمية	146-144
ثانيا: تاريخ خانيجلبات السياسي	162-146
ثالثا: آخر الآثار	167-162
الفصل الخامس: حضارة ميتـانـي	223-168
المبحث الأول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية	179-169
المبحث الثاني: اللغـة	182-180
المبحث الثالث: الديانـة	184-183
أولاً: الآلهة الحورية	193-184
ثانياً: الأساطير الحورية	197-194
ثالثاً: العبادات الحورية	204-198
المبحث الرابع: الفن (نحت، أختام، فخار، عمارة)	211-205
المبحث الخامس: تأثيرات الحضارة الحورية على الحضارات القديمة	223-212
الخاتمة	231-224
الملاحق	241-232
قائمة المصادر	252-242
الملخص باللغة الانكليزية	A-C

المقدمة

تعد الدولة الميتانية واحدة من القوى الكبرى التي أدت دوراً سياسياً بارزاً في منطقة الشرق الأدنى القديم، خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، إذ كانت منافساً خطيراً لكل من الدولة المصرية والحثية والآشورية للسيطرة على منطقة بلاد الشام خلال هذه المدة . ويشكل تأريخ هذه الدولة جزءاً من تاريخ أكبر هو تاريخ شعب عرف بالشعب الحوري الذي يمثل النسبة الأعظم من سكان دولة ميتاني، وقد بدأ تاريخ هذا الشعب عندما ارتحل من موطنه الأصلي إلى بلاد الرافدين وسوريا في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد واتخذهما موطناً جديداً.

وعلى الرغم من أن جزءاً كبيراً من تاريخ الحوريين كان عبارة عن دويلات متفرقة عرفت جميعاً تحت اسم بلاد حوري، إلا أنه مع مطلع القرن الخامس عشر قبل الميلاد، اتحدت جميع هذه الدويلات تحت قيادة فئة هي ليست حورية، وإنما هندوارية في دولة واحدة عرفت بدولة ميتاني، التي مركزها شمال سوريا ، وفي هذه المرحلة دخلت ميتاني مرحلة التنافس والصراع العسكري على منطقة بلاد الشام مع القوى القائمة آنذاك متمثلة بالحثيين والمصريين والآشوريين، وتمكنت من تأسيس إمبراطورية واسعة امتدت من جبال زاكروس شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً، و مع أن ميتاني هذه كانت قوة لا يستهان بها، إلا أنها لم تعمر طويلاً ، إذ انهار صرح الإمبراطورية بعد أقل من قرنين (القرن الخامس عشر والرابع عشر ق.م) بسبب الضربات التي تلقتها على يد الحثيين والمصريين ، لتتفرق بعدها الدولة الميتانية إلى دويلات حورية متعددة. وتقلص نفوذها كثيراً حتى أنها أصبحت تعرف باسم مملكة خانيكلبات نسبة إلى الرقعة الجغرافية التي كانت مقراً لدولة ميتاني ، وتنحصر أراضيها في المناطق الشمالية العليا والممتدة بين نهري الفرات ودجلة ومركزها منطقة مثلث الخابور أعالي سوريا، وقد قامت هذه المملكة على أنقاض دولة ميتاني ، ولم يدم تاريخها أكثر من قرن (القرن الثالث عشر ق.م).

حاولت خانيكلبات في هذه المرحلة، لم شمل ميتاني وإعادة أمجادها، إلا أنها سرعان ما طوقت بالقوة الآشورية، وما أن انتهى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، حتى ابتلعت آشور خانيكلبات تماماً، لينتهي بعدها أي دور للدولة الميتانية في منطقة الشرق الأدنى القديم على

الإطلاق. ومن جانب آخر فإن الحضارة الخصبة لميتاني قد امتازت بحيويتها وقدرتها على التأثير في مختلف الميادين، إلى درجة أنها انتقلت إلى أماكن مختلفة من العالم القديم، واستمر تأثيرها حتى بعد زوال دولة ميتاني.

إن ما تم تقديمه لا شك يعطي انطباعاً عن مدى الدور السياسي والحضاري الكبير الذي أدته ميتاني في منطقة الشرق الأدنى القديم. ولهذا فإن دراسة تاريخ هذه الدولة يأتي في مقدمة المواضيع المهمة التي تقتضي التقصي والبحث الأكاديمي. ومن هذا المنطلق جاء اختياري لموضوع الأطروحة، وتولدت لدي رغبة حقيقية في الكشف عن صفحات تاريخ ميتاني وشعبها الحوري من حيث أصوله وهجراته، وتأثيره السياسي، وحياته اليومية، وما أنتجه من حضارة أصيلة، كان لها القدرة على هضم المؤثرات الخارجية والاحتفاظ بشخصيتها الحضارية، وكيف مارست تأثيراً حضارياً على عدد من حضارات الشرق الأدنى القديم.

ومثل أية دراسة علمية تتعرض للمصاعب، فإن البحث في هذا الموضوع قد اقترن بصعوبات عديدة، أبرزها أن النصوص الميتانية التاريخية هي محدودة جداً، لاسيما أن عاصمة الدولة الميتانية ((واشوكاني)) لم يعثر عليها لحد الآن، وما وجد من تلك النصوص المتناثرة في مملكة ميتاني لا تفصل القول في الموضوع الذي تتحدث عنه.

وتمثلت الصعوبة الأخرى في أن ندرة النصوص التاريخية الحورية بشكل عام أدت إلى الاختلاف بين كثير من الباحثين المختصين حول وضع تسلسل زمني واحد وأرقام ثابتة لتواريخ الأحداث التي مر بها التاريخ الحوري إجمالاً.

كما أن أغلب المصادر التي تتعلق بموضوع الأطروحة كانت بلغات أجنبية، الأمر الذي تطلب جهداً ووقتاً للوصول إليها وترجمتها.

تمثلت المشكلة الأخرى، في أنه خلال عصر ميتاني وبعدها خانيكلبات (1500-1200 ق.م)، وهي مرحلة التنافس والصراع مع الحثيين والمصريين والآشوريين، فإن جل معلوماتنا عن ميتاني تأتي من المصادر الحثية والمصرية والآشورية، لكن المشكلة أن هذه المصادر كانت تتبنى في أحيان كثيرة وجهة نظر أصحابها المعادين لميتاني، لهذا فهي

لطالما كانت تأتي بمعلومات غير دقيقة، ولا تمثل الحقيقة الكاملة على أرض الواقع, لاسيما فيما يتعلق بالمبالغة في نتائج المعارك.

لكن على الرغم من كل هذه المشاكل ، إلا أننا حرصنا في التغلب عليها، وإعداد هذا البحث وفق منهج علمي تاريخي، بهدف الحفاظ على وحدة الموضوع، طبقاً لتسلسل زمني عند عرض الأحداث، وذلك من خلال الاستعانة بالمصادر المعاصرة للتاريخ الميتاني، سواء من بلاد الرافدين وسوريا، التي بدأت تزودنا بالمعلومات منذ هجرة الحوريين، أو المصادر الحثية والمصرية فيما بعد. ثم تحليل تلك المعلومات ومقارنة بعضها مع البعض حتى الوصول إلى المعلومة الأقرب قدر الإمكان إلى الواقع التاريخي.

اعتمدت الأطروحة على المصادر والمراجع الآتية:

أولاً: ترجمات ألواح النصوص المسمارية من بلاد الرافدين، وتشمل النصوص السومرية (سلالة أور الثالثة) و الأكدية ، والبابلية (العصر البابلي). ومن سوريا (نصوص ماري، والالاخ، وحلب وغيرها).

وقد أفادت هذه النصوص بما قدمته من معلومات عن ميتاني معظم فصول الأطروحة، لاسيما المدخل والفصل الأول، التي أغنتها بالمعلومات الرئيسة. علماً أن ترجمات هذه النصوص قد وجدت متوزعة في ثنايا عدد من المصادر الأجنبية وفي بعض من المصادر العربية .

ثانياً: النصوص الحثية القديمة التي وجدت ترجماتها أيضاً في عدد من المصادر الأجنبية وبعض من العربية، وهي لا تختلف في أهميتها عن السابقة بما قدمته من معلومات رئيسة عن ميتاني في جميع فصول الأطروحة، ولعل أبرزها تلك المتعلقة بالصراع بين دولة ميتاني والحثيين والتي جاءت في الفصلين الثالث والرابع.

ثالثاً: رسائل تل العمارنة: كانت المصدر الرئيس في الفصل الرابع بما قدمته من معلومات واسعة عن العلاقات بين دولة ميتاني من جهة ومصر ودول الشرق الأدنى القديم من جهة اخرى خلال القرن الرابع عشر ق.م، وقد وجدت ترجماتها منشورة في عدة كتب أجنبية، ومنها كتاب الأستاذ مرسير (Mercer) المعنون "رسائل تل العمارنة".

رابعاً: الكتابات الملكية الآشورية التي عدت المصدر الوحيد تقريباً الذي استقينا منه معلوماتنا عن عصر مملكة خانيكلبات. ولعل أبرز من قام بترجمة تلك الكتابات الأستاذ البرت كيرك كريسون (A. K. Grayson) في مؤلفه الكتابات الملكية الآشورية.

خامساً: ما وجد من النصوص الحورية سواء المتعلقة بالجانب التاريخي او الحضاري وإن كانت قليلة جداً بشكل عام ، إلا أنها كانت مصدراً مهماً ومكملاً لما تقدم. ولعل أبرز المصادر تخصصاً في قراءة النصوص الحورية وتحليلها، هو كتاب الحوريون والسوباريون للأستاذ جيلب (Gelb)، وكتاب تاريخ وحضارة الحوريين للأستاذ جيرنوت فيلهلم (Gernot Wilhelm).

سادساً: المصادر الحديثة التي تناولت التاريخ الميتاني سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وتشمل العديد من الكتب الأجنبية، وبنسبة أقل العربية، فضلاً عن الكتب المترجمة، والبحوث المنشورة في المجلات الأجنبية والعربية، وجميعها أفادت الأطروحة على قدر كل ما قدمه مصدر من معلومات.

سابعاً: الاستعانة ببعض الرسائل والأطاريح الجامعية، لاسيما تلك التي تناولت الأحداث السياسية لمنطقة الشرق الأدنى القديم خلال المدة المحصورة ما بين القرنين السادس عشر والثاني عشر قبل الميلاد، فكانت مرجعاً مهماً، لأن الميتانيين كانوا أحد أطراف تلك الأحداث.

اقتضت طبيعة الدراسة تقسيما إلى خمسة فصول مع مدخل، فضلاً عن المقدمة هذه والخاتمة ، وثلاث ملاحق .

اشتمل المدخل على التعريف بالحوريين وأصولهم.

أما الفصل الأول فقد تضمن استعراضا شاملاً ومفصلاً للهجرات الحورية، وذلك من خلال تقسيمه إلى مبحثين. المبحث الأول تناول الهجرة الحورية خلال العصر الأكدي، وعصر سلالة أور الثالثة، في حين تناول المبحث الثاني تاريخ الهجرة الحورية خلال النصف الأول من الألف الثاني ق.م.

وعالج الفصل الثاني التطورات السياسية خلال المدة المحصورة ما بين (1650-1500 ق.م) وقيام دولة ميتاني، وهو يتكون من تقديم وثلاثة مباحث. في المبحث الأول

تمت دراسة بدايات قيام البنية السياسية الحورية، في حين عالج المبحث الثاني قيام دولة ميتاني، بينما تكلمنا في المبحث الثالث عن تحول ميتاني من الدولة إلى الإمبراطورية.

وتناول الفصل الثالث علاقات الإمبراطورية الميتانية مع دول الشرق الأدنى القديم خلال القرن الخامس عشر ق.م، واشتمل على أربعة مباحث. تطرقنا في المبحث الاول الى العلاقات الميتانية المصرية اما المبحث الثاني فكان عن التحرك الميتاني بعد انتهاء حملة تحوتمس الثامنة في حين عالج المبحث الثالث تاريخ العلاقات الميتانية مع الآشوريين وسوريا وهذا ما تم دراسته في ثلاث فقرات ، الأولى عرضنا فيها التطورات السياسية الداخلية للدولة الميتانية بعد عهد باراتارنا ، أما الفقرة الثانية فكانت عن السيطرة الميتانية على بلاد آشور خلال العصر الآشوري الوسيط ، أما الفقرة الأخيرة فتناولنا فيها كيفية استعادة الهيمنة الميتانية على مناطق غرب الفرات شمال سوريا . أما المبحث الرابع فقد تطرق إلى موضوع العلاقات الميتانية الحثية، وخصصنا المبحث الخامس لمسألة الانتشار الحوري الجديد خلال القرن الخامس عشر ق.م.

أما الفصل الرابع فقد تطرق إلى علاقات الإمبراطورية الميتانية مع دول الشرق الأدنى القديم خلال القرن الرابع عشر ق.م، وانهيار ميتاني، حيث تألف من أربعة مباحث، تضمن المبحث الأول دراسة التطورات السياسية بين دولة ميتاني والدولة الحثية والمصرية خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر ق.م، وتناول المبحث الثاني العلاقات مع مصر والحثيين في عهد الملك الميتاني الشهير توشراتا، وانهيار دولة ميتاني. في حين كرس المبحث الثالث لدراسة الآثار السياسية المترتبة على انهيار الدولة الميتانية ، وهذا ماتم تناوله في فقرتين ، الاولى كانت عن استقلال بلاد آشور والثانية عن التطورات السياسية لدولة ميتاني بعد وفاة توشراتا .

أما المبحث الأخير فقد خصص لتناول تاريخ مملكة خانيكلبات،وقد تم عرض هذا الموضوع من خلال ثلاثة محاور ، المحور الاول كان عن اصل تسمية خانيكلبات ، والثاني تناولنا فيه تاريخ خانيكلبات السياسي ، أما الاخير فقد تحدثنا فيه عن آخر آثار الحوريون .

فضلاً عما تقدم، فقد اهتم الفصل الخامس من الأطروحة بالحضارة الحورية وإبراز منجزاتها وتأثيراتها في الحضارات القديمة الأخرى، وهذا ما تم عرضه في خمسة مباحث.

فالمبحث الأول تناولنا فيه الحياة الاجتماعية والاقتصادية عند الحوريين، وعالجنا مسألة اللغة في المبحث الثاني. بعد ذلك تمت دراسة الديانة الحورية في المبحث الثالث الذي احتوى عدة فقرات، الفقرة الأولى كانت عن الآلهة، والثانية تناولت الأساطير، بينما جاءت الفقرة الثالثة عن العبادات والشعائر الدينية. وكان الفن من نحت واختام وفخار وعمارة عنواناً للمبحث الرابع، أما المبحث الخامس فقد كرس لدراسة تأثيرات الحضارة الحورية المختلفة على الحضارات القديمة.

في النهاية اتبعنا فصول الأطروحة بخاتمة عرضت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث. فضلاً عن ثلاثة ملاحق، الأول عبارة عن جدول يضع بشكل متسلسل ملوك الدولة الميتانية كافة ، والملحق الثاني هو جدول أيضاً، لكنه جدول تعاصري للملوك الميتانيين مع ملوك بلاد الحثيين ومصر والآشوريين. أما الملحق الثالث فعبارة عن مجموعة من الصور والأشكال التي توضح بعض من المنجزات الحضارية للحوريين. هذا مع العلم أن هناك خرائط توضيحية قد وضعت في نهاية بعض من فصول الأطروحة، كي تكون دليلاً للقارئ في معرفة الأماكن والمواقع المهمة التي وردت أسماؤها في ثنايا الأطروحة.

في الختام أرجو من الله سبحانه وتعالى أن تشكل هذه الأطروحة إسهامة في حقل الدراسات القديمة، التي تهتم بتاريخ وآثار الشرق الأدنى القديم، وتكون قد كشفت عن تاريخ واحدة من دول الشرق الأدنى القديم، كما أرجو أن يتحول جهدي المتواضع هذا إلى مرجع مفيد قد يسد فراغاً ولو يسيراً في مكتبتنا العربية.

الحوريون الخلفية التاريخية والجغرافية

أولاً: مدخل

ظهر الحوريون في التاريخ خلال النصف الثاني من الألف الثالث ق.م في المنطقة الشمالية لبلاد الرافدين (شمال شرق نهر دجلة) وإلى حدٍ ما المنطقة الجنوبية، وأولى الدلائل لظهورهم كانت في أواخر العصر الأكدي، إذ كانوا ممثلين بأعداد قليلة، ثم ازدادت أعدادهم في عصر سلالة أور الثالثة السومرية (2113–2006 ق.م)، ومع بدايات الألف الثاني ق.م تدفق الحوريون بشكل واسع حتى أصبحوا يشكلون جزءً مهماً من التركيبة السكانية لشمالي بلاد الرافدين وشمالي سوريا[1].

وفي المدة التي سبقت الألف الثاني ق.م لم يتمكن الباحثون من التعرف على اسم الحوريين على الرغم من أن النصوص المسمارية سواء الأكدية أو السومرية قد احتوت على العديد من أسماء الأعلام الحورية لكنها صنفت ضمن الأسماء غير معروفة الأصل[2]، كما أن النصوص القصيرة والقليلة جداً العائدة إلى بعض أمراء وملوك الحوريين التي وجدت خلال هذه المدة، ودونت بلغة لم تكن معروفة بعد[3]، وعرفت فيما بعد بأنها لغة الحوريين لم يشر فيها إلى اسمهم أو اسم بلدهم الحقيقي الذي جاءوا منه[4].

لكن هذه العقبة لم تستمر حتى النهاية، إذ تم تحديد اسم هؤلاء القوم بعد ذلك الانتشار الواسع للحوريين خلال الألف الثاني ق.م، والدور السياسي والحضاري الذي أداه الحوريون خلال الألف الثاني. ويرجع الفضل في التعرف على اسمهم اولاً إلى النصوص

---

(1) Marc van De Miroop, A History of the Ancient Near East 3000-323 B.C (USA, 2004), P.116; L. Margret, "Syria 1550-1400 B.C," in CAH, Vol. I, Part. 2 (Cambridge, 1973), P. 417.

(2) Pioter Bienknowski and Alan Millard, Dictionary of Ancient Near East (Philadephia, 2000), P. 150; Mirjo Salvini, "The Earliest Evidences of Hurrians Before the Formation of the Reign of Mittanni" IN U. H. S. H. L. C. Vol, 26. Part. 3 (Malibo, 1998). P. 106.

(3) كانت اللغة الحورية قد استخدمت منذ أن دخل الحوريين بلاد الرافدين أواخر العصر الأكدي. ينظر: جيرنوت فيلهم، "النفوذ الحوري في حضارة سوريا خلال عصر البرونز"، بحث ضمن سلسلة وثائق الآثار السورية، ترجمة ميشيل المقدسي وآخرون (دمشق، 1996)، ص 233.

(4) Salvini, Op. cit.,. P. 107.

الكتابية الحثية. ففي عاصمة الحثيين حاتوشا[1] تم الكشف عن نصوص حثية، ونصوص كتبت بلغة لم تكن معروفة، وأخرى تضمنت معاهدات دولية كتبت باللغة الأكدية، وتبين من تلك النصوص والمعاهدات عن وجود بلاد اسمها خوري (Hurri) ، ويدعى سكانها بـ(الخوريين)، وإن هذه اللغة غير المعروفة تعود لهؤلاء القوم[2]. أما زمن هذه الوثائق فيعود إلى عصور مختلفة من التاريخ الحثي، علماً أن أقدم شواهد تسمية الحوريين تعود إلى العصر الحثي القديم (1650–1400ق.م)[3].

ثم تزايدت وبشكل مستمر عدد الشواهد التي أكدت صحة هذا الاسم، حيث تم الكشف عن المزيد من النصوص الحورية في حاتوشا، وماري، والالاخ، وايمار، وأوغاريت، ونوزي وغيرها[4] التي تم التعرف فيها على آلاف الأسماء الشخصية الحورية، وكل هذه النصوص وأسماء الأعلام كتب باللغة نفسها، وهي ذات صلة تامة مع لغة الخوريين (الحوريين) المكتشفة في حاتوشا، كما أنها تماثل من ناحية الصياغة اللغوية مع الأسماء الحورية الواردة في النصوص الأكدية والسومرية خلال النصف الثاني من الألف الثالث ق.م[5] ، فضلاً عن ذكر اسمهم في النصوص الكتابية التي اتت من مناطق الشرق الادنى القديم .

---

(1) الحثيون، من القبائل الهندواوربية التي استوطنت بلاد الأناضول مطلع الألف الثاني ق.م ويرجح الكثير من الباحثين على كون بلاد القفقاس هي الموطن الأصلي لهم، تمكنوا بعد مدة من وصولهم من تثبيت أنفسهم على حساب الأقوام التي كانت تسكن هذه المنطقة، وكونوا مملكة امتدت من وسط الأناضول باتجاه الجنوب حتى البحر المتوسط، وقد قسم العلماء تاريخ الحثيين إلى حقبتين زمنيتين هما المملكة الحثية القديمة (1650–1400ق.م)، والمملكة الحثية الحديثة (1400–1207ق.م).

ينظر: سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق الأدنى القديم (إيران والأناضول) (بغداد، د.ت)، ص ص 239–243؛ هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان (الموصل، 1979)، ص 91؛ صلاح رشيد الصالحي، المملكة الحثية، ط 1 (بغداد، 2007)، ص 93 وما بعدها.

(2) Gernot Wilhelm, Grundzuge der Geschichte und Kulture der Hurriter (Darmstadt, 1982), PP, 2-3.

(3) Ibid., P. 3.

(4) كل هذه المدن كانت من ضمن مناطق الاستيطان الحوري، وسيتم التعرف عليها لاحقاً.

(5) Wilhelm, Op. cit., P. 3.

وبعد ذلك جاء البرهان الأكيد عن الحوريين من خلال العثور على رسالة مؤلفة من 494 سطراً ضمن رسائل تل العمارنة[1]، كانت مرسلة من قبل أحد ملوك الدولة الميتانية يدعى توشراتا (1365-1335) إلى الفرعون امنحوتب الثالث(1387 _1350ق.م) وباستثناء مقدمة الرسالة التي كتبت باللغة الأكدية فإن باقي الرسالة كتبت بلغة مشابهة لكل النصوص المشار إليها سلفاً، فضلاً عن أن توشراتا عرف نفسه في هذه الرسالة بأنه ملك (ميتاني)، وميتاني هو الاسم الذي عرفت به بلاد حوري خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م، وفي رسائل أخرى كتبت باللغة الأكدية يلقب نفسه بملك ميتاني وملك بلاد حوري[2]، وبذلك أصبح من المؤكد وبشكل لا يقبل الشك أنه هناك شعب اسمه حوري[3].

ثانياً: التسمية

---

(1) رسائل تل العمارنة عبارة عن مجموعة رسائل تزيد على 350 رسالة تبادلها حكام الدويلات السورية والملوك الميتانيين والحثيين والاشوريين والكاشيين مع اثنين من فراعنة المملكة المصرية الحديثة (1570-1080ق.م) هما امنحوتب الثالث (1387-1350 ق.م) ثم ابنه امنحوتب الرابع (اخناتون) (1350-1334ق.م)، وكل هذه الرسائل كتبت بالخط المسماري واللغة الأكدية، ما عدا ثلاثة رسائل واحدة كتبت بالحورية ومحفوظة تحت الترقيم EA 24، واثنان بالحثية تحت الترقيم EA 31-32 ، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى تل العمارنة الواقع في منطقة أسيوط بمصر (وقديماً هي مدينة اختاتون عاصمة اخناتون الدينية). ينظر:

A. Gianto, "Amarna Akkadian As Contact Language", in Languages and Cultures in Contact (Leuven, 1999), PP. 123-125.

(2) Wilhelm, Op. cit., P. 2; S. A. Mercer, The Tell El- Amarna ,vol. 1 (toronto, 1939), PP. 63-67.

(3) إن القراءة الصحيحة هي خوري بتشديد الراء، ولكن الصيغة التي استخدمت هنا هي التسمية الشائعة في معظم الدراسات سواء العربية أو الأجنبية.

أطلقت تسمية حوري (Hurri)، وبلاد الحوريين (Hurrian) في العهود القديمة على المناطق التي تمركز فيها الحوريين في شمالي بلاد الرافدين، وشمالي سوريا[1]، مع الأخذ في الحسبان أن جماعات حورية قليلة انتشرت في مناطق جنوب سوريا، وفلسطين، وجنوب شرق الأناضول، وجنوب بلاد الرافدين، وهي تختلف في أعدادها بين منطقة وأخرى من هذه المناطق.

إن مصطلح حوري الذي أطلقه الحوريون على أنفسهم لم يحدد معناه على وجه الدقة ، لكن في أغلب الاحتمالات أن كلمة حوري (خوري) لها علاقة مع كلمة خورادي (Huradi) التي تعني "الجندي اليقظ" في اللغة الحورية[2]، وذلك لأن الجذر (Hur) هو شائع الاستعمال في أسماء العلم والمدن الحورية[3] ، ويدل على معان من الإطار الحربي فعند ربطه مع المقطع دي (di) الذي يلحق عادة بأسماء الأشخاص يكون المعنى المتحقق الجندي اليقظ أو العسكري الحارس، وهو معنى مناسب جداً بأن يوصف به شعب كامل[4].

ومن جانب آخر فقد ورد اسم الحوريين في النصوص الحورية، وغيرها من النصوص القديمة بصيغ عديدة فالحوريون كتبوا اسم بلدهم بأكثر من صيغة، لكنها متقاربة من ناحية اللفظ، منها خوري وهي صياغة باللغة الأكدية[5]، وخوروخ (Hur-wu-he)[6]، وخورّوخ بتشديد الراء (Hur-ru-he)، وهنايمكن لفظ حرف (w) في الكلمة السابقة بالحرف (R) ، فيكون للصيغتين الأخيرتين نفس القراءة[7]، وحمل أحد الألواح الحورية في مدينة نوزي (Nuzi) صيغة خوروم Hur-ru(m)[8]. ونعتقد إن هذا الاختلاف البسيط في اللفظ لا يتعدى كونه اختلاف في لهجة كتاب النص الحوريين.

أما النصوص الحثية فكانت تستخدم الصيغة خورلا (Hur-la)، أو خورليلي (Hur-li-li) المشتقة أصلاً من كلمة خورلا وتعني الحوريين[9]، ويستخدم الحثيين أيضاً الصيغة الأكدية خوري[1].

---

(1) جيرنوت فيلهلم، المصدر السابق، ص 233.

(2) Wilhelm, Op. cit., P. 1.

(3) I. J. Gelb, Hurrians and Subarians (Chicago, 1944), P. 51.

(4) Wilhelm, Op. cit., P. 1.

(5) لقد استخدم الحوريين إلى جانب لغتهم اللغة الأكدية بخطها المسماري. ينظر: Gelb, Op. cit., P. 50.

(6) Michael C. Astour, "Hattusilis Halab and Hanigalbat", in Jnes, Vol. 31, Part. 2 (Chicago, 1972), PP. 103-105; Wilhelm, Op. cit., P. 3.

(7) Gelb, Op. cit., P. 50.

(8) Ibid,. P. 50.

(9)Gelb, Op. cit., P. 50; Wilhelm, Op. cit., P. 3.

وقد أطلقت المدونات المصرية منذ عصر الأسرة الثامنة عشر (1570–1306 ق.م) على بلاد حوري المصطلح نهري (Nahri)، ونهرينا (Nahrina)، ونهرين (Nahryn)[2]، وهي كلمة مشتقة أصلاً من المفردة الأمورية الغربية نهاريم (Naharim) التي تعني الأنهار[3]، أما المفردة المصرية هذه فتعني نهرين معينين[4].

وفي الواقع أن هذه التسمية المصرية لا تعني أرض بلاد حوري بالكامل وإنما الأراضي الواقعة بالقرب من مناطق النفوذ المصري في سوريا أيام المملكة المصرية الحديثة(1570–1080ق.م)، وتمتد تقريباً من بداية الشمال السوري إلى أعالي سوريا، أي من حوض نهر العاصي[5] إلى الفرات[6]، وبذلك فإن كلمة نهرينا[7] المصرية تعني مناطق الحوريين المحصورة بين العاصي والفرات[8]، و تدخل ضمنها الأراضي التي تقع أعلى الفرات (الجهة الشرقية) وبمحاذاته باتجاه نهر الخابور، وهذه كانت من ضمن الأراضي التي استقر فيها الحوريون، ثم أصبحت مركز الدولة الميتانية التي قادت الشعب الحوري، وأخذت تنافس المصريين في السيطرة على شمال ووسط سوريا خلال عصر الأسرة الثامنة عشر المصرية. هذا فضلاً عن أن عدد قليل جداً من المصادر المصرية في عصر الأسرة الثامنة

---

(1) Gelb, Op. cit., P. 50.

(2) Astour, Op. cit., P. 103; J.J. Finkelstein, "Mesopotamia", in JNES, Vol. 21 (1962), P. 73 ff; عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ط 4 (القاهرة، 1990)، ج 1، ص 61.

(3) جورج رو، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين (بغداد : دار الحرية للطباعة والنشر ، 1984)، ص 612 هامش 3؛ Finkelstein, Op. cit., P. 81.

(4) عبد العزيز صالح، المصدر السابق، ص 62.

(5) العاصي: يسمى قديما الاورنت ويعرف بنهر حماة وحمص، و ينبع من بحيرة قدس ويصب في البحر المتوسط وسمي هكذا لأنه يجري عكس أنهار سوريا من الجنوب إلى الشمال ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، م 4 (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1995)، ص 67.

(6) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، ط2 (دمشق، 1994)، ص 164.

(7) كانت الكتابات المصرية في عصر الأسرة الثامنة عشر تشير إلى الملوك الميتانيين في هذه المنطقة باسم ملك أو أمير "نهرين"، ومن ذلك مثلاً أن واحدة من رسائل تل العمارنه التي بعثها الملك الميتاني توشراتا إلى الفرعون امنحوتب الرابع جاء في نهايتها ملاحظة مكتوبة باللغة المصرية القديمة أضافها الناسخ المصري معرفاً إياها (أي الرسالة) بأنها من ملك "نهرين". ينظر: Gelbe, Op. cit., P. 75.

(8) جورج رو، المصدر السابق، ص 612 هامش 3.

عشر قد ذكرت اسم الحوريين بهيئة خورو (Huru) كشعب يسكن سوريا وفلسطين بشكل عام[1].

أما بالنسبة لبلاد الرافدين فإن النصوص المسمارية سواء الأكدية أو السومرية أو البابلية أو الآشورية (العصر الآشوري القديم)، لا توجد فيها إشارة واضحة إلى اسم بلاد حوري، والحوريون على الرغم من أنهم قد وجدوا في هذه المنطقة منذ أواخر العصر الأكدي، وأن كثيراً من الأسماء والكلمات الحورية قد وردت ضمن هذه النصوص، ويبدو أن سبب ذلك هو أن تلك النصوص باستثناء الآشورية قد عرفت المنطقة الشمالية التي يسكنها الحوريون باسم سوبارتو (Subartu)[2] نسبة إلى الأقوام السوبارتية التي سكنت هذه المنطقة قبل الحوريين والآشوريين على الرغم من أن هذه الأقوام قد هاجرت أصلاً قبل استقرار الحوريين، لكنها بقيت تمثل وصفاً جغرافياً لسكان المنطقة الجنوبية من بلاد الرافدين. أما النصوص

---

(1) فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق (بيروت، 1982)، ج 1، ص 164.

(2) السوباريون: هم أحد الأقوام الجبلية التي هاجرت إلى المنطقة الشمالية من بلاد الرافدين منذ أبعد العصور التاريخية قبل قدوم الآشوريين ومن ثم الحوريين، وتوزع استيطان هذه الأقوام في المنطقة الشمالية، وشمال شرقي نهر دجلة إلى جبال زاكروس (المنطقة الشمالية الشرقية) من بلاد الرافدين وأعالي منطقة الجزيرة بحسب ما ورد من أخبار عنهم في النصوص السومرية والأكدية، ووفق هذا التوزيع الجغرافي فإن مناطقهم بصورة عامة تمتد من جبال زاكروس شرقا إلى نهر الخابور (خابور الفرات) غرباً، وبعد هجرة الآشوريين إلى المنطقة الشمالية من بلاد الرافدين أخذوا يشكلون ضغطا قويا على السورباريين منذ النصف الأول من الألف الثالث ق.م حتى تمكنوا من إزاحتهم إلى المناطق الجبلية المجاورة خارج حدود بلاد آشور، أما الباقي منهم فقد اندمج مع الآشوريين. وبعد مدة من هجرة الآشوريين بدأت الهجرات الحورية تتدفق إلى المناطق الشمالية الشرقية العليا من بلاد الرافدين (الثلث الأخير من الألف الثالث ق.م) والتي كانت سابقاً هي مناطق السوباريين، ثم أخذ الحوريين شيئاً فشيئاً ينتشرون في المناطق الشمالية المختلفة في بلاد الرافدين. لكن على الرغم من هذه التغييرات العرقية إلا أن السومريين والأكديين استمروا يشيرون إلى هذه المنقطة باسم سوبارو أو سوبارتو كمصطلح جغرافي. كذلك النصوص البابلية وحتى عهود متأخرة ظلت تستخدم مصطلح بلاد سوبارتو والسوباريين كمرادف لبلاد آشور والآشوريين ولم يعرف أصل هؤلاء السوباريين ولا المنطقة التي قدموا منها، فهم لم يخلفوا آثار مادية مهمة، كما أن ما تبقى من لغتهم هو نزر يسير عبارة عن أسماء شخصية وأسماء أمكنة ومدن وآلهة. وكانت بلاد سوبارتو التي يعود أقدم ذكر لها منذ عصر فجر السلالات مصدرا للعبيد والعمال عند سكان جنوب بلاد الرافدين سواء السومريين أو الأكديين أو البابليين، ولما كانت بلاد سوبارتو مصدرا للعبيد فإن الآشوريين كانوا ينزعجون من إطلاق هذه التسمية على بلادهم، وهم أنفسهم كانوا يتحاشون استخدام هذه التسمية إلا في نصوص قليلة لاسيما نصوص الفأل والتنجيم لما تحمله كلمة سوبارتو من دلالة شائنة كونها مصدر العبيد، لذلك فإن عدد من ملوك وأمراء بابل قد استخدموا كلمة سوبارتو لإطلاقها على الملوك الآشوريين بقصد الاستخفاف بهم. وقد ورد ذكر السوباريين في النصوص السومرية تحت صيغة سوبير (Subir) أو شوبير أو سوبار Subar ، وفي النصوص الأكدية باسم سوبارتو Subartu ، وأصبحت تعرف فيما بعد باسم شوبارو وشوبارتو، وفي نصوص العصر الآشوري الحديث وردت تحت صيغة شوبريا Supria. ينظر:
Pioter Stenkleller, "The Historical of Background of Urkesh and the Hurrian Beginnings in Northern Mesopotamia" in U.H.S.H.L.C (Malibu, 1998), PP. 75-89; Gelb, Op. cit., PP. 1-17; E. speiser, "Hurrian and Subarian", in JAOS, Vol. 68 (1948), PP. 2-10.

الآشورية في العهد الآشوري الوسيط[1]، وتحديداً جزء منه (1353-1197ق.م) فقد أطلقت على جزء من بلاد حوري اسم خانيجلبات (خاني – جلبات)، وهو اصطلاح جغرافي يشمل المنطقة الواقعة بين منعطف نهر الفرات[2] والمجرى العلوي لنهر دجلة ومركزها منطقة مثلث ينابيع الخابور في أعالي سوريا[3]، وقد كانت خانيكلبات في هذا الوقت من التاريخ الآشوري عبارة عن مملكة ظهرت بعد أنهيار ميتاني ، ثم اصطدمت مع الآشوريين للدفاع عن موطنها في أعالي سوريا. علماً أن هذا المصطلح قد استخدم في نصوص أخرى غير آشورية للإشارة للمنطقة نفسها كما سنبين لاحقاً.

وتجدر الإشارة إلى أنه من عصر فجر السلالات السومرية (2900-2371 ق.م) وردتنا قصة سومرية بعنوان "اينمركار وسيد اراتا" وهي تتحدث عن رحلة أحد أبطال الوركاء المدعو اينمركار[4] إلى اراتا Arata[5]، وبغض النظر عن تفاصيل هذه القصة فإن من بين ما جاء فيها "**أن اينمركار سيد الوركاء عقد العزم على القيام برحلة إلى اراتا بهدف أن يجعلها دولة تابعة له، ووصل إلى جبل حورم Hurum تصحبه مجموعة من رجال الوركاء ...**"[6]. وما يهمنا من هذا النص هو جبل حورم الذي يذكر الباحث كريمر في ضوء تحليل للنص أن هذا الجبل هو أحد الجبال الواقعة داخل الأراضي الحورية في موطنها

---

(1) قسم العلماء تاريخ الآشوريين وفقاً لأحداث سياسية معينة إلى ثلاثة عصور هي: العصر الآشوري القديم (2000-1521ق.م)، والعصر الآشوري الوسيط (1521-911 ق.م)، والعصر الآشوري الحديث (911-612 ق.م). ينظر: عامر سليمان، "العصر الآشوري"، ضمن كتاب العراق في التاريخ، تأليف مجموعة من الباحثين العراقيين (بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، 1983)، ص 124 وما بعدها.

(2) يقصد بمنعطف نهر الفرات هو ذلك الانحناء الكبير لهذا النهر الذي يقع عند مدينة كركميش، فعند دخوله الأراضي السورية عند مدينة طرابلس (كركميش القديمة) وبعد مسافة بسيطة يغير مجراه غرباً نحو البحر المتوسط مشكلاً ذلك الانحناء فيصل إلى مسافة لا تزيد عن مائة ميل عن البحر ثم يغير مجراه شرقاً باتجاه الأراضي السورية ليواصل مسيره فيها. ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986)،ج1، ص ص 45-46.

(3) Wilhelm, Op. cit., P. 42; Gelb, Op. cit., P. 75; جورج رو، المصدر السابق، ص 344.

(4) اينمركار هو أحد ملوك سلالة الوركاء الأولى السومرية التي حكمت في جنوب بلاد الرافدين خلال عصر فجر السلالات. ينظر: طه باقر، المصدر السابق، ص 308.

(5) اراتا: مدينة تقع في المنطقة الجبلية في الأجزاء الشمالية الغربية من ايران. ينظر: صموئيل نوح كريمر، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة فيصل الوائلي (الكويت: دار غريب للطباعة، 1973)، ص 289.

(6) صموئيل نوح كريمر ،مصدر سابق ، ص 397.

الأصلي[1]. وإذا كان ذلك صحيحاً فستكون هذه أقدم إشارة لذكر الحوريين وهم في بلادهم، كما يعني أن الحوريين كانوا معروفين لدى السومريين منذ عصر فجر السلالات، ولكن في كل الأحوال أن ذلك لم ينفعنا في التعرف على الحوريين عندما دخلوا بلاد الرافدين منذ أواخر العصر الأكدي للأسباب التي ذكرت سابقاً. وأخيراً فقد ورد اسم الحوريين في كتاب "العهد القديم" بصيغة حوريم (Horim)[2] من دون أن يوضح أصلهم[3].

---

(1)صموئيل نوح كريمر ، ص 397.

(2) التوراة، سفر التكوين، الإصحاح: 14: 16؛ سفر التثنية، الإصحاح، 2: 12.

(3) Wilhelm, Op. cit., P. 1.

ثالثـاً:

الأصل والموقع الجغرافـي

لم يصل علماء اللغات المختصون، والآثاريون إلى تحديد أصل الحوريين، فاللغة الحورية التي كتبت بالخط المسماري[1] لا صلة تربطها باللغات الهندواوربية أو الجزيرية وهذا ما أجمع عليه معظم الباحثين[2]، لذلك صنفت هذه اللغة أو هذا الشعب ضمن مجموعة الشعوب الغامضة غير معروفة الأصل[3]. وأقرب لغة لها هي اللغة الاورارتية الغير معروفة الاصل التي تكلم بها شعب اورارتو[4] القديم خلال القرنين التاسع والسابع ق.م[5]. إلا أن هذه القرابة لا تعني التماثل التام بين اللغتين وإنما هناك تشابه واضح، ويبدو أن هذا التشابه جاء كون أن هاتين اللغتين كانتا فرعين منفصلين من لغة أم، وهنا يقول الأستاذ جيرنوت فيلهلم المختص في الدراسات الحورية "أنه بعد الدراسات المتواصلة للغة الحورية ولهجاتها وفي ضوء نتائجها يمكن للمرء أن يقول وبكل تأكيد أن اللغة الاورارتية ليست متطورة عن اللغة الحورية، وإنما تشكل اللغتان فرعين منفصلين من لغة أم هي (اللغة الحورية الاورارتية المبكرة)، وقد استقلتا الواحدة عن الأخرى خلال الألف الثالث ق.م"[6]. وقد يكون ذلك معقولاً جداً إذا ما علمنا بأن منطقة الاورارتيين هي تقريباً نفسها المنطقة التي هاجر منها الحوريين.

أما الموطن الأصلي للحوريين وتحديده فلم يكن متفقاً عليه بشكل دقيق بين الباحثين، على أن خلافاتهم لم تكن بعيدة من ناحية جغرافية، كما أنهم أقروا جميعاً بأن الحوريين فرع

---

(1) كتب الحوريون لغتهم بالخط المسماري الذي اقتبسوه من سكان بلاد الرافدين بعد هجرتهم إلى هذه البلاد. ينظر: فاضل عبد الواحد علي، "الخط المسماري واللغة الأكدية"، مجلة مابين النهرين، ع 36 (الموصل، 1981)، ص 3.

(2) Bienkowski and Millard, Op. cit., P. 150; Salvini, Op. cit., P. 99; Gelb, Op. cit., P. 50; جبن بوترو، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان (الموصل: مديرية الكتب للطباعة والنشر، 1985)، ص 201؛ جورج رو، المصدر السابق، ص 317؛ سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم (بغداد، 1979)، ص 151.

(3) اندريه ايمار وجانين ابوايه، تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديم)، ترجمة فريد م واغرو فؤاد (بيروت، 1964)، ص 203.

(4) اورارتو: هي واحدة من الممالك القديمة التي تقع في المناطق الجبلية المحيطة ببحيرة وان شرقي تركيا، أصول شعبها غير معروف، وقد أصبحت مملكة قوية وأخذت تنافس الآشوريين في قوتهم خلال العصر الإمبراطوري الآشوري الثاني (744–612 ق.م)، حيث امتدت حدودها من بحيرة سيفان في أرمينيا إلى حدود شمال بلاد الرافدين، ومن بحيرة اورمية (شمال غرب ايران) إلى وادي الفرات الأعلى في تركيا. ينظر: جورج رو، المصدر السابق، ص 407؛ طه باقر، المقدمة، 1986، ج 2، ص ص 366–367.

(5) L. Margaret, op.cit., P. 418; هاري ساكز، عظمة بابل، ص 93؛ جورج رو، المصدر السابق، ص 317.

(6) Wilhelm, Op. cit., P. 6.

من الهجرات التي ارتبطت مواطنها الأولى بالمرتفعات الشمالية الشرقية لبلاد الرافدين . فالبعض منهم يرى أنهم من سكان المنطقة الجبلية المحيطة ببحيرة وان (شرقي تركيا)[1]، والتي كانت مقراً لمملكة اورارتو فيما بعد، والبعض الآخر يقول أنهم من المنطقة الجبلية المحيطة ببحيرة اورمية[2]، فهي من المناطق الجبلية القريبة من شمال شرق بلاد الرافدين، ومنها انحدروا إلى شمال بلاد الرافدين ثم إلى شمال سوريا[3]. بينما يرى فريق آخر أن موطنهم أراضي أرمينيا المرتفعة[4]. في حين يقول فريق رابع بأن الموطن الأصلي للحوريين هي المنطقة الممتدة من الجهات الشمالية والشرقية من بحيرة وان إلى حدود بحيرة أورمية[5]، ونرى أن التحديد الأخير هو الأقرب إلى الصواب، ولدينا بعض المعطيات التاريخية والدينية واللغوية ما قد يدعم ذلك.

فالحوريين بعد انهيار دولتهم على يد الحثيين في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ق.م، ومن ثم سقوط ما تبقى منها في أيدي الآشوريين في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر ق.م هرب القسم الأكبر منهم باتجاه هذه المنطقة[6]، ولعل لجوءهم إلى هذه المنطقة ما يؤكد أنها الموطن الأصلي لهم. من جانب آخر أن التقاليد الدينية الموروثة التي جلبها الحوريون من أقدم مواطنهم قد تبرر صلة الحوريين بتلك المنقطة، فهناك تشابه وإن كان قليلاً في المعتقدات الدينية الحورية والاورارتية ، فمثلاً كبير الآلهة الحورية (تيشوب) اله

---

(1) Margaret, Op. cit., P. 418;
انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان وآخرون (دمشق، 1967)، ص 202؛ أحمد رجيم هبو، تاريخ الشرق القديم (صنعاء: دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر، 1996)، ط 1، ص ص 75–76.

(2) تقع بحيرة اورمية في منطقة اذربيجان في الأقسام الشمالية الغربية من إيران. ينظر: طه باقر وآخرون، تاريخ ايران القديم (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1980)، ص 45.

(3) J. M. Munn. Rankin, "Shalmneser I and the Conquest of Khanigalbat", in CAH, Vol. II, Part.2(Cambridge, 1975),P.279;J.G.MaQueen. The Hittiets and their Contemporaries in Asia Minor (London, 1975), P. 20; فيليب حتي، المصدر السابق، ص 161.

(4) Stenkeller, Op. cit., PP. 96-97;
هاري ساكز، قوة آشور، ترجمة عامر سليمان (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، 1999)، ص 63؛ ي. أ. سبايزر، "العراق القديم نور لن ينطفئ"، بحث نشرته مديرية الفنون والثقافة الشعبية (بغداد، د.ت)، ص 11.

(5) Wilhelm, Op. cit., P. 67; William .W. Hallo and William. K. Simpson, The Ancient Near East (USA, 1998). P. 106;
روفائيل ميناس، "ارابخا ونوزي في التاريخ"، مجلة ما بين النهرين، ع 36 (الموصل، 1981)، ص 328؛ أحمد داود، تاريخ سوريا القديم، ط 1 (دمشق، 1986)، ص 194؛ فولكت هاس، "ملاحظات حول عشتار شاوشكا الحورية في نينوى في الألف الثاني ق.م"، سومر، م 35، ج 1–2 (1979)، ص 394.

(6) Hallo and Simpson, Op. cit., P. 106; Gelb, Op. cit., P. 81;
عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص 64–65؛ ينظر: ص(162– 166) من الأطروحة.

الطقس والجبال كان معروفاً عند الاورارتيين باسم تايشيبا[1]. كما أن اله الشمس الحوري شيميك كان يعبد في اورارتو باسم شيويني[2]. ويمكن إضافة ما جاء في قصة اينمركار وسيد اراتا المارة الذكر إلى المعطيات التاريخية، حيث يتحدث اينمركار عن جبل حورم وكأنه أحد الجبال القريبة من جبال اراتا الواقعة في الأقسام الشمالية الغربية من ايران، ولما كانت بحيرة اورمية تقع في الأقسام الشمالية القريبة من ايران فمن المعقول جداً أن جبل حورم يقع بالقرب من بحيرة اورمية، وبالتالي فإن جماعات من الحوريين كانت تسكن هناك.

لكن تبقى أهم الدلائل على الموطن الأصلي للحوريين هي صلة القرابة بين اللغتين الحورية والاورارتية.

ولا بد من القول هنا انه لا يوجد رابط تاريخي أو اجتماعي بين الحوريين والاورارتيين وإنما هناك رابط لغوي قديم يعود إلى الألف الثالث ق.م، وإن التشابه في بعض المعتقدات الدينية يعود إلى التقارب المكاني[3].

(1) Wilhelm, Op. cit., P. 84.
(2) Ibid., P. 87.
(3) Ibid., P. 87.

المبحث الأول

الهجرات الحورية خلال النصف الثاني من الألف الثالث ق.م

تمهيد:

الهجرات الحورية واحدة من الهجرات الكبيرة والمهمة التي نزحت من المناطق المحصورة بين بحيرة وان واورمية إلى بلاد الرافدين وسوريا بشكل رئيس، ولم تأتي تلك الهجرة بدفعة واحدة، وإنما عدة هجرات متقطعة وبتواريخ متباعدة بعض الشيء. فظهرت هذه القبائل أولاً بحسب النصوص المسمارية (السومرية والأكدية) في أعالي شمال شرق بلاد الرافدين خلال الثلث الأخير من الألف الثالث، وضمن الفترة نفسها وجدوا في مناطق شمال شرق نهر دجلة باتجاه جبال زاكروس ومنها بدأت أعداد منهم تتسرب إلى أجزاء مختلفة من البلاد ثم إلى أعالي منطقة الجزيرة[1].

وبحلول الألف الثاني ق.م تزايدت الهجرات الحورية حتى أصبح الاستيطان يشمل أجزاء كثيرة من منطقة شمالي بلاد الرافدين، وخلال هذه المدة زحف الحوريين أيضاً إلى شمال سوريا فأصبحت مدنها الشمالية والساحلية التي تقع على البحر المتوسط من المراكز الكبرى لاستيطان الحوريين، ومن شمال سوريا تسربت جماعات حورية إلى جنوبها، ثم إلى فلسطين، هذا مع العلم أن جماعات أخرى من الحوريين وإن كانت قليلة سكنت الأجزاء الجنوبية الشرقية من بلاد الأناضول.

لقد سلكت هذه القبائل طريقا سلمياً في الاستيطان لكنها في الوقت نفسه كانت تدافع عن نفسها من أجل البقاء. والواقع أن هذه القبائل لم تؤد دوراً سياسياً مهماً في المنطقة منذ نزوحها حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر ق.م، فمنذ هذا التاريخ الاخير دخل الحوريون إلى المعترك السياسي والعسكري مع دول الشرق الأدنى القديم للحفاظ على كيانها في شمالي سوريا، وشمالي بلاد الرافدين.

بقي أن نقول بأن للطبيعة الجبلية الصعبة التي كانت الموطن الأصلي للحوريين، وما يترتب على ذلك من صعوبة استغلالها بشكل واسع في الزراعة للحصول على المواد الغذائية دور في نزوح هذه القبائل للبحث عن مواطن أخرى توفر العيش الآمن والدائم لهم، على أن هذا لا يعني بأن تلك المناطق كانت خالية من الزراعة، فقد دلت الأبحاث الآثارية على أن الأراضي المنبسطة المتوفرة كانت تزرع

---

(1) يستخدم مصطلح الجزيرة بصورة عامة ليعني الأراضي الشمالية المحصورة بين دجلة والفرات. ينظر: طه باقر، المقدمة، ج1، ص 27.

بالحنطة والشعير، والسمسم، والكتان، كما كان يزرع العنب على سفوح الجبال للغذاء والحصول على الخمر[1].

أولاً: الهجرة الحورية خلال العصر الأكدي

2371–2230 ق.م:

تعد مناطق شمال شرق بلاد الرافدين، وحسب الأدلة الكتابية من أولى المناطق التي هاجر إليها الحوريون[2]، إذ تضيء أقدم المصادر من أواخر العصر الأكدي لتقدم لنا أولى الأدلة على الوجود الحوري في تلك المناطق، وذلك من خلال وجود الأسماء الشخصية الحورية التي تظهر لأول مرة في النصوص المسمارية العائدة للملك الأكدي نرام–سين (2291 – 2255 ق.م)[3].

تظهر هذه الأسماء وكأنها كانت منظمة في مدن أو قرى حورية صغيرة في المنطقة الممتدة ما بين شمال شرق نهر دجلة وجبال زاكروس، فجاء في إحدى النصوص التي تصف سنة من سنوات نرام – سين "**أنه عام كان فيه نرام سين منتصراً على أرض سوبارتو في ازوخينوم** Azuhinum **وأسر شخصاً يدعى تاخيش – اتال** Tahiš-atal"[4]. إن هذا الاسم هو اسم حوري واضح[5] ومن الأسماء الشخصية الحورية المتداولة[6]، أما ذكر بلاد سوبارتو فيقصد بها تسمية جغرافية للإشارة إلى المنطقة التي يسكنها السوبارتيين سابقاً، ولعل النص يؤكد ذلك بالقول "**منتصراً على أرض سوبارتو**"، وبالنسبة إلى ازوخينوم فلم يتعرف على موقعها بالضبط، لكنها تقع في منطقة شمال شرق نهر دجلة، ذلك لأن السوبارتيين كانوا يسكنون في هذه المنطقة[7].

الواقع أن ذكر النص لـ (تاخيش – اتال) يعني أن لهذا الشخص أهمية كبيرة وربما كان حاكماً لهذه المدينة، غير أن النص للأسف لم يمكن الاستفادة منه لمعرفة

---

(1) Munn-Rakkin, Op. cit., P, 279.
(2) Bienkowski and Millard, Op. cit., P. 150;
محمد أبو المحاسن عصفور، تاريخ الشرق الأدنى القديم (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1984)، ص 392.
(3) محمد أبو المحاسن عصفور، المصدر السابق، ص 392.
(4) Salvini, Op. cit., PP. 99-100.
(5) أن أسماء الأشخاص الحورية يمكن تمييزها بسهولة من قبل ذوي الاختصاص لأنها تحمل علامة تعريفية مميزة عن الأسماء الجزيرية أو الهندواوربية. ينظر: هاري ساكز، قوة آشور، ص 63.
(6) Steinkeller, Op. cit., P. 91.
(7) إن التسمية الجغرافية سوبارتو في النصوص الأكدية والبابلية لم تكن تشير دائماً إلى مناطق محددة بدقة في شمال بلاد الرافدين، بل كانت في الأصل تدل على جزء من منطقة شمال شرقي دجلة ثم اتسعت دلالتها لتشمل بلاد آشور وشمالي بلاد الرافدين كاملة. Wilhelm, Op. cit., P. 13.

ما إذا كانت هذه المدينة حورية بالكامل يحكمها تاخيش – اتال، أو أنها خليط من حوريين وسكان آخرين حكمت من قبل هذا الحاكم الحوري، فالمعروف أن المناطق الشمالية الشرقية من بلاد الرافدين شهدت استقرارا للآشوريين منذ مطلع الألف الثالث ق.م، فضلاً عن بقايا السوبارتيين الذين بقوا هناك بعد نزوح القسم الأكبر منهم إلى المناطق الجبلية المجاورة بفعل ضغط الآشوريين عليهم[1].

أيضاً نقرأ في سنوات حكم نرام–سين بأنه شن حرباً ضد الملوك الغزاة[2]، حيث ذهب إلى مكان يسمى كيراشينيوي (Kirašeniwe) ليقاتل "جيوش بلاد سيموروم (Simurum)"[3]. إن كيراشينيوى هي مدينة حورية بدلالة اسمها الحوري[4]، ويبدو أنها تابعة لسيموروم، وبما أن الأخيرة تقع على المجرى العلوي لنهر الزاب الأسفل[5]، فإن كيراشينيوي لابد من أنها تقع بالقرب من هذا المكان، كما يرد في هذا النص اسم ملك حوري يدعى بوتيم–اتال أو بوتيم–ادال (Puttim-atal)[6]، ويظهر من سياق النص أنه ملك كيراشينيوي، ولو أن ذلك لم يكن مؤكد تماماً. والحقيقة أن حملات نرام– سين العسكرية إلى تلك الجهات البعيدة عن أكد جاءت من أجل قمع الثورات الرامية إلى الانفصال عن الدولة الأكدية، فنرام–سين يعد تلك البلاد (الشمالية) جزءاً لا يتجزأ من بلاد أكد منذ أيام جده سرجون الأكدي[7]، والمهم أنه من المرجح جداً أن يكون الحوريون في هذه المنطقة قد

اشتركوا مع جيوش بلاد سيموروم للتخلص من السيطرة الأكدية[8]، ومن المرجح ان المقصود بجيوش بلاد سيموروم هم الآشوريون لأنهم هم الآن الأكثر انتشار في هذه المناطق.

وفي عهد الملك شار–كالي–شري (2254 – 2230 ق.م) خليفة نرام – سين نقرأ في أحد النصوص العائدة إلى فترة حكمة عن حاكم حوري اسمه نيريشخوخا (Nirišhuha)

---

(1) طه باقر، المقدمة، ج 1، ص ص 474–475.

(2) Gelb, Op. cit., P. 55.

(3) Steinkeller, Op. cit., PP. 93-94.

(4) W. Hallo, "Simurrum and the Hurrian Frontier", in RHA, Vol. XXXVI (1978), P. 72-73.

(5) Wilhelm, Op. cit., P. 14.

(6) بوتيم–اتال: من الأسماء الشخصية الحورية، الجزء الثاني منه (اتال) مشهور جداً في الأسماء الشخصية الحورية التي وجدت في مراكز الاستيطان الحوري المختلفة، أما الجزء الأول (بوتيم) فربما يرتبط بالكلمة الحورية بوتوكي Puttuki وتعني انجاز. ينظر: Salvini, Op. cit., P. 103.

(7) فاضل عبد الواحد علي، "الأكديون دورهم في المنطقة"، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع 24، (1979)، ص 195.

(8) للإطلاع على إنجازات نرام–سين العسكرية في هذه المنطقة ينظر: فوزي رشيد، نرام–سين، سلسلة الموسوعة الذهبية الثانية (بغداد: شركة المنصور للطباعة، 1990)، ج 1، ص 85 وما بعدها.

في مدينة اربائيلو (أربيل الحالية)[1]، لكن النص لا يعطي أكثر من ذكر هذا الاسم وكونه أحد الحكام في هذه المدينة.

أما في جنوب بلاد الرافدين فقد عثر على عدد قليل جداً من الأسماء الحورية[2]، ويبدو أنهم من أسرى الحروب التي قام بها نرام–سين في المنطقة الشمالية. هذا ومن الواضح أن الحوريين كانوا يتاجرون مع سكان المنقطة الجنوبية من بلاد الرافدين خلال هذه المدة، ففي مدينة نفر[3] عثر على نقش كتابي[4] يتضمن قائمة بأسماء عدد من الأثواب (ملابس) بعضها كتب باللغة الحورية سلمت من سيدة تدعى توبين (Tupin) إلى رجل حوري اسمه شيخرين ابري (Šehrin-Ipri)[5]. ويبدو أن السيدة هي من مدينة نفر أرسلت هذا اللوح إلى ذلك الرجل الحوري في الشمال لتعريفه بنوع التجارة التي أرسلت إليه، لكن الغريب أن هذا اللوح بقي في نفر، وهذا يعني أما أن وقع حادث أحال دون وصول التجارة إلى الشمال، أو أن هذا اللوح كان بنسختين.

على وفق هذه الصورة جاءت المعلومات عن الانتشار الحوري في بلاد الرافدين خلال أواخر العصر الأكدي، ومع كل الحالات التي تم فيها تحديد أماكن انتشار الحوريين بدقة أو بشكل تقريبي فإنها تضمنت المنطقة الممتدة من شمال شرق نهر دجلة إلى جبال زاكروس. وإن تنظيم الحوريين أنفسهم في قرى، وممارستهم التجارة مع جنوب بلاد الرافدين يعني أن التسرب الحوري الى شمال بلاد الرافدين قد بدأ قبل عصر نرام–سين بما لا يقل عن عقدين من الزمن ، ولا بد أنهم سكنوا أولاً المناطق الشمالية الشرقية العليا من بلاد الرافدين ثم نزلوا بعد ذلك إلى مناطق شمال شرق دجلة[6].

---

(1) Steinkeller, Op. cit., P. 94; Hallo, Simurrum and the Hurrian, P. 73.

(2) هاري ساكز، قوة آشور، ص 63.

(3) نفر: من مدن بلاد الرافدين القديمة تقع على بعد 45 ميل جنوب شرقي بابل، وبالقرب من مدينة عفك، واشتهرت بمكانتها الدينية المقدسة لسكان جنوب بلاد الرافدين حيث كانت مركز لعبادة الإله انليل (إله الهواء). ينظر: طه باقر، المقدمة، ج 1، ص 272.

(4) هذا النقش عبارة عن لوح من المرمر الأبيض، ومحفوظ الآن في جامعة بنسلفانيا. ينظر:
Salvini, Op. cit., P. 103.

(5) Wilhelm, Op. cit., P. 16; Michael March, Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near East (London, 2003), P. 108.

(6) يقصد بشمال شرق دجلة المنطقة الممتدة من شرق دجلة وشمال الزاب الصغير باتجاه أعالي بلاد الرافدين حتى حدود جبال زاكروس شرقا.

والى الشرق من بلاد الرافدين يبدو أن هناك تسرباً حورياً ذهب باتجاه غرب إيران ففي غضون نهاية العصر الأكدي أو بداية الاحتلال الكوتي[1] كان هناك ملك حوري يدعى كيكليب–اتال (Kiklip-atal) يحكم في مدينة توكريش (Tukriš) التي تقع في مكان ما شمال مدينة مارخش (تقع شمال غرب عيلام)[2]، وقد تم التعرف على ذلك من خلال نص شعائري ديني "حوري–حثي" اكتشف في العاصمة الحثية حاتوشا بعد عدة قرون[3]. وعدا هذه الإشارة فليس هناك أية معلومات أخرى عن سكن الحوريين في بلاد ايران، وربما حتى هذه الجماعة الحورية التي سكنت توكريش قد هاجرت فيما بعد إلى بلاد الرافدين.

ثانيا: الهجرة الحورية خلال عصر سلالة أور الثالثة السومرية (2113–2004 ق.م)

لقد تعرضت الدولة الأكدية خلال عهد الملك شار–كالي–شري إلى حالة من الاضطراب السياسي[4] أدت في النهاية إلى دخول الكوتيين بلاد الرافدين، والذين تمكنوا من إسقاط السلالة الأكدية الحاكمة سنة 2230 ق.م[5]، ويعد عهدهم الذي دام أكثر من قرن (2230–2120 ق.م) من العهود المظلمة في تاريخ حضارة بلاد الرافدين فلم يتركوا لنا مخلفات حضارية أو سجلات تاريخية يعتد بها[6]، لذلك لم نعرف شيئاً مدوناً عن الحوريين خلال هذه الفترة. ولكن من المفترض أن سقوط الدولة الأكدية قد فسح المجال لتدفق مجاميع حورية جديدة إلى منطقة بلاد الرافدين لاسيما الشمالية منها، ولعل هذا ما حدث فعلاً، فمع مطلع حكم سلالة أور الثالثة نفاجأ بقيام

---

(1) الكوتيين: قبائل متخلفة حضارياً تسكن المناطق الجبلية من زاكروس شمال شرق بلاد الرافدين، وكانت تتحين الفرص دوماً للهجوم على بلاد الرافدين من أجل السلب والنهب. ينظر: طه باقر، المقدمة، ج 1، ص 375.

(2) Gelb, Op. cit., PP. 55-57.

عيلام: واحدة من ممالك الشرق الأدنى القديم التي تقع في الأجزاء الغربية والجنوبية الغربية من ايران قدمت حضارة امتدت لآلاف السنين، وتعرف مناطقها في الوقت الحاضر باسم إقليم الأحواز أو عربستان أو خوزستان. لمزيد من التفاصيل ينظر:

W. Hins, The Lost World of Elam (London, 1974), P. 10 ff.

(3) Wilhelm, Op. cit., P. 19.

(4) عن هذه الأوضاع ينظر: طه باقر، المقدمة، 1986، ج 1، ص ص 373–374.

(5) A. Kuhrt, The Ancient Near East, 3000-300 B.C, Vol .1 (London, 1998), P. 56; طه باقر، المصدر السابق، ص374.

(6) H. Frankfort, Stratified Cylinder Seal from the Diylareglon (Chicago, 1955), P. 33.

أول مملكة حورية معروفة لدينا هي مملكة اوركيش (Urkiš) التي تقع في منطقة مثلث الخابور في الأجزاء الشمالية الشرقية العليا من سوريا[1].

كانت هذه من الدلائل الواضحة لعبور الحوريين إلى سوريا من مناطق شمال بلاد الرافدين، وهي بالوقت نفسه تعني أن الحوريين في العصر الكوتي كانوا قد انتشروا في أجزاء متعددة من شمال بلاد الرافدين حتى وصلوا إلى أعالي سوريا. فقد خلف لنا حام اوركيش الحوري الذي يدعى اتال–شين (Atal-šen)[2]، نقشاً كتابياً على لوح من البرونز مكتوب باللغة الأكدية[3]، ومما جاء في هذا النص الذي لم يحفظ بشكل كامل:

"**اتال–شين، الكاهن الفاضل، ملك اوركيش ونوار** Nawar**، ابن شاتار–مات** Šatar-mat **باني هيكل نركال**[4]**، هو الذي يدمر أعداءه، والذي يدمر هذا اللوح، ربما يزيل شمش وعشتار**[5] **ذريته، شاوم–شين** Šaum-sen **فعل هذا**"[6].

لا شك في أن هذا اللوح قد وضع في أساس معبد بني للإله نركال في اوركيش[7]، وكما هو واضح من النص فإن باني المعبد هو الملك الحوري اتال–شين ملك اوركيش، وهو ابن ملك حوري سابق اسمه (شاتار–مات)، كما أن كاتب النص يحمل اسماً حورياً ايضاً. وباستثناء الأسماء الحورية التي ذكرت سابقاً، فإن هذا النص يعد أقدم وثيقة عن أسرة حورية حاكمة. ومن جانب آخر يلاحظ الاهتمام بالإله نيركال مع إننا نعلم أنه أحد آلهة بلاد الرافدين، وهذا يعني التأثر الديني المبكر بآلهة بلاد

---

(1) J. Bottero, "Syria and Palestine 2160 -1780 B.C", in CAH, Vol. 1, Part. 2 (Cambridge, 1971), P. 565.
يقصد بمثلث الخابور المنطقة الواقعة بين مجريي نهري الخابور والفرات التي تشكل مثلثاً مقلوباً حتى يلتقي الخابور بالفرات. ينظر: تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا، الإنسان تجليات الأزمنة، تاريخ وحضارة بلاد الرافدين (الجزيرة السورية)، ط 1 (دمشق: دار الطليعة الجديدة، 2001)، ص 21.

(2) نذّكر أن الجزء الأول من هذه الكلمة "اتال" قد استخدم بشكل واسع في الأسماء الحورية لكن لا يعرف معناه.

(3) Salvini, Op. cit., P. 106.

(4) نيركال: هو إله العالم السفلي عند سكان بلاد الرافدين. ينظر: فوزي رشيد، "المعتقدات الدينية"، بحث ضمن كتاب حضارة العراق، تأليف مجموعة من الباحثين العراقيين (بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، 1985)، ج 1، ص 161.

(5) شمش (إله الشمس) وعشتار (إلهة الحب والجمال) أيضاً من معبودات سكان بلاد الرافدين. ينظر: فوزي رشيد، المصدر السابق، ص 158.

(6) Salvini, Op. cit., P. 106.

(7) Ibid., P. 106.
للأسف أن هذا اللوح لم يعثر عليه من خلال التنقيبات الآثارية وإنما حصل عليه متحف اللوفر بفرنسا من خلال تجار الآثار. ينظر: Salvini, Op. cit., P. 106.

الرافدين، فهم يعزون إلى هذا الإله نجاحهم السياسي في شمال بلاد الرافدين(1)، أما ذكر شمش وعشتار من دون الآلهة الحورية، فنعتقد فضلاً عن التأثر بهما ، فقد وضعا للحفاظ على اللوح من اعتداءات الأقوام الجزيرية المجاورة لهم التي كانت تعبد هذه الآلهة وتهابها.

وقبل ترك هذا الموضوع لا بد من معالجة مسألة مهمة وهي تحديد موقع اوركيش ونوار، إذ أن عدم العثور على ذلك اللوح خلال التنقيبات الأثرية أدى إلى اختلاف الباحثين في السابق في تحديد هذين الموقعين.

فأما اوركيش التي تعد لحد الآن أقدم المدن الحورية المرتبطة بأسرة حورية حاكمة واضحة، فقد ثبت وفقاً لأحدث المستجدات الآثارية بأنها موقع تل موزان (Tell Mozan) في الوقت الحاضر الذي يقع في أطراف شمال شرق سوريا (أعالي الجزيرة)(2)، أما قبل هذا الاكتشاف فإن آراء الباحثين متباينة حول تعيين هذا الموقع. وأرى أنه من المناسب عرض بعض من تلك الآراء. فالبعض وضع اوركيش إلى شمال شرق بلاد الرافدين بالقرب من أراضي الكوتيين(3)، في حين طابقها البعض الآخر مع تل عامودا (يسمى أيضاً تل شرمولا) الذي يقع على مسافة قصيرة من شمال مدينة عامودا(4)، وجاء هذا الاستنتاج بناءاً على كلام تجار الآثار الذين ادعوا بأن مصدر هذا اللوح هو مدينة عامودا السورية(5)، ونلاحظ هنا تقارب الموقع الجغرافي بين تل موزان وتل عامودا، وهذا يعطي دليلاً بأن مصدر ذلك اللوح يحوم حول هذه المنطقة. وأخيراً وضع بعض الباحثين اوركيش في منطقة مثلث الخابور لكن دون تحديد الموقع بدقة(6).

---

(1)Salvini, Op. cit., P. 106.

(2) يقع تل موزان على الضفة اليمنى لنهر الخابور على بعد 8 كم شرقي مدينة عامودا التي تقع أقصى شمال شرق سوريا بالقرب من الحدود السورية – التركية، وقد تأكدت البعثة الأمريكية برئاسة جيورجيو بوتشلاتي التي بدأت بالتنقيب في هذا التل منذ عام 1984 بأنها مدينة اوركيش المفقودة. ينظر:
Giorgo Buccellati, "Urkesh as Tell Mozan, Profiles of the Ancient City", in U.H.S.H.L.C, Vol.26, Part .3 (Malibo, 1998), P. 11 ff; Salvini, Op. cit., P. 108;
جيرنوت فيلهلم، المصدر السابق، ص 234.

(3) عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص 61.

(4) ماريو سالفيني، "قضية الحوريين بعلاقتهم مع مدينة كحت (تل بري)"، ترجمة بشير زهدي، مجلة الحوليات الآثارية السورية، ع 34 (دمشق، 1984)، ص 268؛ محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 164.

(5) Salvini, Op. cit., P. 107.

(6) Miroop, Op. cit., P. 116;
هاري ساكز، عظمة بابل، ص 93.

إن مطابقة تل موزان باوركيش تبرز دلالته من خلال العثور على العديد من طبعات الأختام التي وجدت في القصر الملكي بـ(تل موزان) والذي يعود لملك حوري سابق اسمه توبكيش (Tupkiš) وزوجته التي تحمل اسماً أكدياً هو اقنيتوم (Uqnitum)[1]، وقد استخدمت هذه الأختام لختم الجرار والسلال والحاويات الأخرى المخزونة في مستودعات القصر الملكي[2]. وتبين من خلالها أن للملك خمسة أختام[3]، والملكة ثمانية أختام مما يدل على وضعها المتميز[4].

ومما جاء على بعض أختام الملك العبارة الآتية التي كتبت بالخط المسماري واللغة الأكدية "توبكيش انذان اوركيش"[5]، وهنا اللقب (انذان) يعادل لقب ملك[6]، أما أختام الملكة فقد حمل بعضها العبارة الآتية "اوقنيتوم دام توبكيش" ويعني زوجة توبكيش[7]، وإلى جانب الملك والملكة فقد حددت هوية ثلاثة أشخاص آخرين من حاشية القصر الملكي من خلال الأختام العائدة لهم، وهم جميعاً يحملون أسماء حورية، فمثلاً مربية الملكة تدعى زامينا (Zamina) حسب ما جاء على ختمها "ختم زامينا مربية اوقنيتوم"[8]. والواقع أن هذه الدلائل تؤكد أن هناك قصراً ملكياً وعائلة ملكية حورية تحكم شعباً حورياً وإن كان قليلاً في اوركيش، كما تعني بأن اتال-شين هو أحد خلفاء توبكيش، وإن كنا لا نعلم درجة القرابة بينهما، وربما يكون جده والد أبيه (شاتار-مات). وعلى الأرجح إن حكم توبكيش كان خلال العصر الكوتي وربما في بدايته.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن الحوريين كانوا يصفون اوركيش بأنها أرض ومقر إلههم الرئيس "كوماربي" أبو الآلهة الحورية[9].

أما المدينة الثانية نوار التي يذكر اتال-شين بأنه يحكمها، فلم يتم التعرف على موقعها بصورة مؤكدة، غير أن أغلب الاحتمالات تطابق نوار مع الموقع المسمى

---

(1) جيورجيو بوتشلاني، "موزان اوركيش"، وثائق الآثار السورية، ترجمة ميشيل المقدسي وآخرون، ع 1 (دمشق، 1996)، ص 214؛ ليس من المؤكد ما إذا كانت اقنيتوم أكدية الأصل أم بالاسم فقط.
(2) تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا،المصدر السابق، ص 244.
(3) جيورجو بوتشلاني، المصدر السابق، ص 214.
(4) تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا، المصدر السابق، ص 244.
(5) جيورجو بوتشلاني، المصدر السابق، ص 214.
(6) Salvini, Op. cit., P. 105.
(7) Ibid., P. 105.
(8) جيورجو بوتشلاني، المصدر السابق، ص 215.
(9) و.ج. فان لير، "اوركيش المركز الديني الحوري"، ترجمة عدنان البني، مجلة الحوليات الآثارية العربية السورية، مجلد 7، ع 1-2 (دمشق، 1957)، ص 237.

"ناغار Nagar" المرجح كثيراً أنه يرقد في ثنايا تل براك الحالي[1]، والذي يقع جنوب اوركيش بمسافة قليلة[2]، والمهم أن ادعاء اتال–شين بأنه حكم اوركيش ونوار يعني أنه وحد هاتين المدينتين تحت سلطته، ومركز حكمه هي مدينة اوركيش، ومن ذلك عد بعض الباحثين بأن اوركيش هي أول عاصمة للحوريين، لاسيما أنها المدينة الحورية الوحيدة التي عرف لها عدد من الحكام خلال هذه المدة[3]. ولا يقصد بذلك طبعاً عاصمة عامة لكل الحوريين، وإنما في هذا المكان فقط، لأن الحوريين لم يخضعوا لحكم مملكة واحدة حتى هذا الوقت.

وعدا اوركيش فإننا نمتلك من عصر أور الثالثة العديد من الوثائق التي تؤكد ازدياد أعداد الحوريين، وانتشارهم خلال هذا العصر لاسيما في المناطق الشمالية، والشمالية الشرقية (شمال شرق دجلة) من بلاد الرافدين[4]. ولعل وجود سلسلة من الأسماء الشخصية الحورية المرتبطة بأسماء المدن أو الأماكن في وثائق أور الثالثة (إدارية واقتصادية) قد حدد الهوية الجغرافية لذلك الانتشار. ومن تلك المدن، اربيلوم (أربيل)، شيمورم أو سيمورم (Simurum) التي تقع على المجرى العلوي لنهر الزاب الأسفل[5]، وتالموش (Talmuš) شمال نينوى[6]، وريموش (Rimuš) التي يعتقد إنها تطابق اليوم موقع الجرخية أو الجراحية على بعد 40 كم شمال نينوى[7].

أيضاً ششروم (Šišrum)[8]، وكومارشي (Gumaraši)، وخيبيلات (Hibilat)، وهاتين المدينتين الأخيرتين لم يتعرف على موقعها، مع الاعتقاد إنهما يقعان في منطقة شمال شرق دجلة[9].

---

(1) تل براك تل كبير يقع في منطقة مثلث الخابور بسوريا على الضفة اليمنى لنهر جغجغ (أحد روافد الخابور) إلى الشمال الشرقي من مدينة الحسكة. ينظر: علي أبو عساف، أثار الممالك القديمة في سورية (دمشق، 1988)، ص 55.

(2) Salvini, Op. cit., PP. 109-110; Gernot Wilhelm and J. Eiden, “A Hurrian Letter from Tell Barak”, in Iraq, Vol. 53 (1991), PP. 159-160.

(3) جيورجو بوتشلاني، المصدر السابق، ص 215؛ تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا، المصدر السابق، ص 244.

(4) Wilhelm, Op. cit., P. 20.

(5) Salvini, Op. cit., P. 111.

(6) ذكرت هذه المدينة في النصوص الآشورية الوسيطة تحت اسم تالموشي Talmuse. ينظر: Salvini, Op. cit., P. 111.

(7) Gelb, Op. cit., P. 59.

(8) Gelb, Op. cit., P. 59.
تقع مدينة ششروم في التل المعروف حالياً باسم تل شمشارة (المأخوذ اسمه أصلاً من ششروم مع بعض التحوير في اللفظ) على الضفة اليمنى لنهر الزاب الصغير، وعلى بعد 8 كم جنوب شرقي سهل رانية. ينظر: طه باقر، المقدمة، ج 1، ص 213.

(9) Gelb, Op. cit., P. 58.

وفي هذا العصر كان هناك وجود حوري واضح في جنوب بلاد الرافدين، بعضهم جاء عن طريقة التسرب الآمن(1)، والبعض الآخر جاءوا كأسرى بفعل الحروب التي خاضها ملوك سلالة أور الثالثة في المناطق الشمالية(2). فهذا الملك شولكي (2094–2047 ق.م) كان جزءاً من حملاته العسكرية قد وجهت إلى المناطق الشمالية ومناطق شرقي دجلة من أجل السيطرة على المناطق القائمة هناك، فدخل اربيلوم، وششروم، وسيمورم(3). وبصورة عامة هو سيطر على كل مناطق شرقي دجلة(4)، وعند انسحابه من تلك المناطق جلب كثير من الأسرى كان من بينهم أسرى حوريون تم استخدامهم كقوة عاملة لاسيما في أعمال الزراعة، ورعاية الماشية، وجنود في جيوش الملك، وأمراء المدن، وهذا ما أشارت إليه النصوص المتعلقة بمدة حكم شولكي، حيث تم ذكر الكثير من الأسماء الحورية التي مارست هذه المهن(5). ويظهر من النصوص العائدة لشولكي أن الحوريين كانوا يمثلون تهديداً لدولته من خلال عرقلتهم لطرق القوافل التجارية في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية(6).

وتخبرنا النصوص العائدة للملوك الذين خلفوا شولكي، وهم كل من امار–سين، وشو–سين، وأبي–سين على التوالي بأنهم قاموا بحملات عسكرية أيضاً إلى الأجزاء الشمالية والشمالية الشرقية(7)، ومن المحتمل جداً أنهم جلبوا أسرى حوريين أيضاً، فالملك شو–سين قد أنشأ مستوطنة في ضواحي نفر وضع فيها أسرى تلك المناطق، واستخدمهم كعمال في الأعمال اليومية المختلفة(8). وفي جميع الأحول التي وصل بها الحوريون إلى مناطق الجنوب فإن وجودهم لا يعني أنهم شكلوا مستوطنات خاصة بهم بل تمازجوا مع المجتمع الذي حلوا فيه، ومن المدن التي وجدوا فيها أور ونفر ودلبات(9). ومن الواضح أنه كان للحوريين تأثير في ذلك المجتمع، فبعضهم وصل

---

(1) هاري ساكز، عظمة بابل، ص 93.

(2) Wilhelm, Op. cit., P. 20.

(3) طه باقر، المقدمة، 1986، ج 1، ص 388.

(4) Wilhelm, Op. cit., P. 20.

(5) Ibid., P. 20; Jorgen Laessqe, People of Ancient Assyria (London, 1963), P. 83.

(6) جبن بوترو، المصدر السابق، ص 144؛ عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، 1992)، ج 1، ص 173.

(7) طه باقر، المقدمة، ج 1، ص ص 389–393.

(8) جبن بوترو وآخرون، المصدر السابق، ص 144.

(9) Wilhelm, Op. cit., P. 21.

إلى وظائف مرموقة، ومن شواهد ذلك شخص حوري يدعى يوناب–شين Unap-šen الذي تقلد وظيفة كاتب في أور[1]، ومنهم من تقلد وظيفة دينية[2].

وفيما يتعلق باوركيش المدينة الحورية التي قامت مع مطلع حكم سلالة أور الثالثة فيبدو أنها بقيت خارج سيادة أور، فهي لا تظهر في تقارير الملوك الحربية[3]، وفي أواخر عهد سلالة أور الثالثة يظهر لنا ملك جديد في اوركيش يدعى تيش–اتال (Tiš-atal) ليعيد أمجاد اتال–شين، حيث ترك لنا نقشاً كتابياً مشابهاً لنقش اتال–شين وهو عبارة عن لوح تأسيسي يخلد ذكرى بناؤه معبد للإله نركال، ودون هذا النقش باللغة الحورية، لذلك هو يعد أقدم وثيقة معروفة باللغة الحورية لحد الآن[4]. أما مضمون النص فهو كالآتي:

> **"تيش–اتال اندان اوركيش، بنى معبداً للإله نركال، فليحمه الإله لوباداج Lubadage** [من الآلهة غير المعروفة]**، من يخربه لا سمع الإله صلواته، وليت الإله لوباداج يبيده، وليت إله [الطقس؟] لا يصغي إلى دعائه..."**[5].

يبدو من سياق النص[6] أن تيش–اتال قد اقتصر حكمه على هذه المدينة فقط. وبحسب ما ورد في أحد نصوص أور الثالثة فإن هناك حاكماً حورياً آخر يحمل الاسم ذاته أي تيش–اتال، وينعت نفسه بأنه رجل نينوى[7]. وقد تم التعرف عليه من خلال وثيقة إدارية وجدت في اشنونا[8] تؤرخ في العام الثالث من حكم الملك شوسين

---

(1) تقع أور على بعد 15 كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الناصرية، أما دلبات (تعرف حالياً باسم تل الديلم)، فتقع على بعد 22 كم إلى الجنوب من مدينة الحلة. ينظر: فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1987)، ط 3، ص ص 225–226

(2)Gelb, Op. cit., P. 60; Wilhelm, Grundzuge der, P. 21.

(3) Wilhelm, Op. cit., P. 21.

(4) Gernot Wilhelm, "Die Inschrift des Tis – atal Von Urkis", in U.H.S.H.C, Vol. 26, Part. 2 (Malibo, 1998), PP. 118-120.

(5) Wilhelm, Die Inschrift, P. 120.

(6) هذا النص نقش على لوح صخري محمول بين براثن أسد مصنوع من البرونز، ويتكرر النص نفسه على ظهر تمثال لأسد آخر مصنوع من البرونز وكلاهما عثر عليها في اوركيش وهما الآن محفوظان في متحف اللوفر بفرنسا. ينظر: Salvini, Op. cit., P. 106.

(7) ماريو سالفيني، المصدر السابق، ص 268.

(8) Wilhelm, Grundzuge der, P. 22.

اشنونا احدى ممالك بلاد الرافدين القديمة تعرف بالوقت الحاضر بتل اسمر الذي يقع في المثلث المحصور بين ديالى شرقاً ونهر دجلة غرباً وعلى بعد 80 كم شمال شرقي بغداد. ينظر: طه باقر، المقدمة، ج 1، ص 264.

(2037–2029) (رابع ملوك سلالة أور الثالثة) جاء فيها بأن تيش–اتال رجل نينوى سار مع حامية عسكرية تضم أكثر من مائة جندي للإطلاع على تحركات جيش ملك أور الذي أصبح على مشارف حدود منطقة سيادته[1]. ويبدو من النص أن تيش–اتال هذا كان حاكماً لنينوى التي كانت مركزاً مهماً لعبادة الآلهة الحورية شاووشكا[2]، وكان يخشى من اجتياح شو–سين لمنطقته. لكن عدا هذه الإشارة فليس لدينا هناك أي دليل آخر أو تفاصيل عن حكم هذا الملك لمدينة نينوى كما هو الحال مع ملك اروكيش.

أيضاً ثمة ختم ملكي مجهول المصدر يعود زمنه إلى أواخر عصر أور الثالثة يحمل الكتابة الآتية: "**تيش–اتال ملك كارخر Karhar**"[3]. ومع أنه هناك من يفترض بأنه من الممكن أن يكون كل هؤلاء هم الشخص نفسه "تيش–اتال"[4]، إلا أن ذلك احتمال ضعيف، وذلك لأن كل من هؤلاء كان له مدينته الخاصة التي حكم فيها، وهذا واضح من الألقاب، فضلاً عن ذلك فإن هذا الاسم "تيش–اتال" كان من أسماء الإعلام المتداولة في أنحاء المناطق التي كانت يسكنها الحوريون.

وخلاصة ما يمكن قوله عن التدفق الحوري في عصر أور الثالثة أنه كان تدفقاً كبيراً إلى حد ما، ويفوق ما كان عليه في العصر الأكدي، ولعل كثرة الأسماء الحورية في نصوص أور الثالثة، وحصولنا على أكثر من اسم حاكم حوري ما يدل على توسع وقوة الحضور الحوري الذي يمكن حصره بصورة أساسية في منطقة شمال شرق دجلة باتجاه جبال زاكروس وحدهم الجنوبي هو الزاب الأسفل بالنسبة للمنطقة الشمالية من بلاد الرافدين، هذا فضلاً عن وصول أعداد منهم إلى بعض مناطق جنوب بلاد الرافدين، وبالنسبة لسوريا فلم يتجاوز انتشارهم منطقة اوركيش ونوار في الجهات الشمالية الشرقية العليا من سوريا (مثلث الخابور) .

---

(1) Wilhelm, Grundzuge der, P. 23; March, Op. cit., P. 108.

(2) ينظر المبحث الخاص بالديانة

(3) يطابق كارخر مع مدينة خارخر المعروفة في المصادر الآشورية الحديثة وتقع في الجبال اعالي ديالى. ينظر: Gelb, Op. cit., P. 57

(4) ماريو سالفيني، المصدر السابق، ص 269.

المبحث الثاني

الهجرة الحورية خلال النصف الأول من الألف الثاني

(2000 – 1500 ق.م)

بعد انهيار مملكة اور الثالثة سنة 2004 ق.م[1] شهدت بلاد الرافدين حالة من الاضطراب السياسي تمثلت بفقدان السيطرة المركزية، ثم تجزأت البلاد إلى عدة دويلات متعاصرة كانت في حروب فيما بينها ، حتى تمكن الملك الشهير حمورابي أحد ملوك سلالة بابل الأولى التي قامت في هذا العصر من توحيد البلاد تحت سلطته سنة 1763 ق.م، ويطلق على هذه الحقبة من تاريخ بلاد الرافدين السياسي والحضاري تسمية العصر البابلي القديم ، الذي يشمل المدة من سقوط أور الثالثة عام 2004 ق.م حتى الاحتلال الكاشي للبلاد عام 1595 ق.م[2].

وبقدر ما يتعلق الأمر بالحوريين فإن انهيار أور الثالثة، ومن ثم فقدان السيطرة المركزية كان سبباً رئيساً لتدفق مجاميع حورية جديدة وبأعداد كثيرة من الجبال مع بداية الألف الثاني إلى المناطق الشمالية من بلاد الرافدين، ثم إلى شمالي سوريا[3]، ولم تنقطع هذه الهجرات بل أصبحت في تزايد كبير جداً، وما أن انتهى النصف الأول من الألف الثاني، أو قبل ذلك بقليل، حتى أصبح الحوريون منذ بداية هجرتهم إلى هذا التاريخ ينتشرون على منطقة عريضة امتدت من جبال زاكروس شرقاً حتى البحر المتوسط غرباً[4]. وبمعنى آخر هم انتشروا في مناطق شمالي بلاد الرافدين وشمالي سوريا، هذا فضلاً عن أن جزءً بسيطاً منهم سكن الأجزاء الجنوبية الشرقية من بلاد الأناضول وفلسطين[5]. وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من هذه المساحة العريضة

---

(1) تعرضت مملكة أور الثالثة في عهد أخر ملوكها أبي–سين (2028–2004 ق.م) إلى حالة من التدهور الاقتصادي تمثل بقلة المواد الغذائية وارتفاع الأسعار ، والتدهور السياسي المتمثل بضغط القبائل الأمورية (هي فرع من القبائل الجزيرية) التي أخذت تتسرب للبلاد منذ بداية عصر أور الثالثة حتى طغت موجتهم بشكل كبير في عهد أبي–سين، لكن على الرغم من أنها كانت السبب الرئيس في انهيار وحدة البلاد، إلا أن الإطاحة النهائية لسلالة أور الثالثة كانت على يد العيلاميين الذين اجتاحوا البلاد سنة 2004 وحمل أبي–سين أسيراً إلى عيلام. ينظر: طه باقر، المقدمة، ج 1، ص ص 393–396.

(2) سامي سعيد الأحمد، "العصر البابلي القديم"، بحث ضمن كتاب العراق في التاريخ، تأليف مجموعة من الباحثين العراقيين (بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، 1983)، ص 83.

(3) Miroop, Op. cit., P. 116.

(4) Ibid., P. 116; March, Cultural Atlas, P. 106.

(5) Gelb, Op. cit., PP. 8-10.

للانتشار، إلا أن مناطق شمالي سوريا استقطبت معظم تلك الهجرة[1]. واما عن بلاد الرافدين فمع أن الحوريين انتشروا هنا وهناك في المناطق الشمالية، لكن تبقى منطقة شمال شرق دجلة هي مركز انتشارهم الرئيس. والواقع أنه نتيجة لهذه الهجرة الواسعة فقد أصبح الحوريون يشكلون جزءاً مهماً من التركيبة السكانية لشمالي سوريا، وبدرجة أقل شمالي بلاد الرافدين[2].

أن المصادر الكتابية والآثارية عن الحوريين خلال هذا العصر (النصف الأول من الألف الثاني ق.م) هي أكثر بكثير عما كانت عليه في العصر الأكدي، وأور الثالثة، لكنها تبقى قليلة مقارنة مع حجم الهجرة الحورية. وأقدم تلك المصادر هي وثائق التجار الآشوريين التي وجدت في المستوطنات التجارية الآشورية الكائنة في الأجزاء الشرقية من بلاد الأناضول، وتعود إلى بداية الألف الثاني ق.م[3]، ولعل أهمها مستوطنة كانيش[4]، وضمن هذه الوثائق[5] التي تخص مجموعة من التجار الآشوريين ترد مجموعة من أسماء الأماكن، والأسماء الشخصية التي تعود إلى أصول مختلفة كان من بينها أسماء تعود لأشخاص حوريين[6]. وعلى الرغم من أن الأسماء الحورية قليلة جداً لكنها أعطت نتائج مهمة، منها أن هؤلاء الحوريين كانوا يتاجرون على قدم المساواة مع التجار الآشوريين[7]، فهناك تاجر حوري اسمه انشيرو (Enširo) كان يتاجر بشكل واسع في الحبوب والمنتجات الزراعية الأخرى، كما كان يشتري من المزارعين محاصيلهم، ويقرضهم بأسعار فائدة عالية جداً[8]. أيضاً إن وجود الأسماء الحورية القليلة في تلك الوثائق لا تعني بالضرورة سكن الحوريين في تلك الأجزاء من

---

(1) Miroop, Op. cit., PP. 116-117.

(2) جورج رو، المصدر السابق، ص ص 316–317.

(3) كانت هناك مجموعة من التجار الآشوريين مع بداية العصر الآشوري القديم 2000 ق.م يتاجرون ما بين بلاد آشور وبلاد الأناضول، وقد أقاموا لهم في بلاد الأناضول مستوطنات خاصة بهم لأغراض إدارة التجارة دامت لأكثر من قرنين. ينظر: هاري ساكز، قوة آشور، ص 51؛ طه باقر، المقدمة، ج 1، ص 483.

(4) كانيش: تعرف آثارها اليوم بالتل المعروف باسم (كول تبة) الذي يقع قرب مدينة قرة هويك التي تبعد 20 كم إلى الشمال الشرقي من مدينة قيصرية، وإلى الجنوب من نهر ازيل – ايرمق (الهاليس قديما). ينظر: سامي سعيد الأحمد، "المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى"، مجلة سومر، 1987، ص 70.

(5) كتبت نصوص هذه الوثائق بالخط المسماري واللغة الأكدية التي استعملها الآشوريون بلهجتهم الخاصة. ينظر: فاضل عبد الواحد علي، من ألواح سومر إلى التوراة، ط 1 (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، 1989)، ص ص 180–181.

(6) سامي سعيد الأحمد، "المستعمرة الآشورية"، ص 76.

(7) March, Cultural Atlas, P. 108.

(8) سامي سعيد الأحمد، "المستعمرة الآشورية"، ص 76.

بلاد الأناضول، فهم يظهرون كما يظهر التجار الآشوريون، ومن المحتمل جداً أنهم وصلوا إلى الأناضول مع الآشوريين كتجار[1]، لاسيما ونحن لدينا إشارة بأن الحوريين كانوا يتاجرون مع جنوب بلاد الرافدين خلال العصر الأكدي. ويظهر أن التجار الآشوريين كانوا على علاقات طيبة مع التجار الحوريين، وما قد يدعم هذا الاستنتاج هو أن التاجر الحوري السالف الذكر انشيرو قد زوج ابنته خاتالا (Hatala) من تاجر آشوري حسب ما يظهر ذلك في أحدى الوثائق[2].

أما عن سوريا فإنه من بين الأسماء الحورية التي وردت في نصوص وثائق التجار الآشوريين أسماء ارتبطت بأسماء مدن تقع شمال سوريا[3]، فهناك رسالة من حوري اسمه ايخلي – ادو (Ehli-Adu) يعيش شمال سوريا إلى حوري آخر هو يونابشي (Unapše) الذي يعيش في كانش ربما تاجر، ويتكلم الكاتب الحوري عن أوضاع منطقة في شمال سوريا تدعى خاشوم (Haššum)[4]، كما يذكر اسم مكان يدعى زيبوخوليوي (Zipuhuliwe)، وهذه الأخير تحمل اسماً حورياً غير معروفة الموقع، وربما تقع شمال سوريا أيضاً[5]. ويستخلص من هذه الرسالة بأن هاتين المنطقتين أو في الأقل الأولى كانت في زمن كانيش من المناطق التي شهدت استقراراً حورياً، لكن يصعب تقدير حجمه لعدم توفر الأدلة، وربما نتوقع دوراً تجارياً حورياً ما بين شمال سوريا والأناضول زمن كانيش.

وقبيل القرن الثامن عشر توقفت فعاليات المستوطنات الآشورية بعد أن استغرقت نحو قرنين من الزمن[6]، بسبب تدهور الأوضاع الأمنية في بلاد الأناضول[7]، وبذلك فقدنا معلوماتنا عن الحوريين من هذه الوثائق.

والواقع أنه على الرغم من المعلومات المقتضبة جداً التي تم الحصول عليها من وثائق التجار الآشوريين ، إلا أنهما بينت أن الحوريين وبغض النظر عن أعدادهم قد وصلوا إلى مناطق جنوب شرق الأناضول، والجهات الشمالية الغربية العليا من

---

(1) Gelb, Op. cit., P. 61.

(2) سامي سعيد الأحمد، " المستعمرة الآشورية"، ص 95 هامش 66.

(3) جيرنوت فيلهلم، المصدر السابق، ص 233.

(4) لم يحدد موقعها بدقة ولكن على الأرجح تقع في المنطقة المحيطة بحوض الفرات الأعلى إلى الشمال من كركميش. ينظر: عبد الله الحلو، سوريا القديمة، ط1 (دمشق، 2004)، ص 565.

(5) Salvini, Op. cit., P. 113.

(6) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 73.

(7) عن تلك الأوضاع ينظر: المصدر نفسه ،ص ص 90–93.

سوريا التي نسمع لأول مرة عن وصول الحوريين إليها بعدما كانوا قد وجدوا في بلاد الرافدين وشمال شرق سوريا منذ أكثر من قرنين.

والحقيقة أنه بعد نهاية عصر المستوطنات التجارية الآشورية[1] كانت بلاد آشور بالمعنى الواسع (كل مناطق شمال بلاد الرافدين)، ومنطقة أعلي الخابور (الجزيرة السورية العليا)[2]، ومنطقة الفرات الأوسط المحيطة بمدينة ماري تحت سيطرة الملك الآشوري الشهير شمشي – أدد الأول (1813–1781 ق.م)[3]، وهذا ما سبب في عرقلة نزول الحوريين من مواطنهم الجبلية إلى مناطق شمال بلاد الرافدين[4]. لكن ما أن توفي هذا الملك حتى انهارت مملكته التي بناها[5].

وبوفاة شمشي–أدد الأول فتح الباب مرة أخرى للحوريين ليعاودوا انتشارهم بحرية في مناطق شمال بلاد الرافدين، وشمال سوريا، ونقول بحرية لأن الحوريين لم تنقطع هجراتهم بشكل تام خلال مدة حكم شمشي–ادد، لكن دخولهم كان على شكل تسرب بسيط.

أما مصادرنا عن الحوريين خلال عهد حكم شمشي–ادد، والقرون التي تليه حتى عام 1500 ق.م فهي كثيرة، وأولها أرشيف مملكة ماري[6]، ذلك الأرشيف الذي ساعد الباحثين كثيراً في الوقوف على الوضع القائم في سوريا وبلاد الرافدين خلال

---

(1) توقف نشاط المستوطنات التجارية الآشورية التي ابتدأت منذ بداية الألف الثاني قبيل تسلم العرش الآشوري من قبل شمشي–أدد الأول أحد أشهر ملوك العصر الآشوري القديم، وبعد استلام هذا الملك العرش الآشوري عاود التجار الآشوريين نشاطهم هناك، لكن ذلك لم يستمر طويلاً. ينظر: هاري ساكز، قوة آشور، ص 59؛ طه باقر، المقدمة، ج 1، ص 483.

(2) الجزيرة السورية العليا والسفلى هي جزء من ذلك الإقليم الجغرافي الذي يسمى بأرض الجزيرة التي تشمل الأراضي الشمالية المحصورة بين دجلة والفرات. ينظر: تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا، المصدر السابق، ص 21.

(3) هاري ساكز، قوة آشور، ص 61.

(4) Wilhelm, Grundzuge der, P. 30.

(5) هاري ساكز، قوة آشور، ص ص 62–63؛ وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد:– كلية الآداب، 1976)، ص 34.

(6) هي من الممالك القديمة التي تقع في سوريا حالياً، تعرف أطلالها اليوم باسم تل الحريري الذي يقع على بعد 10 كم شمالي شرقي بلدة البوكمال عند الحدود العراقية السورية. أسسها السومريون، وازدهرت فيها الحضارة منذ عصر فجر السلالات، ثم دخلت بعد نهاية هذا العصر ضمن الأقاليم التابعة للدولة الأكدية، ومن بعدها سلالة أور الثالثة، وبعد انهيار أور الثالثة كانت ماري من بين الدويلات التي استقر فيها الأموريين ونالت استقلالها، حيث قامت فيها سلالة امورية استطاعت أن تمد نفوذها على طول نهر الفرات والخابور. ينظر: طه باقر، المقدمة، ج 1، ص 420؛ تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا، المصدر السابق، ص 211.

جزء مهم من العصر البابلي القديم (1900–1757 ق.م)، سواء من الناحية السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو الدينية، ومنه ما يخص السكان وأصولهم[1].

نصوص قليلة جداً من ذلك الأرشيف الذي يقدر بنحو خمس وعشرين ألف رقيم تطرقت إلى الحوريين، لكنها مع ذلك قدمت صورة مهمة عن وجود مدن حورية في مناطق شمالي بلاد الرافدين، وشمالي سوريا[2]، وقبل الحديث عنها لا بد من القول أن جماعة من الحوريين كانت تسكن ماري وإن كانت نسبتها قليلة جداً، وذلك بالاعتماد على أسمائهم التي تظهر في عدد من القوائم لاسيما تلك التي تتضمن توزيع حصص من المواد الغذائية على العمال[3].

ويظهر من طبيعة الأعمال التي مارسها الأشخاص الحوريون في ماري إنهم كانوا من الطبقات الدنيا، ومن الذين جندوا للخدمة في شمالي بلاد الرافدين[4]. كما أن مسألة إرسالهم للخدمة جنوداً في شمالي بلاد الرافدين تعني أن ماري كانت في هذا الوقت تابعة لمملكة شمشي– أدد الاول الآشورية (1813–1781 ق.م)[5]، وهذا يعني في أكثر الاحتمالات أن الحوريين في ماري قد جاء بهم شمشي – أدد كأسرى حرب للاستفادة منهم كعمال وجنود، لأننا لا نمتلك إشارة واحدة عن التسرب الحوري إلى مناطق الفرات الأوسط حتى هذا الوقت، فضلاً عن أن وضعهم الاجتماعي المتدني ما قد يثبت أنهم من الأسرى. لكن على الرغم من هذا الوضع الاجتماعي، إلا أنهم قد أدوا دوراً دينياً معيناً في ماري، ما دامت هناك بضعة نصوص دينية مكتوبة باللغة الحورية وجدت

---

(1) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، ص 184؛ تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا، المصدر السابق، ص 212.

(2) عيد مرعي، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539 ،ط1 (دمشق ،1991) ، ص 101.

(3) Wilhelm, Grundzuge der, P. 26.

(4) Ibid., P. 26.

(5) كانت ماري تابعة لمملكة أور الثالثة، وبعد انهيار أور الثالثة نالت استقلالها، ثم تمكنت من تحقيق نفوذ واسع امتد على طول الفرات والخابور لاسيما في عهد ملكها (يجد–ليم) لكن خليفته (يخدن–ليم) (1825–1811 ق.م) تم اغتياله من قبل حاشية البلاط، مما سبب إرباكاً في أوضاعها الداخلية، وقد صادف في هذا الوقت تعاظم المملكة الآشورية القديمة في عهد ملكها شمشي–أدد الأول الذي ضم مقاطعات كثيرة إلى مملكته آشور كان من ضمنها ماري التي لم تتمتع كثيراً بذلك الاستقلال. ينظر: تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا، المصدر السابق، ص 212.

في ماري عبارة عن ستة ألواح، خمسة منها نصوص تعويذة[1]، وباستثناء هذا الأمر لم يكن للحوريين في ماري أي تأثير آخر[2].

والحقيقة أنه يمكن القول من حالة التأثير الديني هذه في ماري، ومن حالة مدينة اوركيش الحورية السابقة وتسلم بعض الحوريين لمناصب دينية جنوب بلاد الرافدين في عهد سلالة أور الثالثة ومن حالات لاحقة سنتعرف عليها، بأن الحوريين كان لديهم اهتمام كبير بالنواحي الدينية، وإن لهم تأثيراً دينياً أينما حلوا سواء مهاجرين أو أسرى.

وفيما يخص المعلومات التي قدمتها نصوص ماري عن انتشار الحوريين في بلاد الرافدين ، فإنها ذكرت عدد من الحكام الحوريين الذين كانوا يحكمون في مناطق شمالي بلاد الرافدين (شمالي بلاد آشور)[3]، وهم اري–شيني (Ari-šeni) الذي كان يحكم في إحدى مناطق شمال شرق دجلة، و شكرو–تيشوب (Šukru-Tešup) الذي كان يحكم مدينة ايلا –خوت (Ila-Hut) التي لم يتم تحديدها بدقة لكنها تقع في الجزء الشمالي العلوي لبلاد الرافدين،وكومين– اتال (Kumen – atal) حاكم مدينة عرفت باسم سيلخو – ميني (Šilhu-meni) ولم يتم التعرف على موقعها، شدو – شرّي (Šadu-šarri) حاكم مدينة ازوخينوم[4] التي ذكرت سابقاً كإحدى مناطق استقرار الحوريين أواخر العصر الأكدي، وإن ذكرها الآن في نصوص ماري يعني استمرار سكن الحوريين لها. أيضاً هناك الحاكم ننيب–شويري (Ninep-šwiri) حاكم مدينة خابوراتم، وتيش–اولمي (Tiš-ulme) حاكم مردمان (Mardman)، وكلا المدينتين الأخيرتين تقعان في مناطق شرق دجلة العليا[5].

وعن سوريا يعطينا أرشيف ماري دليلاً عن الوجود الحوري في الجهات الشمالية الغربية العليا من سوريا، فتذكر اسم مدينة اورشوم (Uršum)[6] التي يحكمها

---

(1) ستيفاني دالي، ماري وكرانا مدينتان بابليتان قديمتان، ترجمة كاظم سعد الدين، ط 1 (بغداد: بيت الحكمة، 2008)، ص ص 29–31.

(2) Salvini, Op. cit., P. 113.

(3) J. R. Kupper, “The Hurrians 1800 B.C”, in CAH, Vol. II, Part, 1 (Cambridge, 1973), P.24.

(4) Gelb, Op. cit., P. 63.

(5) Wilhelm, Grundzuge der, P. 28.

(6) اورشوم أو ارشو من المدن التي تقع شمال غرب سوريا في المنطقة المحيطة بحوض الفرات الأعلى مجاورة تقريباً لإمارة كركميش. ينظر: عبد الله الحلو، المصدر السابق، ص 565.

ملك يحمل اسم حوري هو سينام أو شينام (Šenam)[1]، كما تذكر خانيش–خربي (Haniš-Harbi) وهو اسم حوري أيضاً كحاكم لمدينة خاشوم[2]، مع ذكر أسماء حورية لأشخاص عاديين في هاتين المدينتين[3]، ومع كل ذلك فإنه في عصر ماري مازال العنصر الحوري شمالي سورياً قليلاً جداً مقارنة مع بلاد الرافدين ولو كان وجود الحوريين بشكل مؤثر ولافت للنظر لظهر ذلك واضحاً في نصوص ماري.

وعدا نصوص كانيش، وماري فإنه هناك العديد من النصوص المسمارية في كل من بلاد الرافدين، وسوريا، فضلاً عن الآثار المادية والكتابية التي خلفها الحوريين أنفسهم، وجميعها ترسم الخارطة الجغرافية لمناطق توزيعهم وكثافتهم في كل من بلاد الرافدين وسوريا، كذلك النصوص التي عثر عليها في كل من فلسطين وبلاد الاناضول وجميعا توضح طبيعة الانتشار الحوري في هاتين المنطقتين .

ولنبدأ أولاً ببلاد الرافدين، ففي ششروم (شمشارة حالياً) السالفة الذكر، استمر الوجود الحوري فيها[4]، حيث وصلت إلينا منها نصوص مسمارية (من الطبقة الخامسة) تعود إلى حاكم محلي في ششروم على الأرجح حوري الأصل يدعى كواري (Kuwari)[5]، ومعظم تلك النصوص هي رسائل رسمية إدارية مبعوثة من هذا الحاكم إلى الملك الآشوري شمشي–ادد الأول، ومن خلال هذه النصوص تبين أن هذه المدينة كانت تابعة لمملكة شمشي–ادد الآشورية، مع احتفاظ حاكمها بقدر كبير من الاستقلال الذاتي[6]، كما أن أغلب كلمات تلك النصوص، وأسماء الأعلام الواردة فيها هي حورية الأصل[7]، وهو ما يعطي انطباعاً عن قوة النفوذ الحوري في هذه المنطقة، واحتمالية كون كواري حوري الأصل.

---

(1) Gelb, Op. cit., P. 63.

(2) خاشوم: سبق وأن ذكرت كإحدى مناطق استقرار الحوريين في عصر كانيش (أحد المستوطنات الآشورية في الأناضول) ومن المرجح جداً إنها تقع بجوار اورشوم، فالملك الحثي حاتوشيلي الأول (1650–1620 ق.م) يذكرها كمدينة مجاورة لاورشوم في سياق حملته عسكرية على اورشوم. ينظر: عبد الله الحلو، المصدر السابق، ص 565.

(3) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 162.

(4) كانت هذه المدينة قد هاجر إليها الحوريين منذ عصر سلالة أور الثالثة.

(5) Salvini, Op. cit., P. 112.

(6) Laessqe, Op. cit., PP. 150-152.

(7) Kupper, “The Hurrians”, P. 22.

كذلك نجد في النصوص المسمارية المكتشفة في مدينة كارانا (Karana)[1] عدد كبير من الأسماء الحورية[2]، وإن قسم من تلك الأسماء تظهر في قوائم تتضمن توزيع حصص من المواد الغذائية عليهم، لذلك يرجح أن هؤلاء جاؤوا إلى المدينة كأسرى حرب، أو عبيد تم شرائهم[3].

وفي موقعي تبة كورة[4]، وتل بيلا[5] يظهر السكان الحوريين أيضاً خلال الثلث الأول من الألف الثاني[6]. وكل النصوص الواردة أعلاه لم تزودنا بشيء مهم عن الحياة اليومية للحوريين سوى أسماؤهم. وضمن المنطقة الشمالية تبرز لنا أهم منطقة لانتشار الحوريين مع مطلع القرن السابع عشر ق.م أو قبله بقليل، تلك هي مقاطعة أرابخا Arapha (كركوك حالياً)[7]، التي تقع بضمنها المدينة المشهورة نوزي Nuzi[8] التي شهدت أكبر تجمع للحوريين في تاريخ الهجرات الحورية إلى بلاد الرافدين[9]، وكان لها شأن كبير في التاريخ الحوري.

لقد تم التعرف على الوجود الحوري في بعض مناطق ارابخا منذ أواخر العصر الأكدي بدلالة العثور على عدد من الرقم الطينية التي تحمل أسماء شخصية أكدية كثيرة، وكان من بينها أعداد قليلة جداً من الأسماء الحورية[10]، وهي بلا شك إشارة واضحة إلى بداية التسرب الحوري إلى منطقة كركوك.

وباستثناء هذه الأسماء فإن أي معلومات أخرى عن الحوريين في مناطق ارابخا باستثناء نوزي هي ضئيلة جداً، لاسيما وأن عاصمة ارابخا التي تعرف باسم ايلاني

---

(1) كارانا أو تاهارا: من المدن القديمة في شمال بلاد الرافدين تعرف آثارها اليوم باسم التل المعروف بتل الرماح الذي يقع بين الموصل وجبل سنجار. ينظر: ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص 30.

(2) March, <u>Cultural Atlas</u>, P. 108.

(3) Wilhelm, <u>Grundzuge der</u>, P. 26; ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص 30.

(4) تقع تبه كورا على بعد 24 كم شمال شرق الموصل. ينظر: جورج رو، المصدر السابق، ص 99.

(5) تل بيلا هو مدينة شيبانيبا الآشورية القديمة على بعد 16 كم شمال غرب الموصل. ينظر: جورج رو، المصدر السابق، ص 609 هامش 13.

(6)المصدر نفسه ، ص 198.

(7) Michael C. Astour, "Semites and Hurrians in Northern Transtigris", in <u>S.C.C.N.H</u>, Vol. 2 (USA, 1987), P. 3.

(8) تقع نوزي شمال بلاد الرافدين على بعد 13 كم إلى الجنوب الغربي من كركوك، ويعرف موقعها في الوقت الحاضر باسم (يورغان تبه)، الذي هو عبارة عن تل مساحته 200 x 200 م، ويرتفع عن السهل المحيط به حوالي خمسة أمتار. ينظر: سالم الآلوسي، "خزائن وثائق يورغان تبة المعروف آثارياً بأرشيف نوزي"، <u>مجلة دراسات تاريخية</u>، ع 1 (بغداد، 1996)، ص 16.

(9) Astour, Op. cit., P. 3; J. A. Brinkman, "Hurrians in Babylonia in the Late Second Millennium BC", in <u>S.C.C.N.H</u>, Vol. (USA, 1981), PP. 27-28.

(10) سالم الآلوسي، المصدر السابق، ص 16.

(ilani) لم يتمكن من إجراء التنقيب فيها بسبب قيام الدور الحديثة المزدحمة فوق هذا التل[1]، ومن ثم ضياع الكثير من الوثائق التي كان من الممكن أن تزودنا بشيء عن الحوريين في ارابخا. وليس بعيداً عن هذا التل جاء اختيار تل آخر هو أكبر تلول ارابخا مساحة، وكان اختياراً موفقاً إذ تم اكتشاف مدينة نوزي[2]، وتم العثور فيها على نحو أربعة آلاف لوح طيني تعود جميعها للحوريين، فضلاً عن بقايا بيوت السكن، وقصر، ومعابد، وفخاريات، وأمور أخرى عائدة لهم[3].

ومن الجدير بالذكر إن الحوريين قد أقاموا مدينتهم نوزي على بقايا مدينة أكدية قديمة كانت تعرف باسم كاسور (Gasur) ، وعندما حلوا فيها أبدلوا اسمها من كاسور إلى نوزي[4]، وفي أيام كاسور عندما كانت مستوطنة أكدية وتابعة لمملكة أكد عثر فيها على أكثر من مئتي لوح مكتوب باللغة الأكدية، ثم استخرج من هذه الالواح اسماء حوالي 500 شخص أغلبها أكدية، والبعض سومرية، والقليل جداً حورية التي يعود تاريخها إلى أواخر العصر الأكدي[5]، وهذا يعني أن التغلغل الحوري إلى نوزي بدأ منذ أواخر العصر الأكدي مع التأكيد بأن لم يكن لهم أي دور حضاري أو سياسي مهم خلال هذا الوقت، ولم يعرف عن الحوريين شيء بعد في نوزي بعد انهيار مملكة أكد. ومع بداية الألف الثاني يبدو أن الحوريين قد وصلوا إلى نوزي ولكن بأعداد قليلة جداً بحيث لم يظهر لهم أي تأثير، وبعد أن سيطر الملك شمشي–أدد على المنطقة الشمالية بما فيها ارابخا[6] انقطع تسرب الحوريين إلى هذه المنطقة، لكن ما أن انهارت مملكة شمشي–أدد حتى كانت نوزي واحدة من أكثر المناطق الشمالية التي تدفق إليها الحوريين[7]، وإلى درجة أنهم أبدلوا اسمها من كاسور إلى نوزي[1]، ولا يعرف السبب الحقيقي لإطلاق هذه التسمية أو معناها[2].

---

(1) روفائيل ميناس، المصدر السابق، ص 325.

(2) قام بالتنقيب في نوزي المتحف العراقي بالاشتراك مع المدارس الأمريكية للبحوث الشرقية عام 1925، وتوقف العمل، ثم تجدد خلال المدة 1927–1931، من قبل المدرسة المذكورة فضلاً عن جامعة بنسلفانيا وهارفرد الامريكيتان. ينظر: بهيجة خليل إسماعيل، "نبذة عن الكتابات المكتشفة في نوزي"، مجلة سومر، م 34، ج 1–2 (1987)، ص 66؛ سالم الآلوسي، المصدر السابق، ص 17 وما بعدها.

(3) روفائيل ميناس، المصدر السابق، ص 326؛ بهيجة خليل إسماعيل، المصدر السابق، ص 66.

(4) Wilhelm,Grundzuge der, P. 26; هاري ساكز، قوة آشور، ص 49.

(5) Gelb, Op. cit., P. 8; روفائيل ميناس، المصدر السابق، ص 327.

(6) هاري ساكز، قوة أشور، ص 61.

(7) Gelb, Op. cit., P. 6; Brinkman, Op. cit., P. 27.

استمر التواجد الحوري في نوزي، وغدت خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م من المراكز السكنية الكبرى للحوريين، ومعظم أرشيف نوزي وصلنا من هذه المدة.

لقد كان أرشيف نوزي مصدراً مهماً في التعرف على حجم التعداد السكاني الحوري الذي بلغ الآلاف، وعن كثير مما يتعلق بالحياة اليومية للحوريين(3)، كما كان مصدراً استفاد منه علماء اللغة لدراسة اللغة الحورية التي دونت بها بعض نصوص الارشيف(4).

تتألف ألواح نوزي من عدة مجاميع ذات مواضيع مختلفة(5) منها ما يتعلق بالقضايا الإدارية كالضرائب، والعمال والأجور، ومنها ذات مضامين اقتصادية (زراعة وتجارة) وهي الغالبة، وألواح تحمل نصوص قانونية (ما يتعلق بقرارات المحاكم والدعاوى القضائية وأمور الكفالة والدين، والقروض...)، وألواح أخرى تتعلق بالجانب الاجتماعي، والديني، والأدبي(6).

والواقع أنه بقدر ما كان هذا الأرشيف مهماً في معرفة الكثير من شؤون الحياة اليومية للحوريين، إلا أنه كان مخيباً للآمال في الوقت ذاته، فهو لم يساعدنا

في معرفة أي شيء عن مناطق انتشار الحوريين الأخرى، مثلما فعلت النصوص الأكدية، أو السومرية، أو ماري، كذلك لم يوضح شيئاً فيما يتعلق بالجانب السياسي للحوريين سواء من ناحية السلالات الحاكمة، أو العلاقات السياسية، وغيرها، لا في نوزي، أو ارابخا أو المناطق الحورية بشكل عام. وفي كل الأحوال تبقى أهم

---

(1) كان إلى جانب الحوريين في نوزي سكان جزريين المتواجدين فيها أصلاً مع فارق الأغلبية الحورية. ينظر: روفائيل ميناس، المصدر السابق، ص 327.

(2) يعتقد أن سبب إطلاق هذه التسمية مرتبط بإعادة بناء معبد المدينة المكرس للإلهة عشتار سابقاً وتحويله إلى معبد مزدوج تعبد فيه الإلهة عشتار وكبير الآلهة الحورية (تيشوب)، ولكن لم يجد تفسير لهذا الاسم. ينظر: Wilhelm, Grundzuge der, P. 26

(3) Brinkman, Op. cit., P. 27 ff.

(4) استخدم الحوريون اللغة الأكدية والخط المسماري في كتابة معظم نصوص ذلك الأرشيف، وكان الكتاب الذين لا يتقنون اللغة الأكدية يخلطون الكلمات الأكدية مع الحورية ويتعرضون لأخطاء نحوية كعدم التفريق بين المفرد والجمع أو المؤنث والمذكر، أو حتى أصول رسم العلامة المسمارية، ومع كل ذلك فإن للحوريين لغتهم الخاصة بهم. ينظر: ادوارد كييرا، كتبوا على الطين، ترجمة محمود حسين الأمين (بغداد، 1962)، ص 202؛ جون اوتس، بابل تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1990)، ص 54.

(5) سالم الآلوسي، المصدر السابق، ص 18؛ أحمد بهجت ابراهيم، "أبحاث عن تاريخ كركوك"، مجلة أوراق تركمانية، ع 3 (بغداد: مركز بابا كوركر للدراسات والبحوث، 2006)، ص 32.

(6) سيتم تفصيل هذه الجوانب في الفصل الخاص بالجانب الحضاري.

نتيجة قدمها لنا أرشيف نوزي هو أن للحوريين حضارة خاصة بهم، وإن تأثروا بحضارة بلاد الرافدين.

وأما بلاد بابل فنجد الحوريين يظهرون خلال عهد سلالة بابل الأولى (1894–1595 ق.م) في وثائق دلبات[1]، ويظهر في تلك الوثائق أن القسم الأكبر من الحوريين في دلبات كانوا عمالاً أو عبيداً تم شراؤهم[2]. وقد لا يكون أمر شراء العبيد الحوريين بالشيء الغريب طالما أن هناك وثائق بابلية تحدثنا عن شراء العبيد من المنطقة الشمالية، ومنها مدينتا (اشُخ) و (لبدي) الواقعتان على الحدود الجنوبية للمنطقة الحورية الشمالية[3] اللتان تشكلان سوقاً مهماً لتجارة العبيد الحوريين[4].

وباستثناء دلبات فإنه في آلاف الوثائق من المدة نفسها (سلالة بابل الأولى) نادراً ما يتم ذكر الحوريين في بلاد بابل[5].

مما تقدم نستطيع القول أن المهاجرين الحوريين إلى بلاد الرافدين قد ازدادت أعدادهم خلال العصر البابلي القديم، واستقروا في مناطق جديدة في أعالي بلاد الرافدين (شمال بلاد آشور) عدا مناطق شمال شرق دجلة، ولأول مرة نرى حضوراً حورياً كثيفاً جنوب الزاب الصغير (نوزي وأرابخا)، وهي المنطقة التي افتقدت إلى الحضور الحوري الواضح خلال عصر سلالة أكد، وأور الثالثة، وحتى بدايات الألف الثاني، أما في بلاد بابل فإن نسبتهم كانت ضئيلة، وباستثناء دلبات لم يعرف عنهم شيء.

أما في سوريا التي أصبحت في نهاية النصف الأول من الألف الثاني من أكثر المناطق استقطاباً للحوريين، فعلى الرغم من دخول الحوريين إليها منذ الربع الأول من الألف الثاني كما دلتنا بذلك نصوص كانيش وماري، إلا أن تلك المصادر لم تذكر عنهم سوى إشارات بسيطة، لذلك يصعب تقدير نسبة الوجود الحوري هناك، ولم يظهر الحوريين بشكل واضح بعد ذلك إلا في النصف الأول من القرن السابع عشر ق.م وبكثافة عددية كبيرة، ويبدو أن لقوة نفوذ مملكة ماري الذي امتد على طول نهر الفرات والخابور سبباً في إعاقة تقدم الحوريين نحو المناطق الشمالية لسوريا، إذ أن التوسع الحوري الواضح حصل بعد انهيار مملكة ماري[6] على يد الملك البابلي

(1) Gelb, Op. cit., P. 65.

(2) Wilhem, Grundzuge der, P. 27.

(3) يقصد بالحدود الجنوبية نهاية منطقة انتشار الحوريين في المناطق الشمالية وتمثلها منطقة ارابخا (كركوك)، وبذلك فإن مدينتي اشخ ولبدي تقعان ضمن محيط منطقة كركوك جنوباً.

(4) Wilhelm, Grundzuge der, P. 27.

(5) Gelb, Op. cit., P. 65.

(6) بعد وفاة شمشي–أدد الأول استقلت ماري ثانية عام 1779 ق.م بعد أن كانت تحت سيطرته، لتفرض نفوذها على المناطق الممتدة على طول نهر الفرات حتى الخابور، لكن استقلال ماري هذه المرة لم

حمورابي بمدة قصيرة[1]، وقد شمل التوسع الحوري على الأغلب مناطق شمال سوريا، ثم امتد بعد مدة ليشمل مناطق الفرات الأوسط وجنوب سوريا.

أبرز المدن السورية التي انتشر فيها الحوريين بعد سقوط ماري هي الالاخ (تل العطشانه)[2] ، إذ زودتنا الطبقتان الأثريتان السابعة والرابعة بعدة ألواح تقدر بخمسمائة لوح كانت مصدراً مهماً للتعرف على عدد السكان الحوريين في هذه المدينة[3]، وعليه تقسم هذه الألواح إلى قسمين يعودان إلى فترتين زمنيتين: الأولى من الطبقة السابعة، وتؤرخ بالنصف الأول من القرن السابع عشر ق.م[4]، ومن قراءة الأسماء الشخصية في هذا القسم تبين أن هناك نسبة عالية من الحوريين تقدر بنحو 37.5 % من مجموع السكان[5]، أما العنصر الغالب فهو الأموري[6]. كما يتضح من الألواح الخاصة بالطبقة السابعة أن الحوريين كانوا منضوين تحت مجتمع منظم تسري فيه القوانين على الجميع بعيداً عن العرش والسلطة التي كانت بيد الأموريين[7]، وكان تأثيرهم واضحاً في هذا المجتمع، حيث نجدهم يشغلون
مناصب دينية ومدنية مهمة[8]، من ذلك أفراد منهم يعملون كموظفين في القصر الملكي[9]، ونجد أشخاص حوريين يمتلكون أراضي زراعية في الالاخ، والقرى المجاورة التابعة لها[10]. ولعلهم قد شاركوا في التجارة[11] طالما أن نصوص الالاخ دلت على أن هناك تجارة واسعة بين الالاخ ومدن سورية مختلفة. من جانب آخر نجد التأثيرات الحضارية الحورية حاضرة في الالاخ، ومنها تأثيرات دينية متمثلة بتطبيقات لشعائر

يدم طويلاً أيضاً لأنها وقعت تحت سيطرة الملك البابلي حمورابي سنة 1757 ق.م الذي قضى على قوتها نهائياً. ينظر: تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلة ،مصدر سابق ،ص 212 .

(1) المصدر نفسه ، ص 239؛ محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 163.

(2) الالاخ: من مدن شمال سوريا القديمة يعرف موقعها في الوقت الحاضر باسم تل العطشانة الواقع عند المجرى السفلي لنهر العاصي قرب مدينة انطاكية، تتألف من 17 طبقة أثرية يمتد تاريخها من بداية الألف الثالث حتى بداية القرن الثاني عشر ق.م. ينظر: عيد مرعي، "مملكة الالاخ"، مجلة دراسات تاريخية، ع 71 و 72 (دمشق، 2000)، ص 33.

(3) فيصل عبد الله، "الأرض والإنسان في الالاخ في القرنين الثامن عشر والخامس عشر ق.م"، مجلة دراسات تاريخية، ع 35 و 36 (دمشق، 1990)، ص 261.

(4) Kupper, Op. cit., P. 23; D. Wiseman, “Supplementary Copies of Alalakh Tablets”, in JCS, Vol. 8 (1954), PP. 1-2; عيد مرعي، المصدر السابق، ص 35.

(5) Wilhelm, Grundzuge der, P. 25.

(6) فيصل عبد الله، المصدر السابق، ص 261.

(7) Kupper, Op. cit., P. 23.

(8)Kupper, Op. cit., P. 23.

(9) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 162.

(10) فيصل عبد الله، المصدر السابق، ص 262.

(11) عيد مرعي، "مملكة الالاخ"، ص ص 36–37.

دينيـة حوريـة مـن قبـل الأمـوريين وحكـامهم، كنصـوص الفـأل[1]، كمـا نجـد أن اللغـة الحورية كان لها تأثير في الالاخ بدليل تقديم أسماء الأشهر باللغة الحورية وجعلها فـي التقويم السنوي[2]. ومع ذلك فإن الألواح التي عثر عليها في هذه الطبقة كتبت جميعها باللغـة الأكديـة، مـع التأكيد علـى أن عدد من المصطلحات الحوريـة تظهر فـي بعض النصوص، وهو ما قد يعني بأن اللغة الأصلية لكتاب هذه النصوص هي الحورية[3].

أما القسم الثاني من ألواح الالاخ فيأتي من الطبقة الرابعة التي يعود تاريخها إلـى القرن الخـامس عشـر ق.م أي فـي الوقت الـذي توحد فيـه الحـوريين تحت قيـادة الدولة الميتانية ، وكانت الالاخ تابعة لها، ومع أن الحديث عن هذا القسم من الألواح لا يقـع ضـمن المـدة التـي تتحدث عنهـا وهـي النصف الأول من الألف الثانـي، إلا أن أدراجها الآن جاء لأجل ربط المعلومات التاريخية وعدم حصول الإرباك.

يكشف لنـا هذا القسم من النصـوص مجتمعاً ذو اكثريـة حوريـة علـى الرغم من استمرار حكم الالاخ من قبل الأموريين، حيث لا تمثل فيـه العناصر الجزيرية إلا أقليـة مقارنـة بالحوريـة[4]، إذ بلـغ مجموع الأسماء الحوريـة ألفان وسبعمائة وثلاثـة عشر اسم معظمهـا مشـابهة للأسـماء التـي وجـدت فـي نـوزي، وغيرهـا مـن المراكـز الحوريـة مـع اختلاف بسيط باللهتجة المحلية[5]. والسؤال الـذي قـد يطرح هنـا، هـو إذا كـان الوجود الحوري في الالاخ راسخاً منذ الطبقة السابعة فأين هم في الطبقتين السادسة والخامسة. وجواب ذلك هو أن التطور التـاريخي لـلالاخ المتمثل بالطبقة السابعة قد توقف نتيجة حملات الحثيين على شمال سوريا اعتباراً من النصف الثاني للقرن السابع عشر ق.م، حيث تعرضت الالاخ إلى هجمات الحثيين المدمرة، واستمر هذا الحال حتى النصف الثـاني مـن القـرن السـادس عشـر ق.م عنـدما توقـف الحثيـين عـن مواصـلة حملاتهـم العسكرية إلـى شمال سوريا بفعل صد الحوريين لهم، ثم دخول الالاخ تحت سيطرة الدولـة الميتانيـة مـع بدايـة القرن الخـامس عشـر ق.م[6]، لـذلك فإن الطبقتين السادسـة

---

(1) جيرنوت فيلهلم، المصدر السابق، ص 234.

(2) Kupper, Op. cit., P. 23.

(3) Ibid., P. 23; Wiseman, Op. cit., PP. 1-2.

(4) مجموعة من الباحثين الأوربيين والعرب، "الالاخ"، ضمن كتاب الآثار السورية، ترجمة نايف بللوز (فيينا، 1982)، ص 126؛ .Wiseman, Op. cit., PP. 1-2

(5) فيصل عبد الله، المصدر السابق، ص 262.

(6) ينظر ص (57–66) من الأطروحة.

والخامسة لم تمدنا بأية آثار هامة يمكن من خلالها معرفة وضع الحوريين خلال هذه المدة[1].

وأخيراً لا بد من الإشارة هنا إلى أن نصوص الالاخ لم تبين أي نزاع عرقي بين الحوريين والأموريين بل عكست انسجاماً دينياً واقتصادياً واضحاً[2].

وعدا الالاخ يظهر أيضاً قوة الحضور الحوري في الموقع المسمى شاغار– بازار (Šagar-Bazar) شمال سوريا[3] خلال النصف الأول من القرن السابع عشر ق.م، وبحسب عدد الأسماء الحورية الواردة في نصوص هذا الموقع فإن الحوريين يشكلون تقريباً خمس السكان ، أي ما يعادل 20% من نسبة السكان ذي الغالبية الأمورية[4]، ويتضح من هذه النصوص بأن عدد من هؤلاء الحوريين كانوا يعملون بصفة عمال سخرة للمدينة[5] . أيضاً كان للوجود الحوري هنا تأثير ديني واضح من خلال العثور على مجموعة من النصوص الدينية الحورية من بين تلك النصوص[6].

وخلال هذه المدة أيضاً (النصف الأول من القرن السابع عشر ق.م) نجد الحوريين يظهرون في مدينة حلب (شمال سوريا غرب الفرات وعلى مسافة قريبة من الالاخ) وكان تأثيرهم في هذه المدينة لا يقل كثيراً عن الالاخ، بدلالة الأسماء الحورية الكثيرة التي وجدت في حلب، وتأثر المجتمع الحلبي بالديانة الحورية[7]، وهذا واضح من خلال العثور على العديد من النصوص الدينية الحورية، والمصطلحات الدينية الحورية المستخدمة في الشعائر الدينية من قبل السكان الأموريين في حلب[8].

وبعد ذلك كله يظهر واضحاً أن مناطق استقرار الحوريين في سوريا منذ بداية الألف الثاني وحتى منتصف القرن السابع عشر ق.م تمركزت شمالي سوريا،

---

(1) عيد مرعي، "مملكة الالاخ" ، ص 39.

(2) فيصل عبد الله، المصدر السابق، ص 262.

(3) شاغار–بازار، تل يقع شمال سوريا في منطقة مثلث الخابور، على بعد ما يقرب 40 كم جنوب القامشلي، وحوالي 25 كم جنوب مدينة عامودا، وهو بذلك يقع على مسافة ليست بعيدة عن الحدود السورية – التركية، ويعتقد أن هذا الموقع يمثل مدينة اشنكوم القديمة. ينظر:

M. E. L. Mallowan, "The Excavations at Tall Chagar – Bazar and an Archaeological Survey of the Khabur Region", in Iraq, Vol. III, Part. 1 (1936), PP. 1-2; Wilhelm, Grundzuge der, P. 25.

(4) March, Cultural Atlas, P. 108; Margaret, Op. cit., P. 417.

(5) Kupper, Op. cit., P. 22.

(6) جورج رو، المصدر السابق، ص 318.

(7) Horst Klengel, "Der Wettergott von Halab", in JCS, Vol. 19 (1965), P. 87.

(8) Kupper, Op. cit., P. 24; Klengel, Op. cit., PP. 87-90.

وبالأخص المناطق الشمالية الغربية منها (غرب الفرات) متمثلة في الأقل بمدن خاشوم، واورشوم، والالاخ، وحلب. أما فيما يخص المدة التي تلي النصف الثاني من القرن السابع عشر ق.م حتى منتصف الألف الثاني موضوع البحث، فإن الحوريين كانوا موجودين في سوريا في الأقل في هذه المناطق، والشيء المهم أنه لم يحصل انقطاع تاريخي في سوريا بين القرنين السابع عشر والسادس عشر ق.م[1]، بل كان القرن السادس عشر ق.م سجل من الصراع بين الحثيين والحوريين على شمال سوريا[2].

والنتيجة الهامة هنا هو أنه إذا ما أضفنا الانتشار الحوري في شمالي سوريا إلى شمالي بلاد الرافدين، نجد بأن الحوريين قد اشتملت مناطق استقرارهم على مساحة عريضة امتدت من جبال زاكروس شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً (ينظر الخارطة في نهاية الفصل).

وبعيداً عن بلاد الرافدين وسوريا، فإنه بعد الانتشار الواسع للحوريين في شمالي سوريا يبدو أن جماعات منهم انحدرت إلى جنوب سوريا ومن هناك إلى فلسطين خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر ق.م[3]. فقد بينت الدلائل الآثارية على وجود الحوريين في فلسطين، ومن ذلك ظهور ذلك الفخار المميز ذو اللونين البني والاسود المنقوش عليه صور حيوانية، أو نباتية، وهذا الفخار هو نفسه الذي استخدمه الحوريين شمالي سوريا، وبلاد الرافدين[4]، وتعد مدينة مجدو[5] خير مثال على ذلك، ففي الطبقة الأثرية التاسعة منها تم العثور على فخار من الطراز المشار إليه يعود تاريخه إلى النصف الثاني من القرن السابع عشر ق.م[6]، كذلك عثر على أختام اسطوانية الشكل ذات الشكل المميز التي تشبه مثيلاتها الحورية شمالي سوريا، وبلاد الرافدين[7]، وقد يكون ذلك دليلاً ضعيفاً لولا وجود أدلة لغوية تدعم ذلك الاستنتاج، لاسيما أن المظاهر

---

(1) Kupper, Op. cit., P. 30.

(2) ينظر ص (57–66) من الأطروحة.

(3) سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم (بغداد، 1979)، ص 151.

(4)سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم ، ص 122؛ سليم حسن، مصر القديمة (القاهرة، 1948)، ج 4، ص 178.

(5) مجدو: هي تل المتسلم الحالية، تقع على بعد حوالي 32 كم جنوب شرقي حيفا. ينظر: محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم، ط4 (الإسكندرية، 1988)، ج3، ص 205.

(6) سليم حسن، المصدر السابق، ص 182.

(7) المصدر نفسه، ص 158.

الحضارية يمكن أن تنتقل بطرق متعددة، ففي تل تعناك[1] استخرجت مجموعة من الأسماء الحورية من الألواح التي وجدت فيه[2]، كما وجد في نص مسماري آخر من مدينة شخم (64 كم شمال القدس) أسماء حورية عديدة[3].

ويبدو أنهم كانوا في تزايد مستمر إلى درجة أن المصريين في عهد الأسرة الثامنة عشر (1570–1306 ق.م) أطلقوا على فلسطين وفينيقيا اسم بلاد خورو أو خارو أي بلاد الحوريين[4]. ونعتقد أيضاً أن السبب الآخر لإطلاق هذه التسمية هو نتيجة المشاكل التي سببها الحوريين للنفوذ المصري في فلسطين، والساحل الفينيقي أيام الأسرة الثامنة عشر بحيث طغى أسمهم على بقية الشعب الفلسطيني ، على الرغم من إنهم أقلية قياساً إلى الشعب الفلسطيني القديم.

إن النصوص الكتابية الحورية في فلسطين قليلة جداً، ومن ثم لم نتمكن من التعرف على النسبة الفعلية للسكان الحوريين في فلسطين، ومع ذلك فهم موجودين منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر ق.م حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر ق.م، حيث تم القضاء عليهم تماماً في فلسطين من قبل الفرعون تحوتموس الثالث (1479 – 1428 ق.م)، ونجله امنحوتب الثاني (1428–1397 ق.م)[5].

وهنا لا بد من معالجة مسألة مهمة، وهي علاقة الحوريين بالأقوام المعروفة تاريخياً باسم الهكسوس[6]، فبعض الباحثين يرون أن هذه القبائل التي اندفعت من بلاد الشام نحو مصر لتحتلها بحدود عام 1720 ق.م حتى عام 1570 ق.م، إنما اندفعت بسبب انتشار الحوريين الكثيف في شمالي سوريا، وإن هذا الانتشار سبب ضغطاً على الهكسوس الذين دخلوا شمال سوريا قبل الحوريين، وكذلك ضغطاً على السكان

---

(1) يقع تل تعناك بين مدينة مجدو وجنين، وهو يمثل موقع مدينة تاناخ القديمة، ينظر: سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، ص 153.

(2) Gelb, Op. cit., P. 69.

(3) سامي سعيد الأحمد، المصدر السابق، ص 153.

(4) Wilhelm, Grundzuge der, P. 43.

(5) Gelb, Op. cit., P. 69.

(6) الهكسوس: كلمة مصرية قديمة تعني "حكام البلاد الأجنبية"، وهم من الأقوام التي مازال أصلها غير معروف بدقة، غير أن أغلب الآراء ترى أنهم خليط من قبائل مختلفة من شعوب الشرق الأدنى القديم دخلت إلى شمال سوريا لتنظم إليها بعد ذلك قبائل جزيرية في أثناء تحركهم إلى مصر، وقد شكلت القبائل الجزيرية العنصر الغالب في الهكسوس كما هو واضح من أسمائهم، تحركوا جميعاً جنوباً إلى فلسطين، ثم إلى مصر حيث احتلوها سنة 1720 ق.م، وأقاموا عاصمتهم افاريس في شرق الدلتا. ينظر: ابراهيم أحمد رزقانه وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم (القاهرة، د.ت)، ص 184؛ فيليب حتي، المصدر السابق، ص 157؛ محمد الخطيب، مصر أيام الفراعنة، ط 6 (دمشق: دار علاء الدين للنشر، 2007)، ص 44.

الجزريين الذين انظموا إلى الهكسوس ليتحركوا جميعاً بفعل هذا الضغط باتجاه فلسطين، ثم بعد ذلك إلى مصر[1].

إن هذه النظرية يمكن رفضها لأسباب تاريخية، ففي الوقت الذي كان فيه الهكسوس قد دخلوا مصر عام 1720 ق.م كان الانتشار الحوري في شمال سوريا لايزال ضئيلاً، ولم يكن بالمستوى الذي يمكن أن يهدد أو يضغط على تلك القبائل ويجعلها تترك مواطن استقرارها في شمال سوريا. وكما مر بنا فإن الانتشار الموسع للحوريين في شمال سوريا لم يتم إلا في النصف الأول من القرن السابع عشر ق.م، أي في وقت كان فيه الهكسوس قد سيطروا على مصر. وهنا يقول الباحث كوبر إنه "من المستحيل أن نربط هجرة الهكسوس مع الهجرة الحورية، وإنه يجب إيجاد حل آخر للمشكلة الهكسوسية"[2]. وفي السياق ذاته يرى بعض الباحثين أيضاً إن أعداد من الحوريين كانوا ضمن قبائل الهكسوس، ويستندون في ذلك ليس بأدلة لغوية، وإنما ظهور نوع جديد من الفخار خلال العصر الهكسوسي المتأخر يماثل الفخار الحوري المنتشر في سوريا وبلاد الرافدين وفلسطين[3].

الواقع أن هذا الرأي مع إننا لا نستطيع رفضه بالمرة، إلا أن عدم وجود أدلة لغوية يجعله ضعيفاً، فالمعروف أن الحوريين كانت لهم لغة خاصة بهم، وأينما حلوا تركوا بصمات لغتهم، وفي الأقل أسماء الأعلام، ومن ناحية أخرى يمكن للمظاهر الحضارية إن تنتقل من منطقة إلى أخرى بطرق متعددة، لاسيما أن الحوريين كانوا موجودين في فلسطين القريبة من مصر خلال العصر الهكسوسي المتأخر، فمن الممكن جداً نقل تلك المظاهر الحضارية في ظل العلاقات الاقتصادية القائمة آنذاك بين مصر وفلسطين[4].

وإذا ما أردنا أن نوافق رأي أولئك الباحثين، ونصدق بأن الحوريين لم يتركوا آثار لغوية لسبب مجهول، فإن دخول الحوريين إلى مصر لم يكن مع الهجرة الهكسوسية المبكرة، بل جاء متأخراً على شكل هجرة ثانية انطلقت من فلسطين باتجاه مصر بالاستناد إلى الظهور المفاجئ للفخار الحوري في العصر الهكسوسي المتأخر.

---

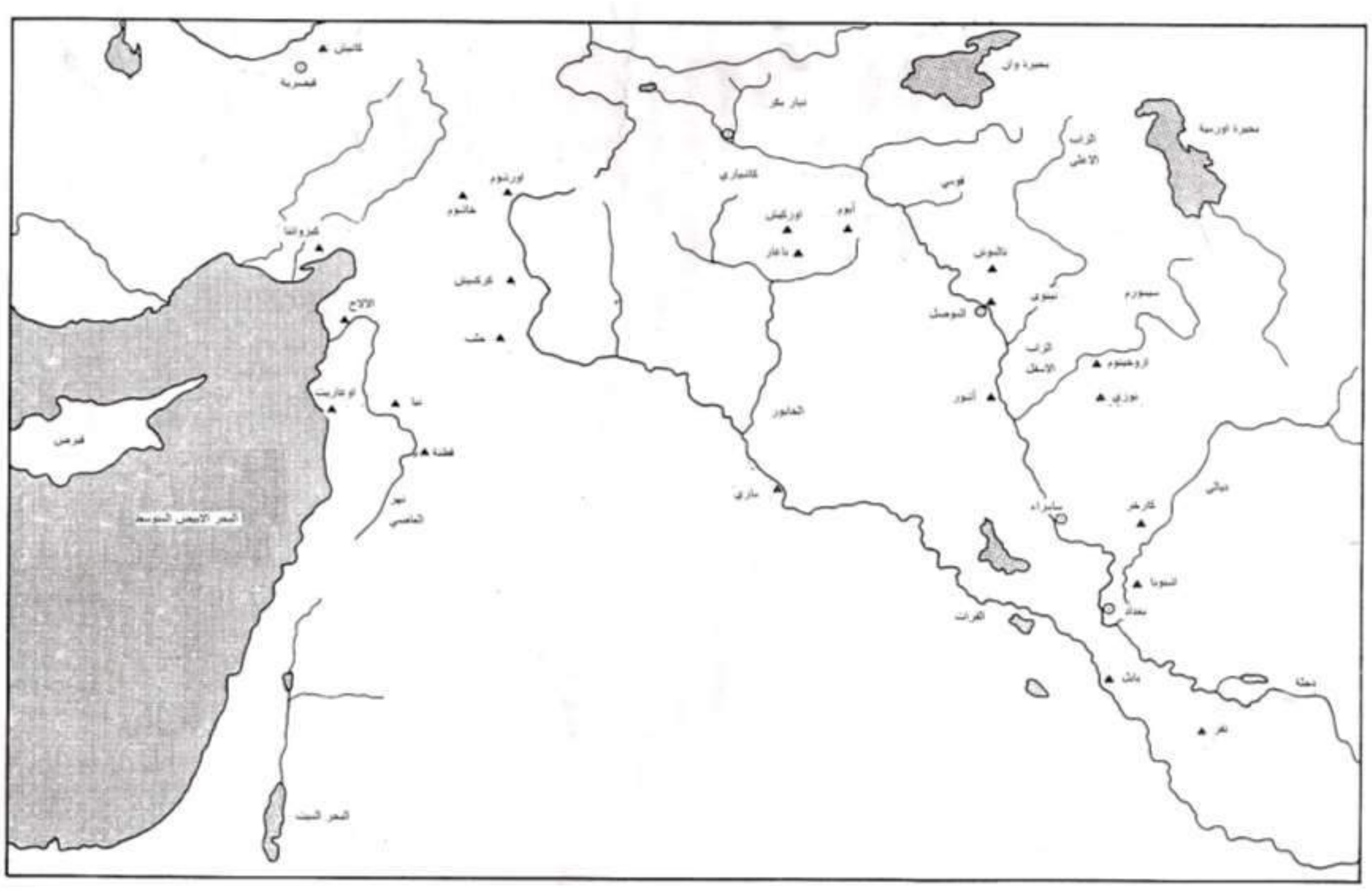
(1) Miroop, Op. cit., P. 116;

ابراهيم أحمد زرقانه وآخرون، المصدر السابق، ص 184.

(2) Kupper, Op. cit., P. 36.

(3) سليم حسن، المصدر السابق، ص ص 193-194؛ فيليب حتي، المصدر السابق، ص 157.

(4) على الرغم من احتلال الهكسوس لمصر، إلا أن العلاقات التجارية التي كانت سائدة بين مصر وبلاد الشام منذ القدم، استمرت خلال هذا العهد ، لكن على نحو اقل من السابق، بدلالة العثور على الكثير من الآثار المصرية في بلاد الشام خلال هذا الوقت (عصر الهكسوس). ينظر: جبن بوترو، المصدر السابق، ص 396.



مراكز انتشار الحوريون في الالف الثالث والثاني قبل الميلاد

الخارطة من عمل الباحث بالاعتماد على :

Salvini, Mirjo,op.cit.,p101

مقدمة عن الوضع السياسي لمنطقة الشرق الأدنى القديم من النصف الثاني من القرن السابع عشر حتى نهاية القرن الثالث عشر ق.م. وأثره على كيان الدولة الميتانية

شهدت منطقة الشرق الأدنى القديم منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر وحتى نهاية القرن الثالث عشر العديد من التطورات السياسية، والتحركات العرقية تمثلت بظهور قوى جديدة أدت دوراً هاماً على المسرح السياسي والحضاري(1)، وكان لها أثر كبير على الوجود الميتاني خلال هذه المدة.

لقد ارتبط تاريخ الميتانيين خلال هذه المدة باعتبارهم جزء من المنطقة بتلك التطورات فتأثروا وأثروا بها، كما تبلورت السياسية الحورية بحيث تحولت بلاد حوري من دويلات متفرقة إلى دولة موحدة تحت تاج واحد عرفت بدولة ميتاني التي غدت واحدة من القوى الكبرى في منطقة الشرق الأدنى القديم خلال القرن الخامس عشر والجزء الأكبر من القرن الرابع عشر ق.م.

ومن أجل أن نحيط فهماً بتلك التطورات لا بد لنا من التعريف بتلك القوى أو الدول وموقفها تجاه ميتاني. ففي آسيا الصغرى ظهر الحثيون الذين تمكنوا بعد مدة من قدومهم إلى هذه المنطقة من تأسيس دولتهم نحو النصف الأول من القرن السابع عشر ق.م(2).

وهناك الكشيون(3) الذين شنوا أكثر من هجوم على بلاد بابل بعد موت الملك حمورابي (من سلالة بابل الأولى)، وأخيراً تمكنوا من السيطرة عليها، وذلك على اثر

---

(1) David Warburton, Love and War in the Late Bronze Age: Egypt and Hatti, (London, 2003), p. 77.

(2) هاري ساكز، عظمة بابل، ص 91؛ S. Looyd, Early Anatolia (London, 1956), P. 30.

(3) الكشيين: أحد أقوام الشرق الأدنى القديم التي لا يعرف أصلها على درجة الدقة، وأغلب الآراء ترى إنهم من الأقوام الهندواوربية. أما موطنهم الذي نزحوا منه إلى بلاد الرافدين فيقع في مكان ما في الأجزاء الوسطى من جبال زاكروس في المنطقة التي تعرف الآن باسم بلاد اللر (لورستان) شمال إيران. ويعتقد أنهم هاجروا إلى هذه المنطقة (لورستان) من جبال القفقاس، وقبل أن يحتلوا بابل كانوا قد تسربوا إلى بلاد الرافدين خلال القرن السابع عشر، حيث أقاموا لهم مملكة خاصة بهم في مدينة عانه (خانه) على الفرات. ينظر: طه باقر، المقدمة، ج 1، ص ص 448–449؛ ولمزيد من التفاصيل ينظر: محمود الأمين، الكشيون (بغداد: مطبعة العاني، 1963)، ص 1 وما بعدها.

الهجوم الذي قاده الملك الحثي مورسيلي الأول على بلاد بابل وتمكن به من السيطرة عليها عام 1595 ق.م. غير أن مشاكل داخلية عصفت بالمملكة الحثية اضطرته للعودة بسرعة إلى هناك بعد أن قدم بابل لقمة سائغة للكشيين الذين فرضوا بعد ذلك سيطرتهم على البلاد وأقاموا سلالة حكمت بلاد بابل مدة جاوزت الأربعة قرون عرفت بسلالة بابل الثالثة (1595-1162 ق.م.)[1].

كذلك دخلت مصر مسرح الأحداث السياسية لمنطقة الشرق الأدنى القديم منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر ق.م بعد أن تمكنت من طرد الهكسوس الذين كانوا يحتلون البلاد منذ عام 1730 ق.م، لتشهد بعد ذلك مصر دوراً جديداً من أدوارها التاريخية عرف تاريخياً بالدولة المصرية الحديثة (1570-1080 ق.م)[2].

أما بلاد آشور المجاورة لمراكز الانتشار الحوري في بلاد الرافدين، فبعد أن ساد الغموض تاريخها لمدة جاوزت القرنين على إثر احتلال الملك البابلي حمورابي لها سنة 1755 ق.م، فقد استعادت قوتها في منتصف الألف الثاني ق.م ليبدأ عصر جديد لبلاد آشور دام زهاء ستة قرون عرف بالعصر الآشوري الوسيط (1521-911 ق.م)[3].

لقد كان لظهور هذه الدول باستثناء الدولة الكاشية تأثير كبير جداً على وجود دولة ميتاني، فالدولتين الحثية والمصرية الحديثة تبنتا سياسة جديدة تقوم على محاولة ضم بلاد الشام أو أجزاء منها تحت نفوذهم السياسي، وهو الأمر الذي يعني تهديد كيان ميتاني التي يستوطن شعبها الحوري شمالي سوريا مركز استقرارهم الرئيس، لذلك وجدت نفسها مضطرة لدخول مرحلة التنافس مع هاتين الدولتين للحفاظ على مناطق استقرارها ومصالحها في المنطقة. وفيما يتعلق بالدولة الآشورية خلال العصر الآشوري الوسيط فإنها كانت تسبب مشاكل للدولة الميتانية وذلك عن طريق تحالفها مع مصر عدو ميتاني بهدف تثبيت نفوذها في شمالي سوريا ، مما اضطر الميتانيين للسيطرة عليهما في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، وبعد أن تحررت آشور من ذلك الاحتلال الذي دام حوالي القرن من الزمن أدت دوراً هاماً في القضاء على

---

(1) سامي سعيد الأحمد، "فترة العصر الكاشي"، مجلة سومر، م 39، ج 1-2 (1983)، ص ص 134-135.

(2) سامي سعيد الأحمد وجمال رشيد، المصدر السابق، ص 149.

(3) عامر سليمان، "العصر الآشوري"، ص 128؛ وليد محمد صالح فرحان، "الصراع الدولي في الشرق الأدنى بين القرنين الخامس عشر والثالث ق.م"، مجلة آداب الرافدين، العدد 11 (الموصل، 1979)، ص227.

الدولة الميتانية. هذا ويمكن تمييز جانبين لتاريخ التنافس الميتاني على سوريا مع تلك القوى.

أ – جانب الصراع العسكري.

ب – جانب العلاقات الدبلوماسية.

والواقع ان تكالب تلك القوى للسيطرة على سوريا كان له عدد من الدوافع الاقتصادية والسياسية[1] منها إن للطبيعة الجغرافية التي تتمتع بها سوريا ما بين السهلية والساحلية والجبلية[2]، جعلها بيئة صالحة لجميع المزروعات سواءً الحقلية كالقمح والشعير والذرة، أو الأشجار كالزيتون والكروم[3]، وساعد على ذلك وجود عدد من الأنهار لاسيما في المنطقة الشمالية والوسطى متمثلة بنهر الفرات والعاصي وروافدهما. كما أن هطول الأمطار في المنطقة الشمالية كان كافياً لزراعة المحاصيل الشتوية[4]. كل هذه الظروف وفرت بيئة صالحة للعيش، وهو ما كانت تبحث عنه القبائل الحورية لإقامة مستوطناتها الجديدة. والحقيقة إن هذه الميزة قد استفاد منها الحوريين بشكل خاص، لأن المصريين والحثيين والآشوريين، كانت لهم مواطنهم الخاصة به م.

كما أن الموقع الستراتيجي الهام التي تتمتع به سوريا كان سبباً غاية في الأهمية لذلك التنافس، فهي النافذة الشمالية الغربية لدول شرق آسيا القديمة على البحر المتوسط، وهي حلقة الوصل بين آسيا الصغرى وأفريقيا. لذلك هي تقع على أهم طرق التجارة الدولية سواء البرية أو البحرية، إذ أصبحت سوقاً كبيرة تقصده القوافل القادمة من الهند، والشرق الأقصى مروراً ببلاد فارس، والخليج العربي (أو كما يسمى قديماعند سكان بلاد الرافدين بالبحر الأسفل) وكذلك القادمة من أوربا وأفريقيا[5]، وبهذا فإن سوريا أو بلاد الشام بشكل عام هي الجسر الواصل بين القارات الثلاث آسيا

---

(1) لمزيد من التفاصيل عن هذه الدوافع . ينظر : عبد الغني غالي فارس السعدون ، التنافس الحيثي – المصري على بلاد الشام إبان العهد الإمبراطوري المصري (1570–1080 ق.م) ،اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد : كلية الآداب ، 2005 م) ، ص ص 84–93 .

(2) فيليب حتي، المصدر السابق، ص 31.

(3) طه باقر، المقدمة، ج2، ص 222.

(4) تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا، المصدر السابق، ص 22.

(5) تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا،المصدر السابق ،ص ص 26–27؛ kupper, Op. cit., PP.22_24

وأفريقيا وأوربا[1]. وكل هذه الميزات جعلت سوريا عرضة لكثير من الأخطار والغزوات على مدى التاريخ القديم[2].

ونحن إذ نخص هذه المنطقة دون غيرها من مناطق بلاد الشام لأنها المنطقة التي على أرضها اصطدمت ميتاني بشكل مباشر مع الحثيين والمصريين ، والآشوريين فيما بعد ، وعلى أرضها انهارت ميتاني بعد أقل من قرنين على قيامها (القرن الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد) .

ومن جانب آخر فإن لكل من الدولة الميتانية، والحثية، والمصرية دافع سياسي خاص في بلاد الشام بشكل عام وسوريا بشكل خاص عدا الدوافع الاقتصادية. فميتاني كانت ترى في سوريا بأنها موطن شعبها الحوري التي أعطته عيشاً مطمئناً منذ قرون عدة، لذلك هي ترى إنها أحق بالسيادة السياسية عليها من الحثيين والمصريين.

أما مصر (المملكة المصرية الحديثة) فبعد أن تمكنت من طرد الهكسوس، وفرضت سيادتها على كل البلاد، بدأت بسن سياسة جديدة قائمة على إقامة حزام أمني حول حدودها لعدم تكرار احتلال جديد، وهذا لن يتحقق دون الاندفاع خارج حدود مصر إلى أقصى حد ممكن لتأمين بلادها من الأخطار الخارجية المحتملة من كل الجهات، ومنها الجهة الشمالية والشمالية الشرقية (بلاد الشام)[3]. وقد لا يكون الأمر مختلفاً كثيراً مع الدولة الحثية الراغبة في مد حدودها إلى أقصى حد ممكن، وإقامة إمبراطورية واسعة[4].

---

(1) طه باقر، المقدمة، ج 2، ص 223.

(2) المصدر نفسه، ص 223.

(3) علاء الدين شاهين، تاريخ وحضارة مصر القديمة (القاهرة، 2006)، ص 49.

(4) انطون مورتكات، المصدر السابق، ص 219.

المبحث الأول

بدايات قيام البنية السياسية الحورية:

كان الامتداد الحوري منذ الألف الثالث ق.م امتداداً سلمياً مرتبطاً بالبحث عن مواطن للاستقرار، ثم تحقيق النفوذ الاقتصادي والحضاري، غير أن ذلك لم يستمر حتى النهاية، فالتطورات السياسية للمملكة الحثية التي تقع على مسافة ليست بالبعيدة عن الحوريين في شمال سوريا أجبرتهم على دخول مرحلة الصراع العسكري مع بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر ق.م ، بهدف الحفاظ على مراكز استقرارهم ومصالحهم بصورة عامة. هذا مع العلم أن مصادرنا عن التاريخ الحوري خلال هذه المرحلة تعتمد بالدرجة الأساس على المدونات الحثية.

إن الحثيين بعد أن استقروا في بلاد الأناضول ، وأسسوا دولتهم بدأت أنظارهم التوسعية تتجه صوب سوريا والمناطق المجاورة للأسباب الاقتصادية والسياسية المنوه عنها، فجاءت حملاتهم على مدن سوريا الشمالية الواقعة بين نهر الفرات والبحر المتوسط(1).

وأول تلك الحملات العسكرية الحثية التي جاءت إلى شمال سوريا كانت بقيادة الملك حاتوشيلي الأول (Hatušili) (1650 – 1620 ق.م) ثاني ملوك المملكة الحثية القديمة(2). ولعل أهم ما كشفته لنا هذه الحملة هو أن بينت لنا أولى الدلائل على قيام البنية السياسية للحوريين، إذ أن الحوريين على الرغم من أنهم لم يجتمعوا تحت قيادة دولة واحدة، إلا أنهم كانوا من التنظيم الجيد في النصف الثاني من القرن السابع عشر ق.م، بحيث كانت لهم القدرة في الدفاع عن وجودهم في شمال سوريا، بل قادوا حملاتهم العسكرية إلى داخل الأراضي الحثية، ويبدو من مجريات الأحداث أن الحوريين قد شعروا بحقيقة المخاطر المستقبلية القادمة من الجهة الشمالية (الحثيين) لذلك استعدوا لهذا الأمر جيداً.

---

(1) Kupper, Op.cit., p. 37; V. Kovoses, "The Warfare of the Hittites from the Legal Point of View", in Iraq, Vol. XXV, Part. 2 (1963), P. 160 ff.

(2) يعد الحثيون أن هذا الملك (خليفة لابارنا الأول أول ملوك المملكة الحثية القديمة) هو المؤسس الحقيقي للملكة الحثية القديمة، كان يعرف في بداية حكمه باسم لابارنا الثاني، ثم غير اسمه فيما بعد إلى حاتوشيلي الأول، ونقل العاصمة من كوسسارا (عاصمة لابارنا الأول التي تقع في جنوب حوض نهر قيزيل ايرماق) إلى حاتوشا (تقع في بوغاز كوي في الوقت الحاضر). ينظر: صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 139؛ Koroses, Op. cit., P. 160

لقد كان معظم شمال سوريا في هذا الوقت تحت نفوذ مملكة حلب[1]، لذا كانت خطة حاتوشيلي الأول القضاء على نفوذ هذه المملكة وتدميرها ليتسنى له السيطرة على شمال سوريا بسهولة ، ولما كانت حلب قوية بفضل وجود حلفاء أقوياء ومنهم الحوريون[2]. فقد قرر حاتوشيلي التخلص من هؤلاء الحلفاء أولاً ، فابتدأ بمدينة الالاخ المجاورة لحلب من ناحية الغرب فتمكن من دخولها والاستيلاء عليها[3].ثم استمر بمهاجمة المدن الاخرى التي تقع غرب الفرات ومنها ايكاكال (Ikakal)، واورشو، وتاشنيا (Tašuniya)[4]، ومن الواضح أنه قد كان للحوريين دور عسكري في مدينة اورشو[5] التي صمدت بشكل قوي أمام الحصار الحثي الذي دام ستة أشهر، ولم يستطع الكبش الحثي (هو أحد آلات تدمير الحصون) أن يحدث في البوابة المحصنة لأورشو أي ثغرة. ثم دحر هذا الكبش من قبل المدافعين عن المدينة[6]، حيث يصف أحد النصوص العائدة لحاتوشيلي وهو يلقي اللوم على أحد قادة جيشه حول هذا الأمر قائلاً "**لقد حطموا الكبش، كان الملك غاضباً ووجهه متجهم يسمعونني باستمرار أخبار سيئة، إلهي إله العاصمة يغرقك بالفيضان ... أصنع كبشاً آخر على الطراز الحوري، ومن ثم أنقله إلى هذا المكان**"[7].

إن ذكر عبارة الطراز الحوري، فضلاً عن وصف حاتوشيلي في نص آخر للمساعدات التي تلقتها اورشو من قبل "رجال حوري"، ومدن سورية أخرى[8]، يعني أمرين ، الأول أن الحوريين كانوا من المدافعين الأقوياء عن المدينة لاسيما ونحن نعرف بأنهم كانوا من سكان هذه المدينة منذ أوائل الألف الثاني ق.م كما رأينا. والثاني أن الآلة العسكرية الحورية (الكبش) كانت قوية ومعروفة في الدفاع عن اورشو إلى

---

(1) تقع حلب (عاصمة مملكة ايامخد الأمورية) شمال سوريا غرب الفرات، وعلى الرغم من امتداد نفوذها على معظم شمال سوريا، إلا أن ذلك النفوذ كان على شكل تحالفات مع مدن سوريا الشمالية أي أنها لم تفرض نفوذها بالقوة، وهذا هو حال سوريا القديمة التي لم تتحد في واحدة قوية، وهو ما سهل على الأعداء من اختراقها. ينظر: جباغ قابلو، تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، ط3 (دمشق، 2003)، ص 203.

(2) Astour, "Hattušiliš Halab", P. 104.

(3) Ibid., p. 104; H. A. Hoffner, "Hurrian Civilization from a Hittite Perspective", in U.H.S.H.L.C., Vol. 26, Part. 3 (Malibo, 1998), P. 170.

(4) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 149.

(5) Kupper, Op. cit., p. 63.

(6) Hoffner, Op. cit., P. 171.

(7) Kupper, Op. cit., p. 33.

(8) Astour, Op. cit., p. 105.

درجة أن حاتوشيلي أراد صنع مثلها، ومن المحتمل أن هذه الآلة قد استخدمت في حرب سابقة بين الطرفين لكن لا نمتلك دليلاً عنها.

ومهما يكن من أمر فقد سقطت المدينة أخيراً بيد الحثيين لتعاني من الحرق والتدمير[1]، وهو الأمر الذي أغضب الحوريين، ووعياً منهم في إدراك الخطر الذي هدد وجودهم في شمال سوريا قرروا القيام بنقل الحرب إلى مخيم العدو، ومنازلته هناك[2]. وقد تهيأت لهم الفرصة المناسبة للقيام بهذا العمل، ففي السنة التالية **(الثالثة)** من حكم حاتوشيلي شن حملة عسكرية ضد أراضي ارزاوا (Arzawa)[3] البعيدة[4] "**في السنة التالية أنا سرت ضد ارزاوا وأخذت الماشية والأغنام**"[5]. وهي أول إشارة لحملة عسكرية ضد هذه المنطقة[6].

استغل الحوريين خروج الجيش الحثي إلى تلك المنطقة فشنوا حملة عسكرية إلى بلاد الحثيين لينتقموا منهم هناك، جزاءً لما فعلوه بشمال سوريا . ومن الواضح إن هذه الحملة كانت كبيرة إلى درجة إن الحوريين قد تمكنوا من دخول بلاد الحثيين وزعزعوا كيان الدولة الحثية [7]، إذ وقعت الكثير من المدن الحثية تحت السيطرة الحورية، والباقي أعلنت انفصالها عن الدولة الحثية، ولم تبق سوى العاصمة حاتوشا[8]، وهذا واضح من النص الآتي "**إن الأعداء الحوريين في بلاد خانيكلبات[9]**

---

(1)Astour, Op. cit,. p. 104.

(2) Kupper, Op. cit., p. 37; جباغ قابلو، المصدر السابق، ص 208.

(3) أرزاوا: من الممالك القديمة التي كانت قائمة مع بداية قيام المملكة الحثية القديمة، تقع إلى الغرب من بلاد الأناضول، وكانت علاقاتها مع الدولة الحثية غير مستقرة، فتارة تخضع أو ترتبط بعلاقات جيدة مع الحثيين، وتارة أخرى يكونون في حل من ذلك ليقيموا علاقات مع ممالك أخرى بحسب الظروف السائدة. ينظر: Astour, Op. cit., p. 107.

(4) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 245.

(5) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 152.

(6) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 245.

(7) O. R. Gurney, "The Old Hittite Kingdom", in CAH, Vol. I, Part .2 (Cambridge, 1973), P. 251.

(8) Astour, Op. cit., P. 104.

(9) إذا كان اسم خانيكلبات الذي يظهر بالصيغة الأكدية في هذا النص موجود حقاً في النسخة الأصلية في النص وليس إضافة قام بها كاتب في زمن لاحق، فهذا يعني أن هذا النص هو أقدم إشارة لاستعمال هذا المصطلح في الكتابة الحثية. ينظر: Gernot Wilhelm, Grundzuge., P. 37

دخلوا بلادي وكل الأراضي التابعة لي دخلت الحرب ضدي، ما عدا مدينة حاتوشا هي الوحيدة التي بقيت معي"[1].

إن وصف الأعداء الحوريين من خانيجلبات يعني أن الحملة العسكرية الحورية انطلقت من هذه المنطقة التي قلنا عنها أنها تقع بين منعطف نهر الفرات وأعالي دجلة، ودخلت الأراضي الحثية من الجهات الجنوبية والجنوبية الشرقية .

أجبر الهجوم المناوئ للحوريين حاتوشيلي على التوجه للبلاد بسرعة من أجل تدارك الموقف، وفي غضون سنة أو سنتين تمكن ملك الحثيين من إبعاد الحوريين، واستعادة زمام الأمور على المدن التي خرجت عن سيطرته[2]، وبعد أن فرض الملك الحثي إجراءات عقابية على المناطق الجنوبية الغربية، والجنوبية الشرقية من المملكة التي أعلنت تمردها ضده استأنف حملاته العسكرية الى شمال سوريا، فاحتل في أولى حملاته مدينة زارونا (Zarona) القريبة من الالاخ[3]، ثم توجه إلى مدينة خشو (خاشوم) وطالما إن هذه المدينة كانت من ضمن مناطق سكن الحوريين كما مر بنا ، فقد دافع الحوريين إلى جانب قوات خاشوم عن المدينة، وهذا واضح من نص نبوءة حثي يذكر وقوف الحوريين إلى جانب قوات خاشوم[4]، لكن القوات الحثية تمكنت في معركة فاصلة عند جبل ادالور (ضمن جبال الامانوس) من دحر قوات خاشوم، والقوات التي ساندتها من حلب والحوريين[5]، بعد ذلك دخلت خاشوم، وأضرمت فيها النيران، وأخيراً انسحب حاتوشيلي منها بعد أن أخذ الغنائم من أجل مرضاة الآلهة[6]، وكان من بين ما نقل من تلك الغنائم عدد من آلهة المدينة إلى معابد الآلهة الحثية الكبرى في حاتوشا[7]، ويلاحظ أن من بين تلك الآلهة آلهة حورية ومنها الإلهة خبات[8] (زوجة تيشوب كبير الآلهة الحورية). ولما كان تقليد نقل الآلهة الأجنبية إلى العاصمة الحثية يشير في العصور الحثية المتأخرة إلى نقل عبادتها وطقوسها

---

(1) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 153.

(2) A. Goetze, "Warfare in Asia Minor" in Iraq, Vol. XXV, part. 2 (1963), pp. 127-128; Gruney, Op. cit., p. 251.

(3) Hoffner, Op. cit., P. 170

(4) Ibid., p. 171.

(5) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 246.

(6) عبد الله الحلو، المصدر السابق، ص 521.

(7) Kupper, Op. cit., p. 36.

(8) Kupper, Op. cit, p. 36.

الدينية[1] فهذا يدل على وصول المعتقدات الدينية الحورية إلى حاتوشا منذ بداية عصر المملكة الحثية القديمة.

بعد انسحاب القوات الحثية من خاشوم تم تعيين حاكم حثي عليها مع حامية عسكرية له، إلا أن هذا الحاكم لم يستطع السيطرة على الوضع الداخلي للمدينة لأنه على حد تعبيره "**كان يخاف الحوريين**" حسب ما ورد في الوثيقة المسماة "بأخبار القصر"[2] لهذا تمت معاقبته بشدة[3]. ولعل هذا الأمر يؤكد قوة النفوذ الحوري في هذه المدينة، لذلك نرى في موضع آخر من الوثيقة نفسها إن الكاتب الحثي يذكر تعيين حاكم حوري يدعى إوري – شدوني Ewari-saduni بدلاً من الحاكم الحثي[4]. ويلاحظ إن تركيبة هذا الاسم هو حوري – أكدي، فالمقطع الأول "إوري" حوري الأصل، أما شدوني فهو أكدي، وهذا يدل على التواصل الحضاري الحوري–الأكدي خلال فترة الاحتلال الحثي[5].

وفي أواخر عهده شن الملك الحثي حاتوشيلي حملة أخرى على حلب (عاصمة ايامخد) التي أصبحت في حلف مع الحوريين إلا أنه لم يتمكن من دخولها، وعلى الأغلب هو فقد حياته في أثناء تلك الحملة بعد أن طلب في وصية تركها لخليفته مورسيلي الأول بضرورة احتلال حلب[6].

وبعد أن تسلم مورسيلي الأول (1620–1590 ق.م) مقاليد الحكم ورتب الأوضاع الداخلية، قرر مهاجمة حلب، ودحر حلفائها الحوريين، لكنه قبل القيام بهذهِ الخطوة حاول أخضاع حلب بطريقة الضغط والتهديد، إلا أنه فشل في ذلك[7]. وبما أن تحقيق السيادة الكاملة على شمال سوريا يتطلب أولاً احتلال هذه المدينة ، لذلك ما

---

(1) Wilhelm, Grundzuge der, P. 38.

(2) وثيقة "أخبار القصر" يقصد بها وثيقة أخبار القصر الحثي التي تسرد وقائع من عهد الملوك الحثيين ومنهم حاتوشيلي الأول. ينظر: صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 624

(3) Hoffner, Op. cit., P. 171.

(4) Wilhelm, Grundzuge der, P. 38.

(5) Ibid., p. 38.

(6) J. G. MacQueen, The Hittites and their Contemporaries in Asia Minor, P. 44.

(7) Ibid., p. 44.

كان منه إلا ان سار على رأس حملة عسكرية تجاه حلب [1]، وتمكن من احتلالها[2]، وحمل إلى حاتوشا أسراها وكنوزها[3].

كان الهدف التالي لمورسيلي هو الحوريون الخطر الذي يهدد المصالح الحثية شمالي سوريا، ويبدو أنه قد تمكن من دحر الحوريين في معركة خاضها ضدهم، حيث جاء في أحد النصوص الحثية "**دحر كل مدن الحوريين**"[4]، لكن للأسف إن هذا النص قصير جداً ولم يعرف منه هل يقصد المدن الحورية المحيطة بحلب، أو مدناً واقعة شرق الفرات[5]. إذ من الممكن أن يكون مورسيلي عبر الفرات إلى الضفة الشرقية منه وانتصر على الحوريين هناك [6]، من أجل تأمين هذه المنطقة تمهيداً لحملته العسكرية المرتقبة ضد بابل التي تحالفت مع حلب سابقاً[7]. والواقع أن عبارة تدمير كل مدن الحوريين هي مبالغ فيها، لأن ذلك يعني إخضاع الحوريين له بالكامل، وهذا ما لم يحصل على الإطلاق، والأحداث اللاحقة تثبت ذلك، فمورسيلي الأول عند توجهه نحو بابل قد واجه عدداً من الأمراء الحوريين في معركة وقعت بين الطرفين[8] ، ومع ان النص كسابقهِ لم يحدد أين التقى الطرفان ، لكن نستطيع أن نرجح بأن المكان المقصود أعالي شرق الفرات مركز تجمع الحوريين وقوتهم لاسيما أن الحملة ضد بابل انطلقت بمحاذاة شرق الفرات لتنتهي باحتلال بابل عام 1595 ق.م[9]. غير أن الملك الحثي انسحب بسرعة من بابل بعد أن سلمها للكاشيين. والواقع أن مثل هذا المكسب الكبير لم يترك بسهولة لولا أن شيءً خطيراً أجبر مورسيلي على الانسحاب،

---

(1) David Warburton, Love and War, p. 80.
(2) Gurney, Op. cit., p. 215.

(3) جورج رو، المصدر السابق، ص 331.

(4) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 164؛ عبد العزيز عثمان، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (دمشق، ب.ت)، ص 380.

(5) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 164.

(6) كما مر بنا فإن الحوريين كانوا ينتشرون في شمالي سوريا على الضفتين الشرقية والغربية من نهر الفرات، وبالنسبة للضفة الشرقية تمتد إلى منطقة مثلث الخابور (أعالي الجزيرة السورية).

(7) Hoffner, Op. cit., PP. 172-173.

(8) هاري ساكز، عظمة بابل، ص 94.

(9) بعد أن دمر مورسيلي حلب وأمن طريق قواته إلى بابل سار جنوباً بمحاذاة الفرات على مسافة نحو 500 ميل إلى بابل واستطاع من احتلالها عام 1595 ق.م في عهد آخر ملوك سلالة بابل الأولى سمسو ديتانا (1625 – 1595 ق.م)، غير أن النص الحثي الذي يتحدث عن هذه الحملة كان مقتضباً ولم يفهم منه كيف تم احتلال بابل، ويظهر أن الحثيين تلقوا مساعدة من الكاشيين الذين كانوا موجودين عند الفرات في منطقة عانه على الطريق نحو بابل، بدليل أن الحثيين بعد انسحابهم من بابل سلموها إلى الكاشيين. ينظر: فوزي رشيد، حمورابي مجدد وحدة البلاد، الموسوعة الذهبية، العدد 5، ط1 (بغداد، 1991)، ص 102.

ويرجح أن الحوريين كانوا هم السبب المباشر في هذا الانسحاب ، بسبب تهديدهم المستمر للأراضي التابعة للمكلة الحثية في ظل غياب الملك الحثي[1]. ويستشف من النص الحثي القليل الذي يتحدث عن احتلال بابل ، بأن مورسيلي التقى مع الحوريين في معركة أخرى عند عودته من بابل إلى حاتوشا، وتمكن من الانتصار عليهم "**فيما بعد هو [مورسيلي] سار إلى بابل وهو دحر بابل، وهزم قوات حورية، ونقل الأسرى وممتلكات بابل إلى حاتوشا**"[2]. هذا ويضاف سبب آخر إلى السبب الحوري في انسحاب مورسيلي من بابل، يتمثل بسماعه أخبار عن مؤامرات تحاك في حاتوشا لانتزاع العرش منه، ومع وصوله هناك ، إلا أنه لم يتمكن من القضاء على تلك المؤامرات حيث اغتيل بعد مدة قصيرة من رجوعه من بابل[3].

ولم تكن وفاة مورسيلي نهاية المطاف بالنسبة للحوريين، إذ أن حدود أمنهم أصبحت بالنسبة لهم هو القضاء على قوة الحثيين، أو في الأقل إضعافها، لذلك استمرت الهجمات الحورية على أملاك الدولة الحثية في عهد الملك الحثي الجديد خانتيلي الأول (1590−1560 ق.م) قاتل مورسيلي الأول[4]، وهذا ما دعا الملك الحثي الجديد بمهاجمة الأراضي السورية الشمالية من أجل ردع الحوريين هناك، إذ اجتاز مدينة كركميش[5]، على الفرات[6]، ومع أن نتائج الحملة غير واضحة، لكن يبدو أن خانتيلي اضطر للرجوع لعاصمته ، بسبب حدث ألم به عزاه النص إلى انتقام الأرباب لقتله مورسيلي، فكان ذلك بمثابة نصر للحوريين[7]. ولم يكتف الحوريون بهذا، إذ كان طموحهم أكبر من ذلك، وهو ضرب الحثيين في عقر دارهم، وبينما كان خانتيلي مشغولاً

(1) MacQueen, Op. cit., P. 44.

(2) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 173.

(3) هاري ساكز، عظمة بابل، ص 91؛ سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 247.

(4) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 247؛ Hoffner, Op. cit., P. 173.

(5) كركميش (طرابلس الحالية) تقع على الضفة الغربية من نهر الفرات على الحدود السورية التركية، لكن الموقع الأثري الآن يقع في الجانب التركي. قامت بعثة بريطانية في التنقيب فيه بين 1911−1920 م وأكدت وجود مدينة كركميش في هذا المكان. ينظر: قاسم طوير، ارتحال المدن ومواطن الاستقرار في حوض الفرات عبر العصور (دمشق، 1989)، ص 39.

(6) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 178.

(7) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 247.

ببعض الاضطرابات الداخلية هاجم الحوريون الجزء الشرقي من مملكته فدمروا مدينتي (نيريك) المقدسة و (تيليورا) القريبتين من العاصمة حاتوشا[1]، وهذا يعني أنهم أصبحوا على مشارف العاصمة الحثية. لكن من الواضح أنه كان هجوماً انتقامياً سريعاً إذ لم يثبت الحوريين لهم موطئ قدم في بلاد الحثيين. ويظهر من نص عثر عليه في حاتوشا مدون باللغة الأكدية بأن زوجة خانتيلي وتدعى خارابشيلي (Harapšili) وأولادها قد حملهم الحوريون كأسرى بعد انسحابهم من ذلك الهجوم ثم احتجزوا في مدينة شوغار (شوكزيا)[2]، التي يعتقد أنها تقع في المناطق الجبلية إلى الشمال من كركميش داخل بلاد الأناضول[3]، ثم تم قتلهم هناك من قبل جماعة ليست بالحورية، تمكن خانتيلي فيما بعد من إلقاء القبض عليها وإنزال العقوبة بها[4]. ويبدو من النص أن مدينة شوغار من المدن التي كانت تكن العداء للحثيين، لذلك فإن الحوريين سلموا هؤلاء الأسرى لها ليتم تصفيتهم هناك دون أن يتورطوا بقتلهم.

وتشير الأحداث الممتدة بين عامي (1560–1500 ق.م) إلى أن النشاطات العسكرية الحثية في سوريا كانت شبه معدومة، وسبب ذلك أن المملكة الحثية قد انشغلت منذ وفاة مورسيلي الأول بالصراعات الداخلية حول وراثة العرش. وإذا كان خانتيلي الأول قد قام بحملة بسيطة إلى سوريا ، فإن خلفاؤه لم يقوموا بمثل هذا العمل[5]، ومن ثم توقفت حالة الصراع بين الحوريين والحثيين، وبقيت المصادر الحثية صامتة لا تحدثنا عن النشاط العسكري الحوري، حتى كسر الصمت أخيراً مع بداية القرن الخامس عشر أو قبله بقليل حيث نتواجه فجأة مع ظهور دولة ميتاني.

يمكن القول مما سبق أن الحوريين كانوا من القوة في بداية عهد المملكة الحثية القديمة ما يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم ومصالحهم شمال سوريا، وكانوا يشكلون تهديداً مستمراً للملكة الحثية القديمة، وإن النص الذي قدمه حاتوشيلي وهو يصف عدوه الحوري الذي دخل بلاده قد صيغ بأسلوب حاد يعطي انطباعاً عن قوة الحوريين، مع الاعتراف بأن هذه القوة لم تكن كافية لدرء الخطر الحثي بالمرة، الذي لولا المشاكل

---

(1) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 247.

(2) A. Goetze, “On the Chronology of the Second Millennium B.C” in JCS, Vol. II (1957), P. 56.

(3) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 179.

(4) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 247.

(5) للإطلاع على هذه المرحلة، ينظر: صلاح رشي الصالحي، المصدر السابق، ص ص 180–185.

الداخلية التي عصفت ببلاده لعاود هجماته على شمال سوريا. كما نستنتج من تلك الأحداث بأن الحوريين ما زالوا حتى هذا الوقت غير متحدين تحت قيادة دولة واحدة بل عبارة عن دويلات متفرقة تساعد أحدها الأخرى، فالنصوص الحثية السالفة الذكر تتحدث عنهم بصيغة الجمع، ولم تذكر اسم ملكهم، حيث نجد تعبير الأمراء الحوريون. وفي نص يعود لعهد مورسيلي الأول يقول "**أربعة من ملوك الحوريين**"[1]. دون أن يذكر أسمائهم.

من جانب آخر كان احتلال حلب يمثل ضربة آنية للحوريين المتحالفين معها منذ أيام حاتوشيلي الأول (1650–1620 ق.م)[2]، لأن انهيار حلب القوية يعني زعزعة الوجود الحوري شمالي سوريا، لكن بوفاة الملك الحثي مورسيلي الأول تحول انهيار حلب لصالح الحوريين، ذلك أن المملكة الحثية بعد مصرع مورسيلي الأول انشغلت بنزاعاتها الداخلية، ومن ثم جمود سياستها الخارجية لعدة عقود، ولما كانت مملكة حلب قد ضعفت قوتها في هذا الوقت، فقد استغل الحوريون كل ذلك ليظهروا على الساحة الدولية كقوة مؤثرة متمثلة بدولة ميتاني، وهذا ما سنتناوله في المبحث القادم.

---

(1) هاري ساكز، عظمة بابل، ص 65.

(2) لقد أشار إلى هذا التحالف الملك ادريمي Idrimi، أحد ملوك حلب في النصف الأول من القرن الخامس عشر ق.م. ينظر: Wilhelm, Grundzuge der, P. 39.

المبحث الثاني

قيام دولة ميتانـي

فـي الوقـت الـذي كانـت فيـه الدولـة الحثيـة القديمـة بعـد وفـاة مورسـيلي الأول (1620–1590 ق.م) غارقـة فـي مسـألة الصـراعات الداخليـة ، وباتجـاه نهايـة القـرن السـادس عشـر وبدايـة القـرن الخـامس عشـر ق.م، تواجهنـا قضـية مهمـة جـداً، وهـي تأسـيس مملكـة جديـدة عرفـت بمملكـة ميتـاني (Mittani)، التـي تمكنـت مـن توحيـد الدويلات الحوريـة المنتشرة في شمالي بـلاد الرافدين وسوريا تحت قيادتها، وهـي المرة الأولى التي تتحد فيها تلك الدويلات الحورية تحت قيادة ملك واحد[1].

يتفـق معظـم البـاحثين علـى أن تشكيل أو تكـوين دولـة ميتـاني مـرتبط بقـدوم مهاجرين هندواريين من المناطق الجبلية شرقي الأناضول في وقت ما إلى شمال بـلاد الرافدين، وشمال سوريا، ثم اختلطوا مع الحوريين هناك، وإن هؤلاء شكلوا أرستقراطية حربية فرضت نفسها على جموع الحوريين[2].

والآن كيف ومتى قامت هذه الدولة، ومن هو المسؤول الفعلي عن قيامها؟

الواقع إن الغموض ما زال يحيط ببدايات التاريخ الفعلي لقيام هذه الدولـة، فلم تتوفر بعد أدلة دقيقة عن قيامها، لاسيما أن عاصمة هذه الدولة التي تدعى واشوكاني (Waššukkani) لـم يعثـر عليهـا لحـد الآن. ومـع ذلـك يمكـن وضـع صـورة تقريبيـة لبدايات هجرة أولئك الهندواريين[3]، إذ أن البحث في المادة اللغويـة التـي طرأت علـى الوثـائق المكتشفة فـي نـوزي خـلال القـرن السـادس عشـر ق.م تشير إلـى وجـود أسماء ومصطلحات هندوارية لافتة للنظر، أما قبل هذا التاريخ فلا توجد مثل هذه الحالات[4]. وفـي الالاخ ثـاني أكبـر مركـز تجمـع للحـوريين بعـد نـوزي ظهـر فيهـا الهنـدواريين فـي

---

(1) Kupper, Op. cit., P. 36; H. Klengel, “Mitanni”, in RHA, Vol. 36 (1978), PP. 91-92.

(2) Hallo and Simpson, Op. cit., P. 107; Margaret, Op. cit., PP. 420-423; Kupper, Op. cit., P. 38; Klengel, Op. cit., PP. 91-92;

جورج رو، المصدر السابق، ص 318؛ جان كلود مارغون، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسوريا الشمالية، ترجمة سالم سليمان عيسى، ط 2 (دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع، 2006)، ص 78.

(3) الهندواريين يشكلون الفرع الآسيوي من الشعوب الناطقة باللغات الهندوارية. ينظر: جورج رو، المصدر السابق، ص 311.

(4) Kupper, Op. cit., P. 38; Margaret, Op. cit., P. 420.

الطبقة الأثرية الرابعة (تحدثنا عناها سابقا) مع أوائل القرن الخامس عشر ق.م، وهذا يعني أنهم تغلغلوا إلى شمالي سوريا خلال القرن السادس عشر أيضاً[1].

ويرى الباحث جيرنوت فيلهلم إن مجموعات قليلة ناطقة الهندوارية فصلت نفسها عن التيار الرئيس لتلك القبائل المرتحلة عبر إيران إلى الهند ، ثم سارت مع مجاميع حورية مهاجرة إلى بلاد الرافدين وسوريا، وقد هجرت لغتها منذ وقت مبكر[2]. ومن المرجح جداً أن هذه الهجرة قد حصلت بعد انهيار سلالة بابل الأولى، ووقوع بلاد بابل تحت السيطرة الكاشية[3]، طالما أن أسماء الأعلام والمصطلحات ذات الأصل الهندواري قد ظهرت خلال القرن السادس عشر ق.م، هذا مع العلم أن بلاد آشور كانت في وقت انهيار سلالة بابل الأولى تعاني من حالة ضعف كانت قد حلت بها بعد أن نالت استقلالها من سيطرة الملك البابلي حمورابي، واستمر هذا الضعف لحوالي قرنين من الزمن (1740 – 1521 ق.م)[4]. لكن ما هو دور أولئك المهاجرين في عملية توحيد الدويلات الحورية.

الحقيقة أن الأحداث التاريخية تؤكد أن لهؤلاء دوراً مهماً وحقيقياً في عملية التوحيد، فالتاريخ الحوري الذي ابتدأ منذ هجرتهم إلى شمال بلاد الرافدين في أواخر الألف الثالث ق.م، وحتى النصف الأول من القرن السادس عشر ق.م هو تاريخ دويلات أو مدن متفرقة معروفة بشكل عام باسم بلاد حوري، ومع بداية القرن الخامس عشر نفاجأ بظهور دولة حورية موحدة تعرف باسم دولة ميتاني، وبما أن قادة هذه الدولة يحملون أسماء هندوارية[5]، فهذا يعني أن ذلك التغيير في التاريخ السياسي الحوري حصل بفعل تغيير عرقي ، بدليل أن ملوك الدولة الميتانية هم هندواريين[6]. ويمكن وضع عدة عوامل ساعدت الهندواريين على توحيد بلاد حوري وقيادتها منها:

---

(1) Kupper, Op. cit., P. 38.
(2) Wilhelm, Grunzuge der, P. 32.
(3) Margaret, Op. cit., P. 420;
جان كلود مارغون المصدر السابق، ص 78؛ عبد العزيز صالح، المصدر السابق، ص ص 62-63.
(4) طه باقر، المقدمة، 1986، ج 1، ص 482.
(5) Herbert J. C. Muller, Freedom in Ancient World (London, 1962), P. 87.
(6) يحمل جميع ملوك الدولة الميتانية أسماء هندوارية، كما إنهم عبدوا آلهة هندوارية عددها أربع هي (فارونا، ميثرا، اندرا، ناسيتا) وكانت عبادة هذه الآلهة محصورة في نطاق السلالة الهندوآرية الحاكمة فقط. ينظر:
Wilhelm, Grundzuge der, P. 32

1– تفوقهم في أساليب القتال، فهم كانوا من مربي الحصان، ولديهم تسليح جيد، حيث كانوا يستخدمون طرازاً جديداً من العربات الخفيفة[1] ذات عجلتين يجرها جوادان[2]،وتدعى مثل هذه الطبقة بالماريانو([3]) وهي التي كان لها دور كبير في تاريخ حملات الميتانيين العسكرية[4]. كذلك استخدامهم الأقواس المركبة ومعرفتهم بفنون حصار المدن[5]. ولعل هذه الأساليب العسكرية قد استخدمها هؤلاء الهندواريين لمساعدة الحوريين في معاركهم السالفة الذكر مع الحثيين ، ومن ثم تكون تلك الحروب جزءً من تاريخ بدايات تشكيل دولة ميتاني[6]. والمهم أنه بمرور الوقت تمكن هؤلاء بما اوتو من خبرة عسكرية وذكاء سياسي في فرض أنفسهم ، وقيادة جموع الحوريين[7]، في وقت كان فيه الحوريون بأمس الحاجة لهذه الوحدة لمواجهة الدولة الحثية. ومن خلال النصوص المتوفرة يبدو أن الحوريين كانوا مقتنعين بفكرة توحيد دويلاتهم لمواجهة الأخطار، لذلك لم نلحظ أن هناك خلافات بين الملوك الميتانيين والحوريين ، أو معارك فيما بينهم ، إلا في أواخر عصر الدولة الميتانية.

2 – المشاكل التي كانت تمر بها الدولة الحثية بعد مصرع مورسيلي الأول قد منعت الحثيين من التوجه إلى شمال سوريا والاصطدام بالحوريين لسنين طويلة، في الأقل في المدة المحصورة بين عامي (1560–1500ق.م)، وهذا الحال أعطى الوقت الكافي لقيام تلك الوحدة.

3– الحالة السياسية لكل من بلاد الرافدين وسوريا، فجنوب بلاد الرافدين (بلاد بابل) وقعت مع بداية القرن السادس عشر ق. م تحت الاحتلال الكاشي الذي انطوى على نفسه ولم ينشغل بمشاكل دول الشرق الأدنى القديم الأخرى. أما شمال بلاد الرافدين (بلاد آشور) فقلنا عنها أنها كانت تمر بحالة ضعف شديد بعد تحررها من

---

(1) إن استخدام العجلات الحربية لا يعني إنهم هم أول من أدخلها إلى بلاد الرافدين وسوريا، أو الشرق الأدنى القديم بشكل عام، فهي موجودة وأخذت بالتطور شيئاً فشيئا، وما حصل هنا أن الهندواريين هنا كانوا متفننين في استخدامها وأدخلوا عليها تحسينات حربية. ينظر: مجموعة من الباحثين الأوربيين والعرب، كتاب الآثار السورية، ص 126.

(2) اسكندر داود، الجزيرة السورية بين الماضي والحاضر (دمشق، 1959)، ص 129.

(4) Wilhelm , op.cit.,p.72.

(4) Kupper, Op. cit., P. 33; Astour, "Hattusilis Halab", P. 105.

(5) Klengel, "Mitanni", P. 92.

(6) Ibid., P. 92.

(7) Margaret, Op. cit., P. 420.

سيطرة حمورابي، وأمتد هذا الضعف نحو قرنين. وفي سوريا وتحديداً شمالها لم تحصل حالة من الوحدة السياسية بين الدويلات الأمورية القائمة هناك[1]، ومن ثم كان هناك فراغ سياسي بعد سقوط حلب.

كل هذه العوامل ساعدت على قيام تلك الوحدة، لاسيما أن الحوريين كانوا ينتشرون في شمالي بلاد الرافدين، وشمالي سوريا ، أي المنطقة الممتدة من جبال زاكروس شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً.

إن هذه المعطيات جميعاً تدفعنا إلى الاعتقاد بأن عملية توحيد الدويلات الحورية تحت قيادة دولة ميتاني قد حدثت في النصف الثاني من القرن السادس عشر ق.م، لأنه الوقت الذي شهد فراق القوة في منطقة شمالي بلاد الرافدين، وشمالي سوريا مركز تجمع الحوريين.

لقد تحولت بلاد حوري في ظل الطبقة الحاكمة الهندوارية إلى دولة واحدة عرفت بدولة ميتاني ، التي أصبحت خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م، دولة واسعة امتد نفوذها من جبال زاكروس شرقاً باتجاه بلاد آشور (كل شمالي بلاد الرافدين) إلى شمالي سوريا حتى سواحل البحر المتوسط غرباً، وشمالاً إلى بحيرة وان[2] (موطن الحوريين الأصلي). طبعاً فإن هذه الحدود كانت تتغير أو تتقلص تبعاً لقوة وضعف الدولة.

على أن هذا لا يعني بأن تلك الطبقة الهندوارية وحدها صاحبة ذلك الامتداد والتوسع، وإن تاريخ لما بعد عام 1500 ق.م هو تاريخ تلك الطبقة، فالواقع التاريخي والحضاري يثبت بأن أولئك الهندواريين لم يمثلوا إلا فئة بسيطة في المجتمع الحوري[3]، وإن الحوريين يمثلون نواة الدولة الميتانية[4]، صحيح أن ملوك الدولة الميتانية هم هندواريين غير أن معظم القادة العسكريين والأمراء والجيش بمعظمه حوري[5].

---

(1) جباغ قابلو، المصدر السابق، ص 203.

(2) Goetze, “Mitannianas and Hittetes –tushratta and shuppiluliumash”in CAH ,.vol. 11 ,part. 2 (Cambridge, 1975), P. 3;

فولفرام فون زودن، مدخل إلى حضارات الشرق الأدنى القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، ط1 (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2003)، ص 63؛ هاري ساكز، عظمة بابل، ص 94.

(3) Hallo and Simpson, Op. cit., P. 107; Klengel, “Mitanni”, P. 92;

محمد حرب فرزات، تاريخ سوريا القديم (دمشق، 1982)، ص 141.

(4) هاري ساكز، عظمة بابل، ص 94؛ طه باقر، المقدمة، ج2، ص 364.

(5) Hallo and Simpson, Op. cit., P. 107; Klengel, “Mitanni”, P. 92.

ومن ناحية التأثير الحضاري للهندواريين على الحوريين كان شبه معدوم، وظلت اللغة الحورية هي السائدة[1]، ولعل هذا يدل على قلتهم، وهو بالمقابل يعني أن الجهد الحوري لبناء تلك الدولة كان كبيراً، ومن غير الممكن لتلك الفئة الصغيرة فعل تلك الإنجازات لوحدها، لذلك فإن النظرية التي جاء بها بعض الباحثين والتي تقول بأن دولة الميتانيين هي هندوآرية تحكم شعباً غير آري[2]، وكأن التاريخ الحوري خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م هو تاريخ دولتين منفصلتين تحكم أحداهما الأخرى، بمعنى أن دولة ميتاني هي دولة هندوآرية خالصة تحكم مملكة الحوريين ذات الأصل غير الهندواري هي نظرية غير صحيحة، فدولة ميتاني ذات أغلبية حورية، لكن الدور القيادي فيها كان بيد فئة الهندواريين[3] الذين تسلموا السلطة للأسباب الآنفة الذكر.

والواقع حتى أن هؤلاء الهندوآريين لا يمكن عدهم غزاة بل مهاجرين جاؤوا مع الحوريين أو لوحدهم ، ثم انصهروا في المجتمع الحوري[4]، وأصبحوا جزءاً منه ، حتى أنهم هجروا لغتهم بعد دخولهم المجتمع الجديد. ومن هنا يرى الباحث جيرنوت فيلهلم بأن حكاية "السادة الهندواريين" هي خرافة ويجب استبدالها بأخرى حورية، لأن الفئة الهندوارية انصهرت مع الشعب الحوري منذ وقت مبكر من هجرتها[5]. لكن مع ذلك تبقى نظرية كون ملوك دولة ميتاني ذي أصول هندوآرية حقيقة قائمة. ومن كل ذلك يرى عدد كبير من الباحثين بأن التعبير ميتاني هو تعبير يدل على الحالة السياسية لبلاد حوري بعد التوحيد [6] (القرن الخامس عشر وجزء كبير من القرن الرابع عشر ق.م) ونحن نتفق مع هذا الرأي تماماً.

وفيما يتعلق بمعنى اسم ميتاني فهو غير معروف بشكل مؤكد، لكن يرجح أن هذا الاسم الذي يذكر أحياناً بصيغة أشمل تحت اسم "بلاد ميتاني" يرجع أصله إلى

---

(1) محمد حرب فرزات، المصدر السابق، ص 141.

(2) Muller, Op, cit., P. 87; اسكندر داود، الجزيرة السورية بين الماضي والحاضر، ص 124.

(3) هاري ساكز، قوة آشور، ص 65؛ جون اوتس، بابل تاريخ مصور، ص 133؛ جان يويوت، مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران (القاهرة، 1966)، ص 114؛ جبن بوترو،المصدر السابق، ص 201.

(4) انطون مورتكات، المصدر السابق، ص 203؛ Klengel, “Mitanni”, P. 92

(5) Wilhelm, Grundzuge der, P. 32.

(6) Gelb, Op. cit., P. 75; Astour, Op. cit., P. 105; Margaret, Op., cit., P. 423; ماريو سالفيني، المصدر السابق، ص 267.

اسم مدينة تدعى "متن" ، ذلك لأنه ورد في النصوص المصرية القديمة العائدة للأسرة الثامنة عشر عبارة "خاسوت متن" وتعني أراضي متن[1]، وهو ربط معقول لاسيما أن كثير من الأقوام القديمة قد تسمت باسم الأرض التي سكنتها، وإذا ما صح هذا التفسير ، فإن هذه المدينة لا بد وأنها تقع ضمن حدود مركز دولة ميتاني.

هذا ويدل اسم ميتاني[2] من ناحية جغرافية بحسب ما أشارت إليه النصوص الحثية، والمصرية ،والميتانية نفسها، والآشورية فيما بعد على المنطقة الواقعة بين المنعطف الكبير لنهر الفرات، والمجرى العلوي لنهر دجلة، ومركزها منطقة مثلث ينابيع الخابور أعالي سوريا[3]. وتمتد شمالاً لتشمل أيضاً مناطق طور عابدين[4]، والسهول المحيطة بمدينة ديار بكر حتى حدود بلاد اشووا (Išuwa)[5]، وألشي (Alši)[6] من الناحية الشمالية[7]. ومن الجدير بالذكر أن اسم خانيجلبات الذي يرد ذكرها في النصوص الآشورية بشكل خاص، والنصوص الحثية، وفي وثائق من أوغاريت وألالاخ، ورسائل تل العمارنة، يدل تقريباً على المنطقة الجغرافية ذاتها التي تمثلها ميتاني ، وهذا يعني أن كلا المصطلحين (ميتاني وخانيجلبات) كان يستخدمان بشكل مترادف[8]، والفرق بينهما هو أن خانيجلبات تستخدم كتعبير جغرافي للإشارة إلى هذه المنطقة، أما ميتاني فهو تعبير سياسي يستخدم للإشارة إلى دولة ميتاني ومركزها في هذه المنطقة[9]. هذا مع العلم أنه في المصادر الآشورية اللاحقة (خلال القرن الثالث

---

(1) Wilhelm, Grundzuge der, P. 42;
عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص 62؛ سليم حسن، المصدر السابق، ص 629.

(2) ذكر اسم ميتاني في النصوص المبكرة بصيغة مايتاني Maitani،و ميتانّي Mitanni ، ثم صار الاسم الشائع فيما بعد هو ميتاني Mittani ينظر:
Bienkowskin and Millard, Op. cit., P. 200; Miroop, Op. cit., P. 142; Wilhelm, "Mittani, Mitanni, Maitani", in RLA, Vol. 8, Part 3-4 (1999), PP. 286-287.

(3) Miroop, Op. cit., P. 142; Wilhelm, "Mittani", P. 286;
جورج رو، المصدر السابق، ص 344.

(4) طور عابدين: بلدة جبلية تقع ضمن منطقة نصيبين. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 48.

(5) تقع مملكة اشووا القديمة أعالي الفرات إلى الشرق من منعطف نهر الفرات الكبير، قرب بحيرة كيبان حاليا في تركيا. ينظر:
Sidny Smith, Early History of Assyria to 1000 B.C, (London, 1928), P. 244.

(6) ألشي: مملكة قديمة تقع شمال نهر دجلة عند جزئه العلوي الذي يجري من الغرب إلى الشرق. ينظر:
Wilhelm, Grundzuge, P. 43

(7) Wilhelm, Grudzuge der, PP. 42-43.

(8) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 164.

(9) Gelb, Op. cit., P. 75p; Astour, "Hattušiliš Halab", P. 105.

ق.م) استخدم مصطلح خانيجلبات مكان ميتاني كتعبير سياسي أيضاً. (ينظر ص 146 وما بعدها من الأطروحة).

أما عاصمة الدولة الميتانية فتدعى واشوكاني (Waššukkani)[1] التي لم يعثر على موقعها حتى الآن، ومع أن هناك من الباحثين من يرى أنها ترقد تحت تل الفخيرية أو فخارية الذي يقع في أعالي الخابور، وتحديداً بجوار مدينة رأس العين الواقعة عند رأس نهر الخابور بشمال سوريا[2]. إلا أن التنقيبات التي أجرتها البعثة الأمريكية عام 1940م، ثم البعثة الأمريكية الأخرى التي ترأسها الأستاذ انطون مورتكات بين عامي 1955–1956 لم تؤيد هذا التعيين[3]، فلم يظهر من هذه التنقيبات ما يدل على أن واشوكاني تلك العاصمة المهمة التي كانت مركزاً لواحدة من قوى الشرق الأدنى القديم الكبرى موجودة في هذا التل[4]. لذلك هناك من يرجح بأن واشوكاني تقع في منطقة أبعد شمالاً من تل الفخرية تقريباً في نواحي ماردين[5] شمال سوريا[6]، وفي كل الأحوال نرى بأن العاصمة المفقودة واشوكاني تقع في مكان ما ضمن منطقة أعالي الخابور مركز النشاط السياسي والعسكري الميتاني خلال القرنين الخامس عشر والجزء الأكبر من القرن الرابع عشر ق.م.

والحقيقة أن عدم الكشف عن العاصمة الميتانية لحد الآن أدى إلى غياب السجل الملكي الرسمي، ومن ثم فقدنا جزءاً مهماً وحيوياً من التاريخ السياسي لميتاني سواء الداخلي منه أو الخارجي. لهذا جاءت معظم التوثيقات والمعلومات عن ذلك التاريخ من خلال المصادر المصرية، والحثية، والآشورية المتزامنة مع التاريخ الميتاني، والتي يمكن تكملتها بالنصوص المختلفة والقليلة التي جاءتنا من ميتاني[7]،

---

(1) March, Cultural Atlas, P. 135.

(2) فولفرام فون زودن، المصدر السابق، ص 63؛ محمد حرب وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 166؛ اسكندر داور، المصدر السابق، ص 124.

(3) علي أبو عساف، أثار الممالك القديمة في سورية، ص 55؛ طه باقر، المقدمة، 1986، ج2، ص 543، هامش 13.

(4) March, Cultural Atlas, P. 135.

(5) ماردين: قلعة جبلية تقع ضمن منطقة ديار بكر، وتشرف على نصيبين. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ص 39.

(6) Wilhelm, Grundzuge, P. 46.

(7) Miroop, Op. cit., P. 142.

وهذه الأخير عثر عليها ليس في مركز الدولة الميتانية نفسها بل من أطرافها التابعة لها، ومنها نوزي وارابخا في الشرق، وألالاخ وأوغاريت في الغرب[1].

كما إن غياب العاصمة الملكية أدى إلى غياب قوائم الملوك، وبالتالي صعوبة ترتيبهم على وفق التسلسل الزمني مع ما متوفر من نصوص ميتانية، لذلك تم الاعتماد في هذا الأمر على تسلسل حكام مصر وحيثي مع ما يعاصرهم من ملوك ميتاني خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م، وكان للعلاقات القائمة بين هذه الأطراف الثلاثة خلال هذه المدة الدور الأساس في ذلك، إذ أن معظم أسماء أولئك الملوك تظهر من خلال هذه العلاقات.

(1) Hallo and Simpson, Op. cit., P. 107.

المبحث الثالث

ميتاني من الدولة إلى الإمبراطورية:

بعد توحيد بلاد حوري تحت التاج الميتاني أصبحت الدولة الميتانية قادرة على التوسع، وصد أي اعتداء خارجي يحاول التعرض لمصالحها ، لاسيما في مناطق شمال سوريا التي شهدت تنافساً دولياً كبيراً خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م بهدف السيطرة عليها، ويظهر أن الدولة الميتانية حديثة النشوء قد رأت بفكر ثاقب بأن الحفاظ على كيانها يكمن في السيطرة على شمالي سوريا، وهو المكان الذي يرى فيه الميتانيون بأن لهم أحقية السيادة عليه من الدولة الحثية أو غيرها، وإذا ما تمت السيطرة على هذه المنطقة فسيكون ذلك بمثابة حزام أمني ضد التوسع الحثي من الشمال، والتوسع المصري من الجنوب. ولحسن حظ الدولة الميتانية فإن الظروف السياسية التي كانت تمر بها دول منطقة الشرق الأدنى القديم قد خدمت السياسة التوسعية الميتانية تلقائياً في أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن الخامس عشر ق.م.

فالدولة الحثية التي قلنا عنها بأن نشاطاتها العسكرية في عهد خلفاء خانتيلي الأول (خليفة مورسيلي الأول) كانت شبه معدومة ، قد شهدت تحسناً ملحوظاً في عهد رابع خلفاء خانتيلي الأول الملك تلبينو (1525–1500ق.م)، وفي العقود التالية لما بعد عام 1500 ق.م لم يكن للملوك الحثيين من بعد تلبينو أي نشاطات عسكرية مهمة في منطقة الشرق الأدنى القديم لاسيما شمال سوريا، فكانت سياستهم لا تتعدى فرض سيطرتهم على الوطن الحثي، والمناطق الرعوية القريبة منه[1]، ولا يوجد دليل يثبت بأن ذلك الانحلال في التأثير السياسي الحثي كان بسبب التدخل الميتاني المباشر في القضايا الداخلية للحثيين[2].

وبالنسبة للدولة الآشورية فلم تكن بأحسن حال من سابقتها ، فآشور التي سبق وأن وقعت تحت سيطرة الملك البابلي حمورابي، حتى بعد أن نالت استقلالها على أثر وفاة حمورابي لم تظهر كقوة على الساحة الدولية ، بل شهدت فترة غموض لأكثر من قرنين (1740–1521ق.م)، ثم كسر هذا الغموض أخيراً سنة 1521ق.م عندما تسلم

(1) G. McMahon, ‘‘The History of Hittites’’, in BA, Vol. 52, part .2-3 (1989), P. 166.
(2) Gelb, Op. cit., P. 68.

الملك الآشوري بوزر آشور الثالث الحكم (1521-1498ق.م)[1]، ليبدأ العصر الآشوري الوسيط (1521-911ق.م) الذي يتزامن بدايته مع قيام الدولة الميتانية، ولكن حتى مع بدايات هذا العصر لم يكن للآشوريين بعد من القوة والتأثير بحيث يهددوا استقرار الدولة الميتانية، لاسيما أن الآشوريين كانوا يشعرون بقوة هذه الدولة المحاذية لهم، فاضطروا للاعتراف بقوتها[2]. ولم يرد في أي نص بأن الآشوريين مع بدايات القرن الخامس عشر أو حتى لعقود لاحقة حاولوا الامتداد على حساب الأراضي الميتانية المجاورة.

وبعيداً إلى الجنوب في بلاد بابل التي كانت لها اليد الطولى على مناطق مهمة من الشرق الأدنى القديم لاسيما في عهد حمورابي (1792-1750ق.م) فإنها الآن تحت وطأة الاحتلال الكاشي (1595-1162ق.م) الذي لم يكن طموحه أكثر من الاحتفاظ بسيطرته على بلاد بابل دون التوسع إلى الخارج، وبدلاً من ذلك كان الاهتمام بالنشاطات العمرانية[3]، فالكاشيون أدركوا عدم قدرتهم على مقارعة القوة العسكرية للدولة الميتانية، والحثية، والمصرية ، لهذا رأوا من الافضل لهم التزام جانب الحياد، والاقتناع بالسيطرة على بابل، والاتفاق مع الآشوريين على ترسيم الحدود فيما بينهما، ثم الاكتفاء بإقامة علاقات طيبة مع مصر[4].

أما مصر المنافس الخطير للميتانيين على سوريا، فعلى الرغم من تحررها من سيطرة الهكسوس نحو سنة 1570 ق.م بقيادة الملك أحمس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشر[5]، إلا أنها لم تمثل خطراً حقيقياً على ميتاني حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر ق.م، فكان جل اهتمام الحكام الأوائل من الأسرة الثامنة عشر هو

---

(1) جاء من زمن بوزر آشور الثالث فقرة تاريخية قطعت ذلك الصمت أو الغموض، حيث ورد في التاريخ التعاصري بأن بوزر آشور الثالث والملك الكشي (ملك بلاد بابل) بورنابورياش اقسما يميناً، وعينا بينهما حدوداً ثابتة، فعد هذا النص بداية عصر آشوري جديد هو العصر الآشوري الوسيط. ينظر: وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، ص 42.

(2) ف. دياكوف وس. كوفاليف، الحضارات القديمة، ترجمة نسيم واكيم اليازجي، ط2 (دمشق: دار علاء الدين للنشر، 2006)، ج1، ص 159؛ جورج رو، المصدر السابق، ص 343.

(3) طه باقر، المقدمة، ج1، ص 453.

(4) المصدر نفسه، ص 460؛ جورج رو، المصدر السابق، ص 343.

(5) جيمس هنري برستد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة الدكتور حسن كمال، ط2 (القاهرة، 1996)، ص 146.

إعادة فرض سيطرتهم على وادي النيل، وإعادة ترتيب الأوضاع الداخلية[1]، لذا كانت حملاتهم الخارجية غير دائمة النتائج ، الغرض منها إبعاد الأخطار المحتملة من جيرانها، وإقامة حزام أمني حول حدودها[2]، فأحمس الأول الذي قاد حرب التحرير ضد الهكسوس ، وتابعهم حتى فلسطين انسحب مكتفياً بطردهم إلى هناك[3]. أما خليفته امنحوتب الأول (1525–1504ق.م)[4]، فعلى الرغم من أن الأخبار تقول أنه وصل إلى شمال سوريا[5]، إلا أنه لم يحقق نفوذ فعلي هناك ، ويبدو أن هدف تلك العملية الرئيس لم يكن أكثر من مطاردة الهكسوس انسحب على أثرها مكتفياً بدفع الجزية من بعض حكام تلك المنطقة[6].

وفي عهد الملك تحوتمس الأول (1504–1492 ق.م) خليفة امنحوتب الأول[7]، تحققت إنجازات عسكرية مهمة في بلاد الشام كان من الممكن أن يكون لها تأثير على التوسع الميتاني لو استمرت لمدة طويلة، إلا أن هذه الإنجازات كانت قصيرة انتهت بوفاته، فهذا الملك قد قام بالعديد من الحملات العسكرية ساعياً الى تأسيس إمبراطورية واسعة[8].

كانت أهم حملات تحوتمس الأول تلك التي توجه بها إلى بلاد الشام بهدف تأسيس تلك الإمبراطورية، فضلاً عن تحقيق الهدف الآخر للحملة وهو القضاء على الهكسوس الذين انسحبوا من مصر إلى هذه البلاد[9]، وفعلاً تمكن من إخضاع فلسطين وقسم كبير من سوريا[10]. ولعل أهم ما حققه في سوريا هو وصوله إلى

---

(1) جورج رو، المصدر السابق، ص 342؛ جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 167.

(2) علاء الدين شاهين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص 49.

(3) محمد الخطيب، مصر أيام الفراعنة، ص 45؛ هشام الصفدي، تاريخ سوريا القديم (دمشق: 1982)، ص 107.

(4) هورست كلينغل، تاريخ سوريا السياسي 3000–300 ق.م، ترجمة سيف الدين دياب، ط1 (دمشق: دار المتنبي للطباعة والنشر، 1998)، ص 105.

(5) جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص ص 165–168.

(6) ابراهيم أحمد زرقانة وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم ، ص 190.

(7) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 106.

(8) سامي سعيد الأحمد وجمال رشيد أحمد، المصدر السابق، ص 150.

(9) المصدر نفسه ، ص 150.

(10) أدولف أرمان وهرمان رانكه، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال (القاهرة: 1961)، ص 32، محمد الخطيب، المصدر السابق، ص 46.

أعاليها عند منحنى الفرات قرب كركميش[1]، وهناك اصطدم مع عدو يسكن أرض سماها المصريون بالكلمة الجزيرية نهارينا (أرض النهرين)[2]، ويقصد بها الأراضي التي تمتد بين نهر العاصي والفرات (بضفتيه) بالنسبة للمصريين[3]، ومع أن تحوتمس لم يذكر اسم العدو هنا، لكن من الأحداث اللاحقة تبين أن المصريين يقصدون بهذه المنطقة بلاد عدوهم الميتاني، ولعل ما يؤكد ذلك هو وثيقة وردت من عهد تحوتمس الأول تعود لشخص من عامة مصر وهو يتحدث عن سيرة حياته، إذ يذكر فيها عبارة "**عندما ذهب جلالته الى البلد الأجنبي الذي يدعى ميتاني**" وهو ما يعني أن تحوتمس اصطدم مع الميتانيين، وإن هذا العمل أصبح حادث مهم يؤرخ به[4]. ومن المتوقع أن الهكسوس الذين تقهقروا إلى سوريا قد عقدوا حلفاً مع أهل نهرين لمقارعة المصريين، وهو ما دفع تحوتمس للتوجه إلى هناك خوفاً من محاولة الهكسوس مهاجمة مصر مرة أخرى[5]، حيث فاجأ الميتانيين وانتصر عليهم، وعند انسحابه أخذ عدد من الأسرى بعد أن ترك لوحاً تذكارياً عند منحنى نهر الفرات يخلد انتصاره هناك[6].

والواقع أن أخبار هذه الحملة جاءت مختصرة جداً أوردها قائدان مشهوران من قادة تحوتمس الأول معروفين كل منهما باسم أحمس خلال تدوينهما سيرة حياتهما[7]. لكن بالرغم من قصر أخبار هذه الحملة، إلا أنها تعطي إشارة واضحة إلى اسم الدولة المنافسة لمصر في شمال ووسط سوريا خلال هذا الوقت ونعني بها ميتاني، كذلك نبهت الميتانيين على قدرة المصريين للوصول إلى شمال سوريا وتهديد كيانهم الحديث العهد هناك[8]. وعلى العموم فإن هذه الحملة لم تكن ذات تأثير واسع على الدولة الميتانية، إذ أن تحوتمس الأول انسحب سريعاً دون أن يثبت سيادته بشكل مباشر

---

(1) نجيب ميخائيل ابراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم (مصر، 1958)، ج 1، ص 30.

(2) عيد مرعي، بلاد الرافدين منذ أقدم العصور، ص 102؛ سيرالن جاردنر، مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم (القاهرة، 1973)، ص 202.

(3) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 164؛ جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 173.

(4) Astour, ‘‘Hatusilis’’, P. 104.

(5) سليم حسن، المصدر السابق، ص 260.

(6) جان يويوت، المصدر السابق، ص 112.

(7) جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 173؛ سليم حسن، المصدر السابق، ص 261.

(8) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 106.

على تلك البلاد الواسعة التي فتحها، حيث اكتفى بدفع الجزية[1]، وبعد وفاته انعدم النفوذ المصري في عهد خليفتيه تحوتمس الثاني (1492–1480ق.م) والملكة حتشبسوت (1479–1458ق.م)[2] اللذين لم يستأنفا أعمال تحوتمس الأول في بلاد الشام، حيث انشغلا بالنشاطات العمرانية، وتوطيد نفوذهما في بلاد النوبة (السودان)[3]، وبالتالي ضاع النفوذ المصري في بلاد الشام.

ولو نظرنا إلى المدة الواقعة بين عامي (1492–1458ق.م) فهذا يعني أن هناك أكثر من ثلاثين سنة لم تتعرض فيها بلاد الشام إلى أي خطر عسكري من الجانب المصري.

وهكذا بدا في ظل هذه الأوضاع التي كانت تمر بها دول الشرق الأدنى القديم القائمة آنذاك أن المستفيد الوحيد هي الدولة الميتانية التي استغلت هذه الظروف بسرعة لصالحها، لتحول نفسها من دولة اعتيادية إلى إمبراطورية واسعة. فبادرت أولاً إلى بسط نفوذها على شمال سوريا من غرب الفرات إلى سواحل البحر المتوسط[4]. وهنا يظهر لنا أول ملك ميتاني معروف تاريخياً يقود الدويلات الحورية بشكل عام يدعى باراتارنا (Parattarna) حوالي عام 1480 ق.م[5]، الذي وضع على عاتقه بناء دولة واسعة وقوية[6].

كانت أول أهداف باراتارنا هو إخضاع الدويلات السورية الشمالية التي تقع غرب الفرات، ورأى أن تحقيق ذلك يتطلب أولاً السيطرة على حلب أقوى ممالك شمال سوريا ، والتي كانت قد استقلت بعد انسحاب الملك الحثي مورسيلي الأول (1620–1950ق.م) من منطقة شمال سوريا كما مر بنا، وقد حكمها خلال مدة الاستقلال هذه ثلاثة ملوك هو شارا–إيل (Šarra-el)، وابا–إيل (Abba-el)، واليم – اليما -Ilim)

---

(1) جورج رو، المصدر السابق، ص 342؛ ابراهيم أحمد رزقانه وآخرون، المصدر السابق، ص ص 189–190.

(2) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 133.

(3) أدولف أرمان وهرمان رانكه، المصدر السابق، ص 32.

(4) Goetze, “Mittannians and Hittites”, P. 2.

(5) Wilhelm, Grundzuge der, P. 43; Miroop, Op. cit., P. 142;
جورج رو، المصدر السابق، ص 344؛ هاري ساكز، عظمة بابل، ص 94.

(6) وجد لهذا الملك ختم يحمل اسمه في مدينة نوزي. ينظر: جورج رو، المصدر السابق، ص 344.

ilima)[1]. غير أن نفوذ هؤلاء لم يكن كما كانت عليه مملكة حلب قبل الاجتياح الحثي[2]، حيث امتد نفوذ حلب في عهدهم فقط إلى بعض المناطق التي تقع إلى الغرب منها، وهي مدينة نيا (Niya)، وأماوا (Amaua)[3] وألالاخ التي كانت حدودها تحاذي شواطئ البحر المتوسط[4].

بحدود عام 1470 ق.م تمكن باراتارنا من أن يسيطر على حلب والمناطق التابعة لها، ومدن أخرى تقع غرب الفرات، وبذلك فرض باراتارنا نفوذ ميتاني على المناطق الشمالية السورية الممتدة من الفرات حتى البحر المتوسط[5]، وبما أن هذا الملك هو حاكم لكل الدويلات الحورية فيكون نفوذ مملكته امتد من نوزي شرق دجلة إلى الالاخ المحاذية للبحر المتوسط[6].

إن تفاصيل ومراحل سيطرة الميتانيين على مناطق شمال سوريا غير موجودة، لكن مع ذلك هناك معلومات مقتضبة تبين أن الميتانيين بقيادة باراتارنا كانوا يسيطرون على هذه المنطقة خلال هذا الوقت، وجاءت هذه المعلومات من خلال تمثال عثر عليه ضمن أرشيف مملكة الالاخ (من الطبقة الرابعة)[7]، الذي يؤرخ بالنصف الأول من القرن الخامس عشر ق.م[8].

يعود هذا التمثال للملك ادريمي (Idrimi) ملك الالاخ، و دونت على هذا التمثال كتابة مؤلفة من مائة وأربعة سطور سرد فيها ادريمي سيرته الذاتية، ومن خلالها تم التعرف على اسم الملك الميتاني وعلى بعض الأحداث التي كانت تدور في

---

(1) جباغ قابلو، المصدر السابق، ص 210.

(2) كان نفوذ حلب قبل الاجتياح الحثي بقيادة مورسيلي الأول واسع يمتد من حدود حلب على غرب الفرات إلى شواطئ البحر المتوسط غرباً، وشمالاً إلى مناطق كركميش وارشو وخاشوم، وشرقاً إلى مناطق الخابور حيث تسابقت مدن الخابور للتحالف معها، أما جنوباً فلم تمتد كثيراً حيث بقيت حدودها مجاورة لحدود مملكة قطنة (تل المشرفة حالياً على بعد 18 كم شمال شرق حمص). ينظر: جباغ قابلو، المصدر السابق، ص 210.

(3) تقع نيا في وادي الغاب (منطقة العاصي الأوسط)، أما اماوا فتقع إلى الغرب من حلب مباشرة. ينظر: هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 103.

(4) المصدر نفسه، ص 103.

(5) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 165.

(6) دياكوف وكوفاليف، المصدر السابق، ص 159.

(7) هذا الأرشيف هو مجموعة من الألواح المسمارية كتبت باللغة الأكدية تتضمن رسائل ومعاهدات وسجلات اقتصادية وإجراءات قانونية. ينظر: عيد مرعي، "مملكة الالاخ"، ص 35 وما بعدها؛
Margaret, Op. cit., P. 432.

(8) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 99.

سوريا خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر، ومنها سيطرة الميتانيين على شمالها[1]، فيذكر ادريمي بعد أن يعرف بشخصيته بأن ثورة قد حدثت في حلب في عهد أبيه اليم–اليما (آخر ملوك حلب المستقلين)، أجبرت ادريمي وأسرته للهروب إلى مدينة ايمار[2]، حيث كان يعيش أقرباؤه هناك[3].

من الراجح جداً أن هذه الثورة حصلت بدعم من ميتاني التي كانت تسعى لبسط نفوذها على شمال سوريا منذ بداية القرن الخامس عشر ق.م[4]، والتي ترى أن ذلك سيكون سهلاً إذا ما تم إضعاف سلطة حلب الملكية، وإيجاد حكم ميتاني مطلق فيها[5]، ولعل ما يؤيد ذلك أن ادريمي بعد أن قضى سبع سنوات في الخارج خاض مع الملك الميتاني باراتارنا مفاوضات من أجل عودته إلى حلب أثمرت في النهاية بالسماح له بالعودة بعد أن أقسم يمين الولاء بأن يبقى تابعاً للملك الميتاني[6]. هذا ومن الواضح أن باراتارنا خلال هذه السنوات السبع قد تمكن من السيطرة على حلب والدويلات التابعة لها، ليمتد نفوذه إلى البحر المتوسط[7]. وفي أدناه بعض من النص المدون على ذلك التمثال وهو يوضح تلك الأحداث:

"سبع سنوات باراتارنا الملك القوي، ملك الحوريين عاداني، في السنة السابعة إلى باراتارنا الملك، ملك الحوريين أرسلت ارنواندا (المفاوض) وتحدثت، عن جهود آبائي، بأن آبائي كانوا قد خلدوا إلى الهدوء، وأجدادنا كانوا طيبين مع الملوك الحوريين، وإنهم فيما بينهم قسماً عظيماً، أقسموا الملك القوي (أي باراتارنا) سمع عن جهود أجدادنا وعن القسم فيما بينهم، وخاف من علامة القسم، لأجل محتوى، القسم ولأجل جهودنا قبل هديتي الترحيبية ... في إنسانيتي،

---

(1) عيد مرعي، "ادريمي ملك الالاخ"، مجلة دراسات تاريخية، العددان 29–30 (دمشق، 1988)، ص 105.

(2) ايمار: من مدن شمال سوريا القديمة التي تقع عند منعطف نهر الفرات الكبير، وعلى الضفة الغربية من النهر، وتعرف آثارها اليوم باسم (تل مسكنه). ينظر: عبد الله الحلو، المصدر السابق، ص 565.

(3) عيد مرعي، "ادريمي ملك الالاخ"، ص 105.

(4) احمد علي إسماعيل، تاريخ بلاد الشام القديم، ط1 (دمشق، 1988)، ج1، ص 49؛ عيد مرعي، "ادريمي ملك الالاخ"، ص 105.

(5) Wilhelm, Grundzuge der, P. 43.

(6) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 102.

(7) المصدر نفسه ، ص 102.

فـي إخلاصـي، بشـكل ودي، أقسـمت لـه. لـذلك أصـبحت ملكـاً علـى الالاخ"[1].

حكم ادريمي بعد أن أقسم يمين الولاء، مملكة تعرف باسم (موكيش) وعاصمتها الالاخ[2] "**أرض موكيش والالاخ مدينتي**"[3]، كذلك مدينتي نيا (نيخي) وأماوا (أمادو) حسب ما ورد في النص[4]. أما حلب فبقيت تحت السيطرة الميتانية المباشرة[5]. وطالما أن ادريمي هو تابع لسيده الميتاني فإن كل المناطق التي يحكمها تقع ضمن نطاق السيطرة الميتانية. كما يمكن أن نستشف معلومات مهمة أخرى وردت ضمن النص، منها أن ادريمي يشير إلى العلاقات الطيبة التي كانت سائدة بين آبائه وأجداده حكام حلب وبين الحوريين، وهذه إشارة إلى أن السيطرة الميتانية على حلب لم تأت إلا بعد حدوث تلك الثورة. ويذكر ادريمي أيضاً أنه بعد رفعه لأسوار مدنه قام بحملة عسكرية على بعض المدن الحثية، ويبدو أنه استغل حالة الضعف التي كانت تمر بها المملكة الحثية في هذا الوقت. إذ ورد في النص ذاته:

"**أخذت العساكر وإلى ارض حاتي، صعدت واستوليت على سبع قلاع [مدن]**، ثم يعدد أسماء المدن... **هذه القلاع استوليت عليها، هي، دمرتها بلاد حاتي، لم تتجمع ولم تأتي ضدي، صنعت ما يشتهيه قلبي، غنائمهم، نهبتها، أملاكهم، أمتعتهم، ممتلكاتهم، أخذتها ووزعتها على عساكري، وأخوتي، وأصحابي، ولكن أسلحتهم، أخذتها أنا شخصياً، ومن ثم رجعت إلى بلاد موكيش**[6] **مدينتي مع الغنيمة، ودخلت إلى الالاخ**"[7].

يظهر من النص بأن هدف الحملة لم يكن أكثر من الحصول على الغنائم، وبما أن ادريمي كان خاضعاً لباراتارنا، فإن هذه الحملة على الأرجح جاءت جزءا من

---

(1) عيد مرعي، "ادريمي ملك الالاخ"، ص ص 110-111.

(2) إن حدود مملكة موكيش (عاصمتها الالاخ) تمتد من الالاخ إلى مملكة كيزواتنا (في الأناضول، وسيأتي تعريفها لاحقاً) شمالاً، ومن الغرب إلى البحر المتوسط، أما في الجنوب فلها حدود مشتركة مع أوغاريت. ينظر: عيد مرعي، "مملكة الالاخ"، ص 45.

(3) عيد مرعي، "ادريمي ملك الالاخ"، ص 110.

(4) المصدر نفسه، ص 110.

(5) عيد مرعي، "مملكة الالاخ"، ص 45.

(6) نلاحظ هنا بأنه يصف بلاد موكيش بأنها مدينته ثم دخلت الالاخ، مما يعني بأن الالاخ هي مركز الحكم في موكيش.

(7) عيد مرعي، "ادريمي ملك الالاخ"، ص 111-112.

الدعم لنشاطات سيده العسكرية في بلاد الحثيين[1]، ولابد أنها حظيت بدعم من الملك الميتاني، لاسيما أن ادريمي كان ينعت سيده الملك الميتاني بـ "**الملك الجبار، ملك المحاربين الحوريين**"[2].

ومن جانب آخر فإن ادريمي قد تتمتع بحق عقد معاهدات دولية، وممارسة سياسة خارجية مستقلة مع التقييد التام بوجوب الولاء للملك الميتاني[3]، ويمكن أن نرى ذلك واضحاً من خلال العثور على نص في أرشيف الالاخ عبارة عن معاهدة حدودية عقدها ادريمي مع بيليا (Pillia) ملك مملكة كيزواتنا (Kizzwatna)[4] المجاورة لبلاده من الناحية الشمالية بعد معركة دارت بينهما، ونصت المعاهدة على إحلال السلام وترسيم الحدود[5].

ومن الجدير بالذكر أن اللغة والمعتقدات الدينية الحورية قد انتشرت في مملكة كيزواتنا خلال القرن الخامس عشر ق.م، وقد تم معرفة ذلك ليس من كيزواتنا نفسها بل من المصادر الحثية المختلفة التي تحدثت كثيراً عن هذه المملكة، لأن المصادر الأصلية من كيزواتنا قليلة جداً[6]، والواقع أن الحوريين قد انتشروا في كيزواتنا، وأسسوا لهم مدنا هناك[7]، لكن ليس لدينا معلومات تاريخية عنهم، وعن الزمن الذي انتشروا فيه بهذه المنطقة بسبب وضع المصادر المشار إليها، ونعتقد بأن الحوريين هاجروا إلى هذه المنطقة قبل القرن الخامس عشر ق.م بمدة ليست طويلة عندما فقدت الدولة

---

(1) عيد مرعي، "مملكة الالاخ"، ص 44.

(2) Astour, "Hattušiliš Halab", P. 103.

(3) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 103.

(4) كيزواتنا: مملكة كبيرة تقع في الجنوب الشرقي من الأناضول، وسميت لاحقاً باسم كيليكيا، كانت تابعة للحثيين في عصر حاتوشيلي الأول (1650–1620 ق.م)، ومورسيلي الأول (1620–1590 ق.م) لكن بعد موت مورسيلي الأول نالت استقلالها، ساعدها على ذلك الهجوم الحوري المدمر على بلاد الحثيين زمن الملك الحثي خانتيلي الأول (1590 –1560 ق.م). وقد تمتعت هذه المملكة بمكانة حضارية مهمة، وعبرها انتقلت كثير من الطقوس الدينية الحورية إلى مناطق مختلفة من بلاد الحثيين لاسيما أنها كانت رابطاً مهماً سواء من ناحية تجارية أو حضارية ، فهي تقع بين بلاد الاناضول وسوريا. وكان المركز الديني الرئيس فيها هي مدينة كوماني. ينظر:

Hello and Simpson, Op. cit., PP. 108-109; H. Otten, "Ein al Thethitischen Vertrag Mit Kizzwatna", JCS, Vol. 5 (1951). PP. 129-132.

(5) Wilhelm, Grundzuge der, P. 40.

(6) Ibid., P. 41.

(7) Hello and Simpson, Op. cit., P. 108.

الحثية سيطرتها على معظم مناطق بلاد الأناضول ومنها كيزواتنا بعد وفاة الملك مورسيلي الأول (1620–1590ق.م) وانشغال خلفاؤه بالصراعات الداخلية حول العرش.

والمهم انه في ضوء ما تقدم فإن توحيد الدويلات الحورية في شمال بلاد الرافدين، وشمال سوريا تحت قيادة ملك واحد هو الملك الميتاني، ثم فرض ميتاني سيطرتها على عدد كبير من مناطق شمال سوريا يعني أن الدولة الميتانية قد دخلت عهداً جديداً من تاريخها السياسي هو العهد الإمبراطوري الذي شهد صراعاً مع دول الشرق الأدنى القديم آنذاك للسيطرة على سوريا و بلاد الشام بشكل عام.

المبحث الأول

العلاقات الميتانية المصرية:

لقد أثمرت النشاطات العسكرية للدولة الميتانية عن مد نفوذها السياسي من نوزي شرقاً إلى شواطئ البحر المتوسط غرباً، وهو الأمر الذي مكن أيضاً الميتانيين والمتحالفون معهم (الممالك السورية) من بسط سيطرتهم على النشاط التجاري في هذه المنطقة تماماً[1]، حيث تحكموا في مفترق طرق التجارة الرابطة بين بلاد الرافدين وسوريا وبلاد الأناضول. وهو ما شكل تحدياً كبيراً لسياسة مصر التوسعية الجديدة تجاه سوريا. ولا ريب في أن الميتانيين كانوا يخشون الطموحات المصرية القوية التي ستعود حتماً لإعادة بسط نفوذها التي فقدته على سوريا او بلاد الشام بشكل عام في عهد تحوتمس الثاني والملكة حتشبسوت ، لذلك بدأ الميتانيين بسياسة جديدة قائمة على التحريض وإثارة الاضطرابات ودعمها في بلاد الشام ضد النفوذ المصري من أجل إنهاء دوره، أو في الأقل إيقاف تقدمه نحو سوريا[2].

جاءت الفرصة سانحة للميتانيين في وقت انشغال تحوتمس الثاني (1492–1480) والملكة حتشبسوت (1479–1458) ببلاد النوبه ، والأعمال العمرانية، وتركهما مسألة بلاد الشام[3]، وهو الأمر الذي كان له تداعيات كبيرة، حيث أعلن الهكسوس القاطنين في سوريا وفلسطين تمردهم ضد الحكم المصري الذين هم كانوا حاكمين عليه[4]، ثم ثارت سوريا كلها ضد النفوذ المصري، وهكذا فلسطين فشكلوا جميعاً حلفاً بقيادة ملك (قادش)[5]، وقد ساند ودعم هذا الحلف بشكل رئيس الملك الميتاني[6]، الذي وجد في هذا الحلف فرصة للقضاء على النفوذ المصري.

---

(1) Wilhelm, Grudzuge der, P. 44.

(2) محمد بيومي مهران، المصدر السابق، ص 205؛ جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 187.

(3) ابراهيم احمد رزقانه وآخرون، المصدر السابق، ص 190؛ محمد بيومي مهران، المصدر السابق، ص 204.

(4) سليم حسن، المصدر السابق، ص 396.

(5) قادش: واحدة من أهم دويلات المنطقة الوسطى في سوريا، تعرف في الوقت الحاضر باسم تل النبي مند جنوب غربي بحيرة قطينة بمحافظة حمص، ويرد اسمها في النصوص المسمارية تحت اسم قدشا / قدشي. ينظر: عبد الله الحلو، المصدر السابق، ص 568؛ ول ديوارنت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، م 1 (القاهرة، 1976)، ج2، ص 79.

(6) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 107؛ ابراهيم أحمد زرقانه وآخرون، المصدر السابق، ص 190؛ محمد بيومي مهران، المصدر السابق، ص 205.

على هذا الحال انتهى النفوذ المصري في بلاد الشام تماماً، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً، إذ تولى عرش مصر واحد من أشهر فراعنتها ونقصد به الفرعون تحوتمس الثالث (1458–1425 ق.م)[1] الذي ما أن رتب الأوضاع الداخلية حتى بدأ في الحال بتنفيذ مخططاته الرامية إلى إعادة نفوذ مصر على بلاد الشام، والقضاء على الدولة الميتانية[2]، التي وجد تحوتمس الثالث بأن سيطرته على بلاد الشام لن يتم دون كسره شوكة هذه الدولة[3].

لقد تحرك الجيش المصري بقيادة هذا الفرعون الجديد نحو بلاد الشام في حملة عرفت بالحملة العسكرية الأولى[4]، إذ التقى في معركة كبيرة مع ذلك الحلف عند مدينة مجدو بفلسطين، وتمكن من القضاء عليه[5]. أما ملك قادش فقد فر من مجدو وعاد إلى مدينته قادش التي لم يتمكن الفرعون المصري من التقدم نحوها، فبقيت تشكل هي وميتاني خطراً على الوجود المصري[6].

يتضح دور الميتانيين في هذا الحلف من خلال النص المصري الآتي العائد لتحوتمس الثالث "**لقد دخل جيش قادش العدو اللئيم إلى مدينة مجدو وهناك جمع إليه كل البلاد الأجنبية التي كانت موالية لمصر، وكذلك نهارين وميتاني من حوريين وكوديين[7] بأحصنتهم وجيوشهم ورجالهم**"[8].

إن هذا النص عدا أنه يؤكد مشاركة الميتانيين في الحلف فإنه من ناحية أخرى يذكر اسم الميتانيين والحوريين على حد سواء، وهو ما يعني إن المصريين كانوا يستخدمون كلا الصيغتين للإشارة إلى الشعب الحوري الذي يسكن نهارين وإلى قيادته الميتانية التي ينحصر مركزها بين منحنى الفرات الشرقي عند كركميش وأعالي دجلة.

---

(1) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 106؛ ول ديورانت، المصدر السابق، ص 79.

(2) H. Klengel, Syria 3000 to 300 B.C (Berlin, 1992), P. 91.

(3) جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 187.

(4) قاد تحوتمس الثالث 17 حملة عسكرية خلال تسعة عشر عاماً تمكن بها من إعادة فرض هيبة مصر على بلاد الشام وغيرها ، لذلك يعد هو باني الإمبراطورية المصرية. ينظر: محمد الخطيب، مصر أيام الفراعنة، ص 46.

(5) ابراهيم أحمد رزقانة وآخرون، المصدر السابق، ص 190؛ هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 107.

(6) جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 187.

(7) كودي Kodi (كوديين) هي التسمية التي أطلقها المصريون القدماء على مناطق وسكان كيليكا (كيزواتنا). ينظر: William and Simpson, Op. cit., P. 108.

(8) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ط 4(دمشق، 2000)، ص 43.

وبعد أن فرق تحوتمس الثالث حلف مجدو قرر دخول قادش[1] المسيطرة على وادي نهر العاصي[2]، فإذا ما تم له ذلك فإن الطريق سيكون له سهلاً للسيطرة على مناطق جنوب وشمال سوريا[3]، وإن دخوله شمال سوريا سيمكنه من القضاء على عدوه اللدود الذي ينازعه السيطرة على سوريا ونعني به ميتاني[4]. لكن قبل دخوله قادش قاد حملة عرفت بالخامسة نحو المدن الفينيقية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط تمكن بها من فرض نفوذه عليها، وبذلك أمن جهته الخلفية عند انطلاقه نحو قادش[5]، التي تمكن من دخولها في حملته السادسة[6].

كان الاستيلاء على قادش نقطة تحول مهمة للسيطرة على نهرين، والقضاء على قوة ميتاني، لذلك كانت خطته التالية هو القيام بهذا العمل الكبير الذي إذا ما نجح فيه فانه سيمد حدود ملكه إلى الفرات، ولكنه قبل القيام بهذه المهمة ارتأى التوجه على رأس حملة إلى مدن الساحل الفينيقي مرة أخرى، لأنه لم يكن مطمئناً لولاء تلك المدن لاسيما أن بعضها قد أعلنت تمردها في أثناء محاصرة الجيش المصري لقادش، فتكمن من إعادة فرض سيطرته عليها في حملته السابعة[7].

وبعد سنتين من تاريخ هذه الحملة سار تحوتمس الثالث على رأس جيش كبير، وفي جعبتهِ خطة تتضمن دخول مناطق النفوذ الميتاني شمال سوريا، ثم عبور نهر الفرات لسحق الميتانيين في عقر دارهم ، في حملة وصفت بأنها واحدة من أعظم حملاته العسكرية عرفت بالحملة الثامنة عام 1447 ق.م[8].

---

(1) تحتل قادش موقعاً ستراتيجياً مهماً فهي تشرف على الطريق الشمالي الموصل بين مدن الساحل السوري على البحر المتوسط إلى داخل سوريا، وعلى الطريق التجاري الموصل إلى بلاد مصر والذي يتفرع من طريق آخر يصل إلى نهر الفرات ثم إلى بلاد الرافدين، وكان لهذه المميزات دوراً مهماً في ذلك الحلف. ينظر: جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 171.

(2) المصدر نفسه، ص 196.

(3) سليم حسن، المصدر السابق، ص 396.

(4) عبد الغني غالي فارس السعدون، مصدر سابق ، ص 76.

(5) ابراهيم أحمد رزقانة وآخرون، المصدر السابق، ص 191.

(6) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 107؛ جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 399.

(7) سليم حسن، المصدر السابق، ص 429؛ عبد الغني غالي فارس السعدون، المصدر السابق، ص 76.

(8) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 108؛
Klengel, Syria 3000 to 300 B.C, PP. 91-95; Khurt, Op. cit., P. 193.

إن الطريق الذي سلكته هذه الحملة كان من مدن سواحل فينيقيا باتجاه قادش ثم استدارت شمالاً نحو مناطق نفوذ ميتاني شمال سوريا الواقعة غرب الفرات[1]، فاستولى تحوتمس على قطنة ثم زحف شمالاً بمحاذاة نهر العاصي، وفي الطريق اشتبك مع قوات من ميتاني، وربما من مدن سورية أخرى في مرتفع يسمى تل (العرعر) غربي حلب فهزم الجيش الميتاني، ثم عرج شمالاً فدمر مدن نهرينا واقتلعت أشجارها ومحاصيلها[2]، ومع أن النصوص المصرية لم تذكر إلا عدداً قليلاً من تلك المدن، إلا أنها على العموم تمتد من شمال سهول حمص حتى غرب الفرات[3]، ثم واصل الجيش المصري تقدمه شمالاً حتى وصل مدينة كركميش (أعالي سوريا) وهنا اصطدم بقوات ميتانية وسورية تمكن من هزيمتها، ومن ثم دخل كركميش التي كانت بمثابة المفتاح لعبور نهر الفرات باتجاه مركز دولة ميتاني[4].

إن الانتصار على كركميش يفرض واقعاً لا بد منه، وهو أن السيطرة على هذه المدينة لا يمكن أن يتم من دون السيطرة على حلب التي تقع في الطريق نحو كركميش، وهي الآن واحدة من المعاقل الكبرى للجيش الميتاني، لكن الغريب إن النصوص المصرية المتوفرة التي تتحدث عن هذه الحملة لم تذكر اسم هذه المدينة المهمة، ويعلل بعض الباحثين بأن سبب ذلك ربما يعود إلى سيطرة الحثيين على هذه المدينة في هذه الأثناء كهدية من تحوتمس الثالث، بعد أن تلقى التأييد والهدايا من الملك الحثي، الذي يحتمل أن يكون زيدانتاش الثاني (رابع خلفاء الملك تليبينو السالف الذكر) كتعبير عن الارتياح الحثي للانتصار المصري على الميتانيين في الحملة الثامنة[5]. ونرى أن هذا الرأي ضعيف، إذ أنه من الصعب التصور بأن تحوتمس الثالث يسلم هكذا مدينة مهمة، ومعقل للجيش الميتاني إلى الحثيين، كما أن الملك الحثي ليس هو وحده من بعث بالهدايا بل كذلك فعل ملك بابل الكشي وملك آشور[6]. لذلك نرجح بأن المسألة لا

---

(1) Wilhelm, Grundzuge der, P. 45.

(2) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 108.

(3) المصدر نفسه، ص 108.

(4) سليم حسن، المصدر السابق، ص 433؛ فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص 143.

(5) أ.ر. جرني، الحثيون، ترجمة محمد عبد القادر (بيروت، 1963)، ص 48؛ عبد الحميد زايد، الشرق الخالد (القاهرة، 1966)، ص 472.

(6) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 111؛ سامي سعيد الأحمد وجمال رشيد أحمد، المصدر السابق، ص 162.

تتعدى سقوط اسم هذه المدينة في النصوص المصرية التي تتحدث عن المدن الكثيرة التي احتلت خلال هذه الحملة.

والمهم أن تحوتمس الثالث بعد سيطرته على كركميش عبر نهر الفرات على قوارب تم صنعها لهذا الغرض من أشجار الأرز في لبنان[1]، حيث التقى مباشرة بعد عبوره النهر[2] بالجيش الميتاني وتمكن من الانتصار عليه[3]. ويبدو أن مقاومة الجيش الميتاني لم تكن بالمستوى المطلوب إذ لم يتمكن من الصمود أمام القوات المصرية، "**ففر هارباً كقطيع حيوانات**"، كما وصفتهم بذلك أحدى النصوص المصرية[4].

أما الملك الميتاني فقد فر هو الآخر إلى مقاطعاته الأخرى[5]. وبعد هذا الإنجاز انسحب الفرعون من مناطق شرق الفرات بعد أن وضع لوحة على الجانب الشرقي من النهر مقابلة للوحة جده تحوتمس الأول تخلد انتصاره هذا[6]. ومن الأحداث اللاحقة تبين بأن تحوتمس الثالث اكتفى بهزيمة الميتانيين قرب النهر دون ان يتمكن من إخضاع مناطق شرق الفرات إلى نفوذه مباشرة، لأن الضغط العسكري الميتاني مازال موجوداً ، ولم يهزم في كل مناطق شرق الفرات.

المبحث الثاني

التحرك الميتاني بعد انتهاء حملة تحوتمس الثامنة:

لا شك في أن الحملة الثامنة وإن سجلت انتصاراً مظفراً للمصريين، إلا أنها لم تنهِ قوة ميتاني، كما لم تؤدي إلى فرض سطوة القوة المصرية بشكل مباشر على بلاد نهرينا التابعة للملك الميتاني[7]، بدليل أن تحوتمس الثالث أجبر للتوجه إلى بلاد نهرينا

---

(1) سليم حسن، المصدر السابق، ص 433؛ فراس السواح، المصدر السابق، ص 50.

(2) يسمي المصريون نهر الفرات أحياناً باسم منعطف نهارين الكبير، أو النهر الذي يتدفق رأساً على عقب إشارة إلى جريانه من الشمال إلى الجنوب عكس نهر النيل. ينظر: فراس السواح، المصدر السابق، ص 49؛ هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 109.

(3) جان يويوت، مصر الفرعونية، ص 117؛ قتيبة الشهابي، هنا بدأت الحضارة، ط1 (دمشق، 1988)، ص 17.

(4) جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 196.

(5) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 109.

(6) فراس السواح، المصدر السابق، ص 49.

(7) سليم حسن، المصدر السابق، ص 388.

بعد سنتين من حملته الثامنة بعد أن بلغته أنباء اشتعال الفتنة من شمال حمص إلى أقاصي شمال سوريا[1]، ويبدو أن غياب القوات المصرية قد شجع الدولة الميتانية على التحرك من جديد للوقوف بوجه التوسع المصري، حيث شكلت حلفاً كبيراً مع مدن بلاد نهرين [2] التي من المفترض أن تكون الآن تابعة للإمبراطورية المصرية، ومنها مدن تونيب[3]، وقادش[4]. أما زعامة هذا الحلف فكانت بقيادة ملك ميتاني الذي لم يدعى باسمه "**ذلك العدو الخاسئ صاحب نهرين**"[5].

لم يتأخر تحوتمس الثالث كثيراً عن هذه التطورات حيث توجه على رأس حملة إلى شمال سوريا عرفت بالحملة العاشرة[6]، وتقابل الطرفان في معركة وقعت عند مكان يدعى ارينا (Araina) الذي يعتقد أنه يقع جنوب نهر العاصي[7]، كان النصر فيها حليف المصريين الذين تمكنوا من إعادة بسط نفوذهم على تلك البقاع ومنها تونيب وقادش[8]. ويظهر أن النصر هذه المرة كان قوياً ، إذ لم تبد ميتاني حراكاً مدة سبع سنوات[9]، فسادت فترة هدوء فرضتها القوة المصرية وليس عقد الاتفاقيات. والنص المصري الآتي يعطي وصفاً لهذه المعركة:

> **"تأمل كان جلالته في زاهي [فينيقيا] في حملته العاشرة ... ولما وصل جلالته إلى بلدة أرينا تأمل: أن هذا العدو الخاسئ صاحب نهرينا قد جمع خيله ورجاله من أطراف الأرض، وكانوا أكثر عدداً**

---

(1) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 110.

(2)على الرغم من أن مصطلح بلاد النهرين في النصوص المصرية يشير إلى بلاد حوري أو مناطق النفوذ الميتاني الممتدة بين العاصي والفرات، إلا أن ذلك لا يعني بأن هذه الأراضي هي خالصة للسكان الحوريين، لأن الأموريين يشكلون النسبة الأعلى من السكان في كل الأحوال، لكن هذه المنطقة كانت تحت النفوذ الحوري في عصر الأسرة الثامنة عشر المصرية.

(3) تقع تونيب إلى الشمال الغربي من حمص على مقربة من قادش. ينظر: عبد الله الحلو، المصدر السابق، ص 568.

(4) جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 207؛ صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 206.

(5) سليم حسن، المصدر السابق، ص 443.

(6) يقصد بالحملة العاشرة تسلسلها ضمن حملات تحوتمس الثالث، لكنها الثانية على بلاد نهرينا، أما الأولى فكانت الحملة الثامنة.

(7) سليم حسن، المصدر السابق، ص 433.

(8) جان يويوت، المصدر السابق، ص 117.

(9) جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 208؛ نجيب ميخائيل ابراهيم، المصدر السابق، ص 80.

من رمال الشاطئ، وكانوا على استعداد لمحاربة جلالته، من ثم زحف جلالته لمنازلتهم وقام جيش جلالته بهجمة فكسر العدو واستولى عليه وانتصر جلالته على هؤلاء الأجانب بقوة والده [الإله آمون الذي منحه الشجاعة والنصر] ... نهرينا ولوا الأدبار وسقطوا على الأرض بعضهم فوق بعض أمام جلالته"[1].

على الرغم من هذا الانتصار الذي حققه تحوتمس الثالث ، والذي كلفه غالياً في صفوف جيشه، إلا أنه لم يحول مناطق نهرينا تحت سيادته المباشرة، بل اكتفى بأخذ الجزية والولاء من حكام تلك المناطق، ويبدو أن بعد المسافة بين هذه المناطق ووادي النيل كان السبب الرئيس في ذلك، بدليل أن المناطق الساحلية السورية بقت تحت السيطرة المصرية المباشرة على الأغلب بصورة دائمة[2].

إن عدم فرض السيطرة المصرية المباشرة أدى إلى بروز القوة الميتانية من جديد بعد مرور حوالي سبع سنوات من الحملة العاشرة لتعمل بشكل فعال ودؤوب من أجل إزالة النفوذ المصري عن بلاد نهرينا. والواقع أنه يستنتج من الأحداث اللاحقة بأن ميتاني على الرغم من إنها لم تبدي حراكاً عسكرياً واضحاً خلال هذه السنوات السبع، إلا إنها كانت تعمل في الخفاء للتحريض ضد الهيمنة المصرية، بدليل أن حلفاً عسكرياً جديداً قد ظهر ضم ملك قادش وتونيب وميتاني، ومدن سورية أخرى هدفه الوقوف بوجه الهيمنة المصرية، وإزالة سلطتها عن سوريا[3].

عند بلوغ أنباء هذا الحلف مسامع تحوتمس الثالث لم يستسلم لذلك بل جهز غازياً إلى هناك في حملة عدت السابعة عشر عام 1438 ق.م، ضمن سلسلة حملاته العسكرية استطاع بها من تشتيت هذا الحلف ، حيث استولى على مدينة تونيب التي كانت واحدة من معاقل الجيش الميتاني بعد معركة تمكن بها الجيش المصري من الانتصار على قوات هذه المدينة والقوات الميتانية التي تساندها لتكون حصة المدينة بعد ذلك الحرق والتدمير[4]، بعد ذلك استولى الجيش المصري على قادش[5]، والمدن

---

(1) سليم حسن، المصدر السابق، ص 444.

(2) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 111.

(3) جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 208.

(4) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 110.

(5) بسقوط قادش هذه المرة يكون تحوتمس قد سحق آخر قوة للهكسوس الذين ما انفكوا عن مساعدة أهالي سوريا والميتانيين، حيث اختفت آثارهم بعد هذه المعركة، وقد أكد هذا الأمر الرواة اليونانيين الذين قالوا أن

التابعة لها، وأسر أعداد من جنود نهارينا[1] "**أسر رجال دولة نهارين [ميتاني] الحقيرة الذين كانوا يعسكرون هناك**"[2]. وبعد أن رتب الأمور هناك اقفل تحوتمس راجعاً إلى بلاده. وكانت هذه الحملة هي آخر حملاته العسكرية في بلاد الشام[3].

خلال المدة المتبقية من عمر تحوتمس البالغة نحو اثني عشر عاماً لم يجرؤ أحد على التمرد في بلاد الشام خوفاً من بطش القوة المصرية[4]. لكن هذا الحال لا ينسحب على الدولة الميتانية التي لم تستسلم للهزيمة بشكل نهائي، في الأقل عند مواقعها الكائنة شرقي الفرات، إذ أن هذه الدولة عاودت نشاطها التوسعي في أواخر حياة تحوتمس الثالث، ولا يستبعد بأن انسحاب تحوتمس الثالث من سوريا بعد الحملة السابعة عشر كان بفعل الضغط العسكري الميتاني المتواصل[5].

مما تقدم نجد أن سمة العلاقات بين ميتاني ومصر في عهد تحوتمس الثالث هي سمة الصراع العسكري بهدف السيطرة على منطقة بلاد الشام، فالدولة الميتانية دفعت بكل ثقلها العسكري لمساندة الثورات الداخلية في سوريا ضد الهيمنة المصرية في محاولة للقضاء عليها بصورة تامة، أو في الأقل إيقاف التقدم المصري نحو المناطق الشمالية من سوريا مركز انتشار الحوريين.

والواقع أن العمليات العسكرية الواسعة لتحوتمس الثالث في سوريا لم تكن تحتاج إلى هذه المدة وهذا الجهد، إذ أن سوريا كانت عبارة عن دويلات أو ممالك متفرقة لم تتحد في دولة واحدة، وبالتالي فإن مسألة السيطرة عليها سيكون سهلاً كما في فلسطين، لكن هذه المنطقة، كانت تحصل على الدعم المستمر من أقوى دولة كانت في سوريا ونعني بها ميتاني، وبالمقابل فإن تحوتمس انتبه لهذا الخطر لذلك كرس أهم جهوده العسكرية في بلاد الشام نحو المنطقة الشمالية من سوريا الواقعة تحت النفوذ الميتاني، والواقع أنه رغم نجاحاته العسكرية المتواصلة إلا أنه لم يستطع من أن يجعل مناطق سوريا الشمالية والوسطى جزءاً ثابتاً من إمبراطوريته، بسبب الضغط العسكري الميتاني المتواصل من جهة، والبعد الشاسع لهذه المناطق عن

تحوتمس قد قضى على قوة الهكسوس قضاء تاماً. ينظر: سليم حسن، المصدر السابق، ص ص 451-452؛ جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 208.

(1) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 110.

(2) جان يويوت، المصدر السابق، ص 117.

(3) جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 208.

(4) المصدر نفسه، ص 209.

(5) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 111.

الوطن، من جهة أخرى وهو ما سبب متاعب كبيرة لجيش الفرعون، وبالتالي صعوبة الاحتفاظ بها على الدوام.

المبحث الثالث

العلاقات الميتانية مع بلاد آشور وسوريا

أولاً: التطورات السياسية الداخلية للدولة الميتانية

بعد عهد باراتارنا

بالرغم من الأحداث العسكرية الواسعة التي دارت بين ميتاني ومصر في عهد تحوتمس الثالث ، إلا أنه لم يرد ذكر اسم ملك ميتاني بل تكتفي النصوص المصرية فقط بذكر عبارة ملك نهرين أو ميتاني، ولا نعرف سبب ذلك، غير أن هذا الحال بالنتيجة ضيع علينا فرصة توثيق اسم الملك الذي خلف باراتارنا، بصورة أكيدة لاسيما أن غياب العاصمة الملكية الميتانية أدى إلى غياب قوائم الملوك وبالتالي صعوبة ترتيب أسمائهم بدقة، حتى بداية حكم الملك الميتاني الشهير ساوشتاتار (Saušṭatar)(1430-1400) الذي بدأ حكمه في أواخر عهد تحوتمس الثالث.

مع ذلك يمكن الاعتماد على شواهد أخرى لوضع صورة تقريبية لشخصيات الملوك الميتانيين الذين حكموا خلال المدة المحصورة بين عهد باراتارنا[(1)] وساوشتاتار. فهناك رقيمان عثر عليها في مملكة الالاخ يحملان قرارات أحكام (دعاوى قضائية) قد صدق عليها الملك الميتاني ساوشتاتار بختم يسمى (ختم السلالة الحاكمة الميتانية) وهو ختم يعود لأحد ملوك ميتاني الذين سبقوا ساوشتاتار، ويحمل هذا الختم عبارة "شوتارنا (Šuttarna) ابن كيرتا (Kirta) ملك ميتاني"[(2)]، ويبدو أن شوتارنا عد هو الأب المؤسس للسلالة، وإن استخدام ختمه جاء لتشريع الخلافة[(3)]. علماً أن هذا الإجراء كان شائعاً في الالاخ وأوغاريت ومدن سورية أخرى فهذا الملك نيقميبا (Niqmepa) ابن ادريمي ملك الالاخ قد استخدم ختم جده أبا-إيل ابن شارا-إيل، وكل هؤلاء معروفين تاريخيا[(4)]. أيضاً شاهد آخر جاء من إحدى النصوص العائدة للملك الميتاني الشهير توشراتا Tušrata الذي حكم في القرن الرابع عشر، حيث عثر له على رسالة في

---

(1) باراتارنا هو الملك الذي تكلمنا عنه في السابق وقلنا أنه مد نفوذ ميتاني من نوزي شرقاً إلى سواحل البحر المتوسط غرباً، وكان سيداً لأدريمي ملك الالاخ.

(2) Wilhelm, Grundzuge der. P. 47.

(3) عبد الله الحلو، المصدر السابق، ص 592.

(4) Gelb, Op. cit., P. 75.

مدينة نوزي مختومة بختم عليه كتابة تحمل اسم بارساشاتار Parsašatar والد الملك ساوشتاتار [1] سالف الذكر.

وكما هو واضح من هذه الوثائق فإن كل الملوك الذين تم ذكرهم قد سبقوا ساوشتاتار في الحكم، ويرجح أنهم جميعاً قد حكموا في المدة الواقعة بين حكم باراتارنا وبارساشاتار والد ساوشتاتار، وهي مدة تقدر بنحو 30 سنة، إذ أن اسم باراتارنا اختفى بعد عام 1470 ق.م. أما حكم بارساشاتار فيقدر بحوالي 1440 ق.م[2]. وجاء هذا التحديد بناءً على وثيقة عثر عليها ضمن وثائق القصر الإدارية لنوزي تذكر موت ملك يدعى باراتارنا أيضاً "**في الوقت الذي مات فيه الملك باراتارنا وأحرقت جثته**"[3]. وقد دونت هذه الوثيقة تقريباً في المدة نفسها التي دون بها ختم ساوشتاتار الذي أشرنا إليه[4]. ومع أن النص لا يذكر أن الميت هو ملك ميتاني، غير أن ذلك مرجح جداً لأن ليس في نوزي أو مقاطعة ارابخا بشكل عام ملوك يحملون أسماء هندوارية، وباراتارنا اسم هندواري، ويستبعد أن يكون المقصود بباراتارنا هذا، هو نفسه باراتارنا الذي تكلمنا عنه، ذلك أن المدة الفاصلة بين تدوين وثيقة نوزي هذه وموت باراتارنا الأول هي مدة تقدر بحوالي 40 سنة[5]، لهذا يرجح أن هذا الملك قد حكم مدة قصيرة من الزمن قبل حكم ساوشتاتار، ويقدر حكم ساوشتاتار بحوالي 1430 ق.م[6]. وعلى وفق هذا الترتيب يكون عدد من هؤلاء الملوك قد عاصروا حكم الملك تحوتمس الثالث.

ومع اعتلاء الملك ساوشتاتار لسدة الحكم الميتاني تقل تلك الفجوة الكبيرة في المعلومات عن ملوك ميتاني وترتيبهم وفقاً للتسلسل الصحيح، ويعود الفضل في ذلك للمصادر الحثية والمصرية والآشورية المعاصرة لتاريخ ميتاني، وبالدرجة الأخيرة تأتي النصوص التي تركها الملوك الميتانيين هنا وهناك.

كان ساوشتاتار ملكاً قوياً استطاع توحيد مملكة ميتاني المضطربة من جديد، ويمد حدود إمبراطوريته من جبال زاكروس شرقاً حتى البحر المتوسط غرباً لتشمل كل المناطق الناطقة باللغة الحورية[7].

---

(1) Wilhelm, Grundzuge der, P. 47.
(2) Ibid., P. 47.
(3) عبد الله الحلو، المصدر السابق، ص 530.
(4) March, Cultural Atlas, P. 133.
(5) Wilhelm, Grundzuge der, P. 47.
(6) Ibid., PP. 46-47.
وقد عثر في نوزي على ختم يحمل اسم ساوشتاتار. ينظر: جورج رو، المصدر السابق، ص 344.
(7)Wilhelm, Grundzuge der, P. 46; Amlikhurt, Op. cit., P. 293.

ثانيا: السيطرة الميتانية على بلاد آشور
خلال العصر الآشوري الوسيط

كانت بلاد آشور خلال العصر الآشوري الوسيط (1521-911 ق.م) جزءاً من الأحداث التي شهدتها منطقة الشرق الأدنى القديم منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر حتى نهاية القرن الثالث عشر ق.م، حيث تعرضت بلاد آشور للعديد من الأخطار المحيطة بها، فانشغلت بالدفاع عن أراضيها وعن حماية مصالحها التجارية في المنطقة، ولعل أبرز تلك الأخطار هو قيام دولة ميتاني التي جعلت بلاد آشور جزءاً من املاكها [1].

كان ضم بلاد آشور إلى ميتاني جزء من السياسية التوسعية التي انتهجتها الأخيرة لبناء إمبراطورية واسعة تقف بوجه من يحاول المساس بمصالحها في منطقة بلاد الرافدين وسوريا. والواقع أن فكرة ضم بلاد آشور بشكل تام لم تأتِ إلا بعد نهاية الحملات العسكرية لتحوتمس الثالث على بلاد الشام، إذ أنه على الرغم من أن ميتاني كانت تسيطر مع بدايات القرن الخامس عشر على معظم المناطق المحيطة بالآشوريين من جهة الشمال والشمال الشرقي، إلا أن بلاد آشور كانت خارج نطاق نفوذ هذه الدولة ، مع التأكيد على أن مساحة أراضيها كانت ضيقة في وقت الاحتلال الميتاني، وليس كما نعرفها فيما بعد بذلك المعنى الواسع الذي شمل كل مناطق شمال بلاد الرافدين[2]. فكما مر بنا أن المناطق الشمالية من بلاد آشور والشمالية الشرقية (مناطق شرق دجلة) كانت من مراكز انتشار للحوريين وتدار من قبلهم، ثم لتصبح تلك المراكز دولة واحدة عند قيام دولة ميتاني، ومن ثم كانت آشور واقعة تحت الضغط الحوري ثم الميتاني فيما بعد. لكن مع ذلك هي كانت مستقلة قبل أن يجتاحها ساوشتاتار، بدليل أن الملك الآشوري بوزر آشور الثالث (1521-1498 ق.م) أول ملوك العصر الآشوري الوسيط، كان قد عقد اتفاقية مع ملك بابل الكاشي بورنابورياش الأول تقضي بترسيم الحدود فيما بينهما[3]، ولعل هذا الاتفاق يعني أن آشور كانت لا تزال مستقلة. والدليل الآخر، وهو الأهم، هو أن أحد الملوك الآشوريين الذين خلفوا بوزر آشور الثالث، قد أرسل هدايا إلى تحوتمس الثالث[4] بعد انتصاره الكبير على

---

(1) عامر سليمان، "العصر الآشوري"، ص 128.

(2) هاري ساكز، قوة آشور، ص 67.

(3) وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، ص 42.

(4) المصدر نفسه، ص 42.

الميتانيين في معركة مجدو[1]. وفي مثل هذه الحالة لا يعقل أن ترسل آشور تلك الهدايا[2]، وهي تحت السيطرة الميتانية عدوة مصر.

وبلا شك أن الملك الآشوري الذي أرسل الهدية قد رأى أنه من الخير لبلاده ربط أواصر الصداقة مع مصر التي تفوق الآن قوتها قوة الدولة الميتانية، ومن ثم كسبها كحليف يقف بوجه أطماع ميتاني في بلاد آشور مستقبلاً. غير أن الأمور جاءت بعكس ما تشتهيه آشور، فبعد أن توقفت العمليات العسكرية لتحوتمس الثالث في بلاد الشام بعد الحملة السابعة عشر عام 1438 ق.م، وانحسار التهديد المصري المباشر ، بدأت ميتاني عملياتها التوسعية من جديد، وكانت هذه المرة بقيادة الملك ساوشتاتار[3]، الذي بعد أن رتب أوضاعه الداخلية توجه شرقاً على رأس قواته نحو بلاد آشور ليضمها إلى ممتلكاته بسهولة[4]، وهو إجراء يعكس حقيقة خوف الملك الميتاني من تزايد قوة آشور المتاخمة لحدود الدولة الميتانية، لذلك فإن السيطرة عليها يضمن له عدم توسع هذه الدولة ومنافستها لميتاني[5]. ولا يعرف تاريخاً دقيقاً لاحتلال آشور، لكنه على الأرجح وقع مع بداية استلام ساوشتاتار للسلطة.

استمرت السيطرة الميتانية على بلاد آشور ما يقارب القرن من الزمن[6]، وعلى الرغم من استمرار ملوكها بالجلوس على عروشهم خلال هذه الحقبة، إلا أنهم لم يكونوا أكثر من أتباع للملك الميتاني[7]، لذا عندما أعلن أحد هؤلاء الملوك الآشوريين المدعو آشور–رابي الأول ثورته ، محاولاً الاستقلال توجه إليه ساوشتاتار مرة أخرى ليقضي على ثورته ، ويعيد بسط نفوذه بقوة على آشور[8]، وفي هذه المرة نقل الملك

---

(1) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 111؛ هاري ساكز، قوة آشور، ص 66؛ سليم حسن، المصدر السابق، ص 414؛ وليد محمد صالح، المصدر السابق، ص 42.

(2) كان تحوتمس الثالث حريصاً على تدوين الهدايا والجهة التي ارسلتها في سجلاته التاريخية. ينظر: سليم حسن، المصدر السابق، ص 414.

(3) عاصر الملك ساوشتاتار الفترة الأخيرة من حكم تحوتمس الثالث. ينظر:

هاري ساكز، عظمة بابل، ص 94. Wilhelm, Grundzuge der, P. 45;

(4) هاري ساكز، قوة آشور، ص 66؛ وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، ص 43.

(5) Wilhelm, Grundzuge der, P. 46; Khurt, Op. cit., P. 293.

(6) وليد محمد صالح، المصدر السابق، ص 43.

(7) انطون مورتكات، المصدر السابق، ص 204.

(8) جورج رو، المصدر السابق، ص 345؛ عيد مرعي، تاريخ بلاد الرافدين، ص 107.

الميتـاني بابـاً كبيـراً مرصـعاً بالـذهب والفضـة أقامـه نصـباً فـي قصـره بعاصـمته وشـوكاني[1]، وقـد ذكـر لنـا أحـد الملـوك الميتـانيين المتـأخرين ويـدعى شـاتيواز (Šattiwaza) هـذا الحـادث فـي سـياق المعاهـدة التـي عقـدها مـع الملـك الحثـي شوبيلوليوما (Šuppiluliuma)، حيث قال بأن ساوشتاتار قد غزا آشور واحضر منها باباً مرصـعاً من الـذهب عندما تجرأ أحد ملوكها لإعـلان عصيانه ضد ميتـاني[2]. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه طالما نعرف بأن بين عصر الملك الآشوري بوزر-آشور الثالث وآشور- رابي الأول ثلاثة ملوك آشوريين هم إنليل - ناصر الأول، ونور-ايلي، وآشور-شدوني[3]، وإن بلاد آشور لا زالت مستقلة في عهد بوزر-آشور الثالث وعهد أحد هؤلاء الخلفاء الثلاثة الذي أرسل الهدايا إلى تحوتمس الثالث، لذلك نعتقد بأن آشور وقعت تحت الاحتلال الميتاني فـي عهد الملك آشور-شدوني، وإن خليفتـه آشور-رابي الأول عندما حول الاستقلال ضرب بقوة من قبل ساوشتاتار. ولكن يبقى ذلك مجرد فرضية دون دلائل كتابية.

في الحقيقة أن الأحداث اللاحقة بينت أن قوة سيادة ميتاني على آشور لا تبقى على حال واحد، وإنما تتغير في درجة سلطتها بحسب قوة الدولة والظروف المحيطة بهـا، لـذلك فـإن هـذا التقلـب فـي درجـة السـلطة شـجع عـدد مـن الملـوك الآشـوريين للانفصال عن الدولة الميتانية كما سنرى لاحقاً.

لقد انتهـى دور أشـور كقوة مـؤثرة فـي منطقـة الشـرق الأدنـى القديم فـي ظـل الاحتلال الميتاني. أما فيما يتعلق بالمعلومات المتعلقة بآشور خلال هذه الحقبة فتأتي بالدرجة الأولى من أرشيفات مدن تقع في ارابخا (كركوك) وأهمها نوزي[4]، وتظهر

---

(1) هاري ساكز، قوة آشور، ص 66؛ جورج رو، المصدر السابق، ص 345.

هذه هي المرة الأولى التي تظهر فيها وشوكاني عاصمة مملكة ميتاني، وهذا لا يعني بالضرورة أن ساوشتاتار هو أول من سكنها، ولكن هو الملك الأول التي بينت المصادر أنه يسكن وشوكاني.

(2) March, Culturel Atlas, P. 135.

انطون مورتكات، المصدر السابق، ص 204؛ جورج رو، المصدر السابق، ص 345.

(3) طه باقر، المقدمة، 1986، ج 1، ص 624.

(4) هاري ساكز، قوة آشور، ص 67.

الوثائق الآتية من نوزي[1]. أن هناك تأثير حضاري حوري على بلاد آشور لاسيما في الجانب الاقتصادي والاجتماعي وأسماء الأعلام[2]. بالمقابل فإن تأثير الحضارة الآشورية كان أكبر في معظم المجالات[3].

ثالثا: استعادة الهيمنة الميتانية على مناطق شمال غرب الفرات في سوريا

بعد أن فرغ سوشتاتار من قضية بلاد آشور وأعطى قواته قسطاً من الراحة، توجه نحو المناطق الشمالية السورية الواقعة إلى الغرب من الفرات، والتي كان تحوتمس الثالث قد سيطر على معظمها، وعند عبوره الفرات استعاد بسهولة سيطرة ميتاني على بلاد موكيش (عاصمتها الالاخ)، واحتل أوغاريت أيضاً أهم المدن التجارية على الساحل المتوسطي[4]، كذلك وقعت حلب تحت سيطرته[5]، ويؤيد سيادته على بلاد موكيش العثور على نصين قانونيين يعودان لملك الالاخ نيقميبا Niqmepa ابن ادريمي يحملان ختم ساوشتاتار باعتباره السلطة العليا[6]. كذلك معاهدة عقدها نيقميبا مع حاكم تونيب المدعو ورد–أدد (ward-Adad)، يقول نيقميبا في ضمنها لملك تونيب بأنه قد أدى يمين الولاء إلى "**ملك المحاربين الحوريين**"[7]. والواقع أنه لم تسجل لنيقميبا أية حملات عسكرية، لذلك فإن المناطق التي يحكمها الآن هي نفسها على الغالب التي كان يحكمه والده ادريمي[8]، وجميعهم يخضعون لسلطة ميتاني.

---

(1) وجدت في إحدى وثائق نوزي رسالة موجهة من ساوشتاتار إلى أمير نوزي تدل لهجة خطابها إلى أن هذا الأمير كان تابعاً للملك الميتاني، حملت الرسالة طلبات تعديل للحدود في المنطقة حول ارابخا وتوضيح طبيعة الأراضي هناك. ينظر: اسكندر داود، المصدر السابق، ص 125؛
Margert, Op. cit., P. 436.

(2) عامر سليمان، "العصر الآشوري"، ص 130.

(3) المصدر نفسه ، ص 130.

(4) Bienkowski and Millard, Op. cit., P. 46; J. Nougayrol, “Guerre et Paix Augarit”, in Iraq. Vol. XXV. Part. 2 (1963), P. 112.

(5) صبحي صواف، أقدم ما عرف عن تاريخ حلب منذ الألف الثالثة حتى العهد السلوقي (دمشق، 1952)، ص 56. لقد أشارت الوثائق المصرية والنصوص التي عثر عليها في حلب وأوغاريت والالاخ إلى أن أوغاريت وحلب قد خضعت لسيطرة ساوشتاتار. ينظر:
W. G. E. Watson and N. Wyatt, Hand Book of Ugaritic Studies (Leiden, 1999), PP. 619-620; صبحي صواف، المصدر السابق، ص ص 46–47.

(6) عيد مرعي، "مملكة الالاخ"، ص 46.

(7) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 104.

(8) المصدر نفسه، ص 104.

نجد هنا أن سيطرة ساوشتاتار امتدت تماماً من الفرات إلى البحر المتوسط، لأن حلب تقع بمحاذاة الفرات، وبلاد موكيش قلنا إنها مملكة كبيرة تمتد من الالاخ إلى كيزواتنا شمالاً، ومن الغرب إلى البحر المتوسط، أما من الجنوب فلها حدود مشتركة مع أوغاريت، والآن أوغاريت التي تقع على ساحل البحر المتوسط وقعت هي الأخرى تحت السيطرة الميتانية. ونلاحظ هنا من جانب آخر استخدام مصطلح المحاربين الحوريين وهو المصطلح الذي يستخدمه أيضاً الحثيين والمصريين بالرغم من أن السلطة السياسية التي كانت تتعامل مع دول الشرق الأدنى القديم خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م هي ميتاني، وهذا ما يؤكد بأن الحوريين يمثلون أساس الدولة الميتانية وهيكلها.

نرى في سياق هذه الأحداث أيضاً أن الملك نيقميبا قد عقد معاهدة خارجية مع تونيب بالرغم من أنه تابع لسيده الملك الميتاني، وهذا يعني أن السياسة الميتانية في أغلب الأحيان هي سياسة السيطرة غير المباشرة، حيث تكتفي بيمين والولاء الذي يؤديه ذلك الملك أو الأمير، طبعاً مع دفع الجزية، لذلك احتفظ حكام المقاطعات التابعة لميتاني بحق تقرير عدد من السياسات الخارجية، ومنها عقد المعاهدات باستثناء الحالات التي تمس فيها مصالح السيد الميتاني الأعلى[1]، وهذا ما لاحظناه مع ادريمي ملك الالاخ التابع لسيده الميتاني باراتارنا، وستتكرر هذه الحالات لاحقاً.

وهكذا فإن هذه النشاطات العسكرية لـ(ساوشتاتار) في بلاد آشور وسوريا أسفرت عن مد حدود إمبراطوريته من جبال زاكروس شرقاً باتجاه بلاد آشور إلى سواحل البحر المتوسط غرباً.

(1) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 114.
Asctour, "Hattušililiš Halab and Hanigalbat", P. 108.

المبحث الرابع

العلاقات الميتانية الحثية

خـلال عصـر ساوشـتاتار كـان قـد تسـتلم عـرش المملكـة الحثيـة ملـك يـدعى تودخلياش الثاني الذي يعد استلامه للعرش بداية عصر جديد في التاريخ الحثي عرف بعصـر المملكـة الحثيـة الحديثـة (العصـر الإمبراطـوري 1400–1207 ق.م) ، ذلك أن هذه المملكة بدءاً من عصر هذا الملك قد استأنفت سياسة التوسع الخارجي ، بعد أن ركنت إلى الهدوء مدة طويلة، لا سيما نحو سوريا التي توقف فيها التأثير الحثي منذ عهد مورسيلي الأول[1].

قاد هذا الملك العديد من الحملات العسكرية إلى خارج حدود المملكة الحثية المختلفة[2]، وما يهمنا منها هو نشاطاته العسكرية نحو شمال سوريا. فهذا الملك عندما قرر التوجه إلى سوريا وجد أن الطريق نحوها صعب جداً، فإمبراطورية ميتاني بقيادة ساوشتاتار تفرض سيطرتها الآن على شمال سوريا، بل امتدت الى اكثر من ذلك، فيظهر أن ساوشتاتار بعد سيطرته على شمال سوريا قد توجه شمالاً داخل أراضـي الأناضـول فتمت لـه السيادة علـى مملكـة كيزواتنـا[3]. وتبـدو هذه السيادة واضـحة مـن خــلال معاهـدة كــان قـد عقـدها تودخليــاش مــع ملــك كيزواتنــا المــدعو شوناشــورا (Šunašura) الثاني[4]، قبل أن يتوجه بحملته إلى شمال سوريا، ومما جاء فيها

"الآن شعب كيزواتنا هم قطيع حثي، واختاروا إسطبلهم بعيداً عن الحـوريين، هـم انفصـلوا وغيـروا ولاءهـم إلــى شمســي، أخطـأ الحوريين ضد حاتي [حثـي] وارتكبوا إثماً ضد بلاد كيزواتنا، الآن

---

(1) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 209؛ .MchMahon, Op. cit., PP. 168-169

(2) للإطلاع على هذه الحملات، ينظر: صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص ص 209–216.

(3) R. H. Beal, "The History of Kizzuwatna and the Date of the Šunašura Treaty", in OR, Vol. 55 (1986), PP. 428-430; Khurt, Op. cit., P. 293.

(4) March, Cultural Atlas, P. 135; Beal, Op. cit., PP. 428-430.

يعاصر شوناشورا كلاً من الملك الميتاني ساوشتاتار، والملك نيقميبا ملك بلاد موكيش، ويعتقد أن شوناشورا هو ابن بيليا السالف الذكر الذي عقد معاهدة مع ادريمي ملك الالاخ. ينظر: هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 104.

كيزواتنا تبتهج كثيراً لتحريرها ... الآن أنا شمسي أعدت استقلال أرض كيزواتنا"[1].

كذلك تم العثور على نص يحمل دعوى قضائية أقامها نيقميبا ضد شونا شورا، وقد حكم بها ساوشتاتار[2]، وهذا يعني أن كلا الملكين تابعين للملك الميتاني.

نستطيع القول أن تودخلياش قد دخل الصراع مع الميتانيين حتى قبيل توليه العرش رسمياً[3]، إذ تشير النصوص الحثية إلى أنه بعد اغتيال الملك الحثي مواتالي الأول (آخر خلفاء خانتيلي الثاني من المملكة القديمة)، نشب صراع على العرش بين تودخلياش وشخص آخر يدعى مووا (Muwa)، وهذا الأخير قد حصل على الدعم العسكري من الحوريين، وفي النهاية كان العرش من حصة تودخلياش الثاني "**المشاة وعربات مووا، والمشاة وعربات الحوريين أخذوا أرض المعركة ضد كانتوزيلي [أحد القادة العسكريين] ... وأنا، الملك، هزمت جيش مووا والحوريين ومات العدو بشكل جماعي**"[4].

إن هذا التدخل من الجانب الحوري يدفعنا إلى الاعتقاد في شيئين، أولهما أن هناك اتفاق مبرم بين مووا والميتانيين لقاء هذه المساعدة ستطبق بنوده فيما لو فاز مووا، والثاني هو ليس اتفاق، وإنما رغبة الميتانيين باستمرار إرباك البيت المالك الحثي عن طريق مساعدة هذا الطرف أو ذاك، وبالتالي ضمان عدم توجيه أنضار الحثيين نحو الخارج لاسيما إلى سوريا.

وبعد أن فرض تودخلياش هيمنته في الداخل بدأ نشاطاته العسكرية نحو الجهات الشرقية والغربية من مملكته قبل أن يتقدم نحو سوريا، وقد أصطدم بالميتانيين أولاً في النواحي الشرقية عند مملكة "إشووا" وهذه المملكة كانت واقعة تحت النفوذ الحثي لكنها أعلنت تمردها مع بداية حكم تودخلياش بمساعدة قوات من ميتاني[5]، فتوجه إليها وتمكن من دخولها بعد أن تم سحق المتمردين، ثم التجأ قسم من هؤلاء المتمردين إلى الملك الميتاني الذي رفض تسليمهم للحثيين كما هو واضح من النص الآتي:

"شعب اشووا هربوا من أمام شمسي واتجهوا إلى بلاد حوري. أنا شمسي أرسلت رسالة إلى الحوريين 'أعطوني رعيتي'، لكن

---

(1) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص ص 223-224.

(2) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 250؛ Beal, Op. cit., P. 429

(3) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 207.

(4) المصدر نفسه، ص 208.

(5) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 214.

الحوريين أرسلوا رسالة إلى شمسي قائلين فيها لا، تلك المدن منذ أيام جدي أعيدت إلى الحوريين، واستقروا هناك"[1].

يظهر من النص أن قسماً من الحوريين كانوا يسكنون بلاد اشووا، وهذا ما أكدته عدد من النصوص الحثية الأخرى، غير أن الموقع المهم لهذه المملكة الكائن بين المملكتين الحثية والميتانية جعلها تتقلب في ولائها للملكتين[2]، وعلى العموم هي ارتبطت في أكثر الأحيان بدولة ميتاني[3]. ويظهر من هذه المعركة أن الميتانيين أرادوا كسب ولاء هذه المنطقة، فضلاً عن إحداث شق بين الحثيين والمناطق التابعة لهم ، وبالتالي إشغال الحثيين في صراع طويل داخل بلاد الأناضول دون التوجه إلى منطقة سوريا.

غير أن الحثيين كانوا هذه المرة أقوى من المخططات الميتانية، فبعد السيطرة على اشووا قرر تود-خلياش خوض معركة فاصلة مع الميتانيين شمال سوريا للسيطرة على هذه المنطقة، لكنه بالوقت نفسه كان يدرك بأن الإقدام على مثل هكذا عمل سيكون صعب جداً، ما لم يحسم أمر مملكة كيزواتنا التي تقع بين بلاد حثي وشمال سوريا، والتي هي الآن تحت النفوذ الميتاني وحليفة له، لذلك اتصل مع ملكها شوناشورا وأجرى معه مفاوضات أثمرت عن عقد معاهدة تحالف بين الطرفين، وعندما وصل الجيش الحثي إلى كيزواتنا أعلنت رسمياً استقلالها عن السيادة الميتانية كما وضحنا قبل قليل.

وبعد أن أمن كيزواتنا والمدن المجاورة لها الموالية للميتانيين ، شرع في تنفيذ مخططه، حيث توجه على رأس حملة جنوباً نحو سوريا مباشرة ، فتمكن من دخول حلب[4]. ويبدو أن القوات الميتانية المرابطة في أعالي سوريا لم تستطع مقاومة الجيش الحثي، وهكذا بالنسبة لحلب التي هي الأخرى قد استسلمت دون قتال، وهذا ما يظهر في النصوص الحثية[5]. وبعد أن سيطر تودخلياش على حلب انسحب إلى بلاده مكتفياً بهذا الإنجاز من دون منازلة الميتانيين في معركة فاصلة، ولعل كلا الطرفين فضل عدم خوض هذه المعركة ، طالما أن الحثيين قد انسحبوا مكتفين بحلب فقط.

---

(1) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 214.

(2) المصدر نفسه، ص 214.

(3) Wilhelm, <u>Grundzuge der</u>, P. 43.

(4) جرني، <u>الحثيون</u>، ص 47؛ صفية سعادة، <u>أوغاريت</u>، ط1(بيروت، 1982)، ص 19.

(5) صلاح رشيد، المصدر السابق، ص 224.

لكن ما أن انسحب تودخلياش الثاني إلى مملكته ، حتى أعلنت حلب خروجها عن السيطرة الحثية، وأعادت تحالفها مع ميتاني من جديد خوفاً من بطش الأخيرة، لذلك توجه الملك الحثي مرة أخرى إلى سوريا بحملة انتقامية دمر بها حلب بعد أن سحق القوات الميتانية[1]. وهذا واضح من النص الحثي الآتي "**ملك بلاد حلب عمل السلام مع خانيجلبات[2]، ولهذا السبب هو تودخلياش دمر ملك خانيكلبات وملك حلب سويةً مع أراضيهم، ودمر مدينة حلب تماماً**"[3]. وقد يكون وصف هذا النص للخراب الذي حل بحلب صحيحاً، لكن هناك مبالغة واضحة فيما يخص ميتاني، لأن هذه الدولة استمرت قوية ولم تفقد سوى حلب في هذه المعارك، ومع ذلك لا يستبعد أن يكون تودخلياش قد استولى على بعض الأراضي المحيطة بخانيجلبات.

وبمجرد وفاة تودخلياش الثاني انهارت دولته التي بناها بسرعة، حيث تمردت معظم البلاد التي أخضعها، ولم يستطع خليفته ارنوانداش الأول إعادتها بالكامل[4]. ويذكر ارنوانداش أنه انتصر على ميتاني[5]، غير أن النص لم يوضح طبيعة هذا الانتصار ومكانه. ونعتقد أن ذلك حصل داخل أراضي الأناضول بعد توجه القوات الميتانية إلى هناك، لأن ارنوانداش لم يصل إلى سوريا. وهنا لا بد وأن ميتاني أعادت سيطرتها على حلب، لكن ليست لدينا أدلة مدونة على ذلك.

على أية حال، فإن ارنوانداش توفي من دون أن تستطيع الدولة الحثية اختراق شمال سوريا، وحتى حملة تودخلياش الثاني إلى سوريا لم تكن حملة كبيرة بالمقاييس العسكرية ، فلم تستطع إيجاد موطئ قدم دائم في سوريا، أو أن تزعزع النفوذ الميتاني فيها، لذلك تراجع الحثيون وبقي الخطر الميتاني قائماً في الشرق.

وليس بعيداً عن هذه الأحداث ، فقد توفي الملك المصري تحوتمس الثالث، وما أن بلغ خبر وفاته بلاد الشام ،حتى أعلنت كثير من الولايات التابعة لمصر انفصالها رافضة دفع الجزية. وكالعادة فقد استغل الميتانيين هذا الوضع الجديد وأخذوا

---

(1) المصدر نفسه، ص 225؛ صبحي صواف، أقدم ما عرف عن تاريخ حلب، ص 56.

(2) يلاحظ هنا استخدام مصطلح خانيجلبات من قبل الحثيين بدلا من ميتاني للإشارة إلى أرض معينة وليس كل أراضي الحوريين، فهي تعني الأراضي التي تمتد بين منعطف نهر الفرات من الناحية الشرقية إلى أعلي دجلة غرباً، والتي تمثل حاجزاً أمام الحثيين للدخول إلى سوريا، ومنها ينطلق الحوريين نحو بلاد الحثيين، ولقد سبق أن وصف أحد ملوك المملكة الحثية القديمة المدعو حاتوشيلي الأول هذه المنطقة التي دخل منها الحوريين إلى بلاده بالقول "العدو الحوري القادم من أرض خانيجلبات".

(3) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 225.

(4) صلاح رشيد الصالحي ، المصدر السابق ، ص 227؛ MachMahon, Op. cit., PP. 170-171

(5) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 251.

يـدعمون حركـات التمـرد[1]. لكـن امنحوتـب الثـاني (1425–1397 ق.م)[2]، خليفـة تحوتمس الثالث أخضع مرة أخرى عشاق الحرية، ثم فرض من جديد السيطرة المصرية على تلك المناطق[3]، وتذكر إحدى النصوص العائدة لامنحوتب الثاني المتعلق بهذه الأحداث أنه قد تم أسر شخص مندوب للملك الميتاني ساوشتاتار كان قد أرسله إلى الأمراء في سوريا الخاضعين للسيطرة المصرية يناديهم للخروج عليها، وقد وجد ذلك النـداء فـي لوحـة صـغيرة معلقـة فـي رقبـة ذلـك المنـدوب[4]. وفـي كـل الأحـوال فـإن امنحوتب الثاني لم يتقدم في نفوذه نحو مناطق شمال سوريا الواقعة تحت السيطرة الميتانية ، لأنه على الأغلب كان يدرك من خلال تجارب أسلافه بأن السيطرة على هذه المنطقة ليس بالأمر السهل، ما دامت القوة الميتانية موجودة هناك. وهذا ما أثبتته الأحداث اللاحقة.

توفي ساوشتاتار في السنوات الأخيرة من حكم امنحوتب الثاني تقريباً قبيل عام 1400ق.م[5]، وبذلك كان قد عاصر الجزء الأعظم من حياه امنحوتب الثاني، ويبدو أن كـلا الملكين قد اقتنعا بنفوذهما الموجود فـي سوريا، لهذا فإنـه لـيس هنـاك دلائـل واضحة تثبت بأن هناك معارك قد وقعت بين الطرفين.

خلف ساوشتاتار على عرش الدولة الميتانية الملك ارتاتاما الأول (Artatam I) الذي يعتقد أنـه ابنـه[6]، ولم يكن الملك الجديد أقل بأساً من سلفه، إذ أنـه حـافظ على كيان الإمبراطورية الميتانية، وفي عهد هذا الملك والسنوات الأخيرة من حكم امنحوتب الثاني بدأت صفحة جديدة من العلاقات الدبلوماسية بانت معالمها بشكل واضح في عهد الفرعون تحوتمس الرابع، وهذا ما سنعالجه في الفصل الآتي.

---

(1) جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 214.

(2) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 111.

(3) Kengel, Syria 3000 to 300 B.C, P. 95; ول ديورانت، المصدر السابق، ص 80

(4) March, Cultural Atlas, P. 135; جان يويوت، المصدر السابق، ص 118.

(5) Wilhelm, Grundzuge der, P. 48.

(6) Gelb, Op. cit., P. 77; Klengel, Syria 3000 to 300 B.C, P. 97.

المبحث الخامس

الانتشار الحوري الجديد خلال القرن الخامس عشر ق.م

شهدت عدد من مناطق سوريا وبلاد الرافدين، والأناضول خلال عصر التوسع الميتاني انتشاراً حورياً متفاوتاً في مناطق جديدة غير التي ذكرت سابقاً. ففي سوريا كانت هناك عدة مدن ظهر فيها الحوريين خلال هذا القرن، منها ، مدينة ازو (Azoo)[1]، التي كشف فيه عن عدة طبقات أثرية، واحدة منها تعود للعصر البرونزي المتأخر (1550–1200 ق.م) وتضم في ثناياها مدينة تدعى ازو الميتانية، التي كانت قد ذكرت قبل أن تكتشف في رقم نوزي والالاخ[2]، ومن خلال الرقم التي وجدت فيها وعددها سبعة عشر رقيماً، فضلاً عن الأواني الفخارية، تبين أن الحوريين كانوا يسكنون هذه المدينة خلال القرن الخامس عشر[3]، وإن هذه الرقم فضلاً عن الأسماء الحورية التي حملتها ، فإنها تتحدث عن قضايا اقتصادية واجتماعية حورية، وبعضها يتطرق إلى وضع المرأة في المجتمع الحوري من ناحية الإرث والتملك[4]. هذا وتشكل أسماء الأعلام الحورية في هذه الرقم المرتبة الثانية بعد الأسماء الجزيرية من ناحية العدد، ثم تأتي بعد ذلك الأسماء الحثية، لكن لا يوجد اسم ملك ضمن هذه الأسماء[5]، ولعل عدم العثور على اسم ملك، فضلاً عن إشارات رقم نوزي والالاخ إلى مدينة ازو كونها ميتانية يعني أن هذه المدينة كانت تحت السيادة الميتانية المباشرة.

المدينة الأخرى أوغاريت (رأس شمرة)، واحدة من المدن الشمالية الشهيرة التي تقع على ساحل البحر المتوسط، شهدت انتشاراً حورياً كثيفاً خلال هذا القرن بدلالة الأسماء الحورية الشخصية التي وجدت في نصوص أوغاريت إلى جانب الأسماء

---

(1) ازو: مدينة تقع أطلالها اليوم في التل المعروف باسم تل الحديدي الذي يقع على بعد 30 كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة منبج على الضفة اليمنى لنهر الفرات في شمال سوريا . ينظر: على أبو عساف، آثار الممالك القديمة، ص 41؛ تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا، المصدر السابق، ص 244.

(2) تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا، المصدر السابق، ص 246. ؛ محمد الخولي " أكتشاف مدينة أزو الميتانية " مجلة البحث التاريخي ، عدد 3 (حمص ، 1984) ، ص ص 73–75 .

(3) تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا ، المصدر السابق ، ص 246.

(4) تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا، المصدر السابق، ص 247.

(5) المصدر نفسه، ص 247.

الاوغاريتية[1]. كذلك ألواح مكتوبة بالحورية والخط المسماري تعالج قضايا مختلفة[2]، منها إشارات موسيقية لترنيمة دينية، ومقدمات نذرية، وقرابين[3]. أيضاً عثر على رقم تحتوي مرادفات للكلمات من أربع لغات هي الاوغاريتية، والأكدية، والحورية، والسومرية[4]. وفي الموضوع نفسه، وجد أيضاً قاموس لمفردات حوري – سومري، ونص ثنائي اللغة أكدي – حوري يعالج نوع من أدب الحكمة[5]. ووجد أيضاً عدد كبير من النصوص الدينية الحورية[6]، ولم يقتصر استخدام اللغة الحورية في الداخل بل وجد في عدد من الرسائل المبعوثة إلى الخارج[7].

بشكل عام كانت اللغة الحورية تستخدم في أمور الحياة المختلفة في المجتمع الأوغاريتي، ويظهر مدى استخدامها وكأنها متلازمة مع الاوغاريتية في الاستعمال[8]، وهذا يعني أن اللغة الحورية كانت مفهومة لبعض الناس في أوغاريت من غير الحوريين، لكن مع كل ذلك تبقى الأغلبية من وثائق أوغاريت مدونة بالخط المسماري واللغة الأكدية[9]. وفضلاً عن النصوص الكتابية، تم العثور على عدد من التماثيل الحورية التي تجسد آلهتهم[10]. وإلى جانب ذلك كان يوجد في القصر الملكي بأوغاريت فئة حورية هي فئة سائقي العربات تدعى ماريانو، وهي ذات مركز مهم في المجتمع الاوغاريتي، فضلاً عن الحرفيين[11]. وعلى هذا نستطيع القول أن الحوريين كانوا جزءاً أساسياً من مجتمع

---

(1) Gelb, Op. cit., P. 69; Watson and Wyatt, Op. cit., P. 128.

(2) بدري حجل، سوريا وتاريخها الحضاري (دمشق، 2004)، ص 109؛ فاضل عبد الواحد علي، من ألواح سومر إلى التوراة ، ص 179.

(3) معزز محمد علي نور الله، حضارة أوغاريت، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة دمشق، كلية الآداب، 2005)، ص 157.

(4) Watson and Wyatt. Op. cit., P. 128.

(5) Ibid., P. 621; بدري حجل، المصدر السابق، ص 109.

(6) Watson and Wyatt, Op. cit., P. 621; فيليب حتي، المصدر السابق، ص 164.

(7) معزز محمد علي نور الله ، المصدر السابق، ص 157.

(8) Watson and Wyatt, Op. cit., P. 129.

(9) فاضل عبد الواحد، من ألواح سومر، ص 179.

(10) جبرائيل سعادة، رأس شمرة (آثار أوغاريت)، (دمشق، 1954)، ص 30.

(11) معزز محمد علي، المصدر السابق، ص 157؛ هناك أشياء حضارية أخرى تتعلق بالحوريين في أوغاريت سيتم التطرق إليها في الفصل الخاص بحضارة الحوريين.

أوغاريت. وقد امتد تأثيرهم الحضاري إلى مدن مجاورة لأوغاريت مثل مدينتي سيانو، واشناتو على الساحل السوري[1].

كما شهد القرن الخامس عشر ق.م انتشاراً حورياً في مدينة قطنة بوسط سوريا[2]، وهذا واضح من الأسماء الشخصية الحورية، وأسماء لأشياء تم التعبير عنها باللغة الحورية قد وجدت في قطنة[3]، وكان الميتانيون قد طوقوا هذه المدينة بسور محيطة خمسة كم لا تزال أثاره ظاهرة حتى الآن[4]، ومع ذلك لا تدل مكتشفاتها الأثرية بأن الحوريين كانوا يمثلون نسبة كبيرة كما في أوغاريت.

لدينا أيضاً لائحة بأسماء أعلام حورية وجدت في مدينة نيا (ني) (Niya)، ومدينة نوخاسة (Nuhassa)[5]، وتونيب شمال سوريا[6]. ومع أنه لم تصلنا من هذه المدن أشياء مهمة عن الحوريين، لكن المهم أن الحوريين قد استوطنوها بغض النظر عن أعدادهم. ومن المدن السورية الأخرى التي يتوقع بأنها كانت من مراكز استيطان الحوريين خلال هذا القرن، هي مدينة كحت (تل بري)[7]، حيث ظهر من خلال التنقيبات حطام أواني فخارية تشبه فخار نوزي العائد للحوريين[8]، ويرى أحد الباحثين أن مدينة (كحت) كانت مركزاً دينياً مهماً لدولة ميتاني، ويستند في ذلك إلى المعاهدة التي عقدت بين الملك الحثي شوبيلوليوما (1355–1320ق.م)، والملك الميتاني شاتيوازا التي جاء فيها ذكر معبد الإله تيشوب (إله الجو الحوري) في مدينة كحت،

---

(1) معزز محمد علي نور الله ، المصدر السابق، ص 156.

(2) تقع قطنة (تل المشرفة في الوقت الحاضر) على بعد 18 كم شمال شرق حمص. ينظر: أحمد علي إسماعيل، تاريخ بلاد الشام، م 1 (دمشق، 1998)، ص 53.

(3) Gelb, Op. cit., P. 69; فيليب حتي، المصدر السابق، ص 164.

(4) عيسى أسعد الخوري، تاريخ حمص من أقدم أدوارها إلى الآن (حمص، 1939)، ص 89؛ أحمد علي إسماعيل، المصدر السابق، ص ص 53–54.

(5) تقع نيا جنوب الالاخ في منطقة الغاب، أما نوخاسة فتقع إلى الجنوب من حلب واخذ اسمها يظهر خلال النصف الثاني من الألف الثاني ق.م. ينظر: عبد الله الحلو، المصدر السابق، ص 568.

(6) Gelb, Op. cit., P. 69.

(7) كحت: تقع هذه المدينة في ثنايا تل بري الواقع على الضفة الغربية لنهر جغجغ (أحد روافد الخابور) شمال سوريا بمحافظة الحسكة، ويحتل هذا التل موقعاً ستراتيجياً مهماً كونه يمثل عقدة المواصلات بين سوريا وبلاد الرافدين والأناضول. ينظر: باولوبيكوريلا، "التنقيبات الإيطالية في تل بري (كحت)"، ترجمة قاسم طوير، مجلة الحوليات الآثارية السورية، ع 34 (دمشق، 1984)، ص 272.

(8) المصدر نفسه، ص 272.

كذلك نص للملك الآشوري شليمنصر الأول (1263-1234 ق.م) يذكر فيه عدد من المعابد ومنها معبد رب الجو تيشوب في مدينة كحت، وهو ما يعني أن هذه المدينة كانت مقراً للحوريين[1].

وعلى هذا يكون الامتداد الحوري قد امتد من وسط سوريا باتجاه الشمال إلى الفرات، أما المنطقة الجنوبية من سوريا فقد بينت النصوص المصرية من الأسرة الثامنة عشر بأن الحوريين يسكنون هذه المنطقة[2]، كذلك يُستشف من نصوص مختلفة من سوريا بأن هذه المنطقة شهدت استقراراً حورياً[3]، لكن في الواقع لا نمتلك أدلة لغوية أو آثارية على ذلك.

واما عن بلاد الرافدين، ففي المنطقة الشمالية يظهر لنا مستوطن جديد للحوريين خلال القرن الخامس عشر يدعى حاليا (تل الفخار)[4]، الذي عثر فيه على مجموعة نصوص مسمارية ، ولقى أثرية يظهر من خلالها ، أن الحوريين كانوا يسكنون هذه المنطقة التي لا تبتعد كثيراً عن نوزي واربخا[5]، ومواضيع هذه النصوص لا تختلف كثيراً عن تلك التي وجدت في نوزي وارابخا الخاصة بالحوريين[6]. هذا مع العلم أن نوزي وارابخا قد شهدتا توسع الاستيطان الحوري خلال هذا القرن، وتم التطرق إلى هذا الأمر في الفصل الخاص بهجرة الحوريين[7]، لذلك فإن الاستيطان الحوري في تلك الفخار تزامن مع هذا التوسع في الاستيطان، لاسيما أن تل الفخار يقع في محيط منطقة كركوك (ارابخا). وعدا هذا الموقع فليس لدينا أدلة كتابية أو آثارية عن أماكن أخرى في شمال بلاد الرافدين، غير التي ذكرت سابقاً، قد استوطنها الحوريون.

---

(1) ماريو سالفيني، المصدر السابق، ص 268.

(2) فيليب حتي، المصدر السابق، ص 164؛ محمد بيومي مهران، المصدر السابق، ص ص 451-452.

(3) Wilhelm, Grundzuge der, P. 44.

(4) تل الفخار: يقع على 45 كم إلى الجنوب الغربي من كركوك (ارابخا قديماً) وحوالي 35 كم جنوب غربي نوزي، ويعرف قديماً باسم كوروخاني (Kurru-hani). ينظر: ياسين محمود، "تل الفخار"، مجلة سومر، م 26، ج 1-2 (1970)، ص 52. لمزيد من التفاصيل ينظر: المصدر نفسه، ص 53 وما بعدها.

(5) بهيجة خليل إسماعيل، "نبذة عن الكتابات المكتشفة في نوزي"، ص 66؛ محمود ياسين، المصدر السابق، ص 53.

(6) بهيجة خليل إسماعيل، المصدر السابق، ص 66. سيتم الإطلاع على مضامين هذه النصوص في الفصل الخاص بحضارة الحوريين.

(7) ينظر ص (41-43) من الأطروحة.

وفي جنوب بلاد الرافدين لا توجد إشارة خلال هذا القرن للتحرك الحوري إلى هناك. أما في بلاد الأناضول، فإن قسم من الحوريين قد استوطنوا في الأجزاء الجنوبية الشرقية منها، وذلك بالاستناد إلى النصوص الحثية التي أشارت إلى وجود الحوريين في مناطق تقع في تلك الأجزاء، ومنها مدينة اشووا، ومدينة ألشي التي سبق أن تم تحديد موقعها، وقد ارتبطتا في أغلب الأحيان بدولة ميتاني[1]. كذلك منطقة كيزواتنا السالفة الذكر، التي يظهر من النصوص الحثية أن الحوريين كانوا يسكنون فيها بنسبة عالية[2]. كما يظهر من تلك النصوص بأن المعتقدات الدينية الحورية قد انتشرت في هذه المنطقة خلال القرن الخامس عشر[3]. لكن للأسف إن المعلومات عن الحوريين في هذه المناطق الأناضولية مستمدة من المدونات الحثية، أما المصادر الأصلية من تلك المناطق فلا زالت قليلة جداً.

والحقيقة أن نزوح جماعات من الحوريين خلال القرن الخامس عشر يعطي انطباعاً بأن هناك تواصلاً بين الحوريين في بلاد الرافدين وسوريا والأناضول، والحوريين الموجودين في الموطن الأصلي في المناطق الجبلية حول بحيرة وان. ولا يستبعد بأن قسماً من الحوريين خلال القرن الخامس عشر قد نزحوا من منطقة قديمة كانوا مستقرين فيها إلى أخرى جديدة، وليس مهاجرين من الموطن الأصلي.

وعلى العموم فإن هذه المساحة الكبيرة التي انتشر فيها الحوريون منذ أواخر الألف الثالث حتى القرن الخامس عشر، تدفعنا إلى الاعتقاد بأنه لا زالت هناك مدن، ومناطق أخرى في بلاد الرافدين، وسوريا، وبلاد الأناضول قد استقر فيها الحوريين، لكنها تنتظر التنقيب.

---

(1) Wilhelm, Grundzuge, P 34.
(2) Gelb, Op. cit., P. 68.
(3) Wilhelm, Grundzuge, P 34.

المبحث الأول

التطورات السياسية بين دولة ميتاني والدولة الحثية والمصرية خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر ق.م

بحلول القرن الرابع عشر ق.م تكون مصادرنا عن الدولة الميتانية أكثر غنى من القرن الخامس عشر ق.م، كما اتسم هذا القرن والذي يليه بكثرة الوثائق التي تتحدث عن العلاقات بين قوى الشرق الأدنى القديم. وتتمثل تلك المصادر بالوثائق الحثية من حوليات ومعاهدات، والمدونات الآشورية والبابلية، والوثائق المصرية التي من أبرزها رسائل تل العمارنة[1].

والواقع أن هذا العصر كان مذهلاً من ناحية الصراعات العسكرية، والتحركات الدبلوماسية التي كانت التحالفات أهم سماتها بين القوى القائمة آنذاك (الميتانية، والحثية، والمصرية، والآشورية)، وأصبحت المدن التي كانت ساحة للتنافس والصراع بين تلك القوى تغير مواقفها وتحالفاتها سريعاً تبعاً لقوة وضعف هذه الدولة أو تلك، وتكاد لا تستطيع أي مملكة أو دويلة أن تبقى على الحياد من دون ارتباطها بهذا الطرف أو ذاك ممن سيوفر الحماية لها. وقد أحاطت الوثائق آنفة الذكر بمعظم ذلك النشاط السياسي والعسكري، وهي مهمة جداً بالنسبة للتاريخ الميتاني، لأنها أفصحت عن النشاط السياسي والعسكري للميتانيين ، وعرفتنا بملوكهم الذين حكموا خلال هذا القرن بشكل متسلسل من خلال مقارنتهم مع معاصريهم من ملوك مصر وحثي وآشور.

ولنبدأ أولاً بتلك التطورات السياسية التي حدثت بين ميتاني ومصر، فكما مر بنا أن عرش الدولة الميتانية قد تولاه الملك ارتاتاما خليفة ساوشتاتار، وكان هذا الملك قد عاصر السنوات الأخيرة من حكم الفرعون امنحوتب الثاني الذي تكاسل في سنواته الأخيرة عن القيام بحملات عسكرية إلى سوريا البعيدة، وهو ما شجع الميتانيين لتوسيع نفوذهم في مناطق شمال سوريا[2].

---

(1) جورج رو، المصدر السابق، ص 346.

(2) سليم حسن، مصر القديمة، ج5، ص 17.

توفي امنحوتب الثاني ليخلفه على العرش ابنه تحوتمس الرابع (1397–1387 ق.م)[1]، وفي زمن هذا الملك بدأ التقارب الفعلي بين ميتاني ومصر، وهذا ما تم بعد الحملة التي قام بها تحوتمس الرابع إلى بلاد الشام ومنها بلاد نهرين، فكالمعتاد نشبت ثورة بعد وفاة امنحوتب الثاني في عدد من مدن بلاد الشام تمكن من إخمادها[2]. ولم يكشف عن الحملة في بلاد نهرين لكنها عرفت من خلال الإشارات الواردة في بعض النصوص التي تتحدث عن إخماده الفتنة في بلاد الشام[3]، ويبدو أن الحملة لم تبتعد كثيراً في بلاد نهرين فلا توجد إشارة تدل على توسع تحوتمس نحو مناطق النفوذ الميتاني في نهرين[4].

وبعد هذه الحملة حصل تغيير جذري في تاريخ العلاقات بين مصر وميتاني يتمثل في إنهاء حالة العداء القائم بين الطرفين، واللجوء إلى الحل الدبلوماسي[5]. وقبل هذا يبدو أن التوجه إلى إحلال السلام بين الطرفين قد بدأ منذ عهد امنحوتب الثاني، فبعد حملته العسكرية الناجحة في بلاد الشام التي جاءت بعد بضة أشهر من توليه الخلافة، أرسل ملك ميتاني وفداً إلى الفرعون طالباً السلم[6]، كما هو واضح من النص الآتي: "**والآن حين سمع أمير نهرين وأمير حاتي وأمير سنجار [**قلعة شيزر الحالية شمال غرب حماة**] بالنصر العظيم الذي تم لي، نافس كل منها الآخر في هداياه إلي ... وتوجهوا إلي بدعائهم من أجل إقرار السلام**"[7]. ويبدو أن السلام قد تم فعلاً بين الطرفين، إذ لم يحدث صدام بينها طوال مدة حكم امنحوتب الثاني المتبقية، ومع أن اسم الملك الميتاني الذي طالب بالسلام لم يذكر في النص، لكنه هو ساوشتاتار الذي عاصر أغلب مدة حكم هذا الفرعون.

---

(1) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 112.

(2) جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 216.

(3) من تلك الإشارات ما ورد في إحدى اللوحات التي تذكر قائمة بالقرابين التي قدمها تحوتمس الرابع للإله في معبد الكرنك، ومن بين تلك القرابين أشياء "**استولى عليها جلالته من بلاد نهرين في حملته الأولى المظفرة**". ينظر: سليم حسن، مصر القديمة، ج 5، ص 17.

(4) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 113.

(5) Goetze, “Mitannians and Hittites”, P. 5.

(6) أحمد أمين سليم، تاريخ الشرق الأدنى القديم (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1990)، ص 359.

(7) محمد بيومي مهران، المصدر السابق، ص 227.

ومهما يكن من أمر فإن عملية السلام تلك قد انتهت بمجرد وفاة امنحوتب الثاني ، حيث قامت الفتن والاضطرابات في بلاد الشام ، وبتأييد ودعم من الملك الميتاني أيضاً[1].

وكما وضحنا قبل قليل، فإن مهمة إخماد تلك الفتن كانت هذه المرة على يد تحوتمس الرابع، الذي ما إن تمكن من إخمادها حتى حصل التقارب مع الميتانيين، فقد توصل الطرفان إلى عقد معاهدة سلام ختمت بزواج ربط بين العائلتين الملكيتين[2]. وفي أكثر الاحتمالات أن مصر هي التي بدأت بالتقرب إلى ميتاني، وذلك من أجل الحفاظ على نفوذها في بلاد الشام، وبالذات شمال سوريا وسواحلها التي تشكل ميتاني خطراً كبيراً عليها بصورة مستمرة[3]. لاسيما أن تلك البقاع بعيدة عن الوطن المصري وقريبة جداً من الميتانيين، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الجزء الأكبر من الحوريين ينتشرون في مدن شمال سوريا، وهؤلاء بالطبع مؤيدين لسياسة دولتهم الميتانية.

وفي كل الأحوال فإن مصر أدركت بعد ذلك الصراع الطويل مع ميتاني عدم قدرتها على الاحتفاظ بمكاسبها في سوريا، وبالمقابل فإن الميتانيين تيقنوا أيضاً أن كل تحرك داخل سوريا سيصطدم بالقوة المصرية، وإنه من المستحيل السيطرة على فلسطين وجنوب سوريا أو أي ارض اقتطعتها مصر من سوريا. لذلك اقتنع الجانبان بأن الحفاظ على نفوذهما يكمن في الاتفاق والجلوس إلى الحوار[4]. وبطبيعة الحال فإن هذا الاتفاق سيكون له تداعياته ،لانه سيكون بمثابة حاجز قوي يقف بوجه الخطر الحثي والآشوري المستقبلي الذي لم يغرب عن بال الطرفين[5].

أراد الفرعون المصري اختبار حسن النوايا للملك الميتاني ارتاتاما فأرسل له وفداً طالباً ابنته للزواج، فتردد الملك الميتاني في هذا الأمر كثيراً، لكن تحوتمس الرابع لم يتردد بإرسال الوفود مرات عدة ، وفي المرة السابعة أرسلت ابنة ارتاتاما لتكون

---

(1) سامي سعيد الأحمد وجمال رشيد أحمد، المصدر السابق، ص 153.

(2) جباغ سيف الدين قابلو، "العلاقات الأسرية بين البلاطين الحوري–الميتاني والمصري"، مجلة دراسات تاريخية، ع 79–80 (دمشق، 2002)، ص 9؛ Goetze, "Mitannians and Hittites", P. 5.

(3) سامي سعيد الأحمد وجمال رشيد أحمد، المصدر السابق، ص 153.

(4) جورج رو، المصدر السابق، ص 345؛ سامي سعيد وجمال رشيد، المصدر السابق، ص 154.

(5) جباغ سيف الدين قابلو، المصدر السابق، ص 9؛ عبد العزيز صالح، المصدر السابق، ص 63.

زوجة لتحوتمس الرابع[1]. والواقع أن طريقة الطلب هذه تشير إلى المكانة السياسية لدولة ميتاني، ووجود حالة من توازن القوى بين الدولتين.

وعند وصول الأميرة الميتانية إلى بلاد الفرعون أعطيت اسماً جديداً هو موت–ام–ويا (Mut-em-uya)[2] ليكون أول فرعون يتزوج من أميرة ميتانية[3]. وقد ورد خبر هذا الزواج في أحدى رسائل تل العمارنة المتبادلة بين الملك الميتاني توشراتا (حفيد ارتاتاما وخليفته فيما بعد) والفرعون امنحوتب الثالث.

لقد نظمت معاهدة السلام هذه الحدود المشتركة بينهما في وسط وشمال سوريا، فكانت حدود السيادة الميتانية تشمل الجزء الشمالي من سوريا حتى مدينة قطنه، في حين كانت حدود السيادة المصرية تشمل المناطق الساحلية بضمنها أوغاريت[4]، وجنوب سوريا[5].

بقيت هذه الحدود ثابتة، واستمرت العلاقات طيبة خلال العقود التالية بين مصر وميتاني[6]. والواقع أن عقد هذه المعاهدة قد أعطى الميتانيين فرصة كبيرة بعد الفراغ من صراعهم مع مصر ليصرفوا اهتمامهم نحو تقوية نفوذهم في مناطقهم شمال سوريا، ثم التوسع في مناطق أعالي الفرات ، وجنوب شرق الأناضول على حساب الدولة الحثية[7]، لاسيما أن الأخيرة بعد عهد تودخلياش الثاني قد انتابها الضعف

---

(1) جورج رو، المصدر السابق، ص 345.

(2) محمد بيومي مهران، المصدر السابق، ص 231.

(3) كان زواج الفراعنة من أميرات اسيويات أمراً معتاداً، حيث فعل ذلك تحوتمس الثالث وامنحوتب الثاني، لكن لم يكن مركزهن أكثر من زوجة ثانوية. أما مع ميتاني فكان الأمر مختلفاً، حيث أصبحت موت ام ويا زوجة رئيسة، ويرجح إنها أم امنحوتب الثالث خليفة والده تحوتمس الرابع على العرش. ينظر: محمد بيومي، المصدر السابق، ص 231.

(4) استفادت أوغاريت من هذا التحالف أكثر من مدن الساحل الأخرى، فتجارتها سابقاً كانت محصورة إما بمصر أو ميتاني، أما الآن بعد إحلال السلام بين مصر وميتاني فقد أصبح ميناءها مفتوح لكل من يريد أن يتاجر معها. ينظر: صفية سعادة، أوغاريت، ص 21.

(5) Wilhelm, Grundzege der, P. 48;

مجموعة من الباحثين الاوربيين والعرب،الالاخ ، كتاب الآثار السورية، ص 126.

(6) C.Kuhne, ''Imperial Mittani: an Attempt at Historical Reconstruction'', in S.C.C.N.H, Vol . 10 (USA, 1999), PP. 207-209;

جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 217.

(7) Goetze, ''Mitannians and Hittites'', P. 3.

والانحسار، بسبب ضعف الملوك الذي خلفوه، وانشغالهم بمشاكل دولتهم الداخلية[1]، حتى أنه في عهد الملك الأخير منهم، ويدعى تودخلياش الثالث، قد هوجمت الأراضي الأناضولية من كل الجهات، إلى درجة حتى أن العاصمة حاتوشا لم تسلم من النهب[2]. وهو ما أدى إلى أن يفقد الحثيون سيطرتهم على مناطق أعالي الفرات وشرقي بلاد الأناضول[3].

وفي ضوء هذا الانهيار الحثي، والمصالحة مع مصر تكون ميتاني قد تخلصت من عدويها الرئيسين، لتشهد بعد ذلك حالة من الاستقرار ومتابعة مصالحها في المنطقة دون أي ضغوطات خارجية.

في هذه الأثناء توفي الملك الميتاني ارتاتاما ليتسلم سدة الحكم من بعده ابنه شوتارنا الثاني (Šuttarna II) حوالي سنة 1380 ق.م[4]، وكان هذا معاصراً للفرعون امنحوتب الثالث (1387–1350 ق.م) ابن تحوتمس الرابع[5]، وبالتالي يكون ارتاتاما قد عاصر جزءاً من حياة امنحوتب الثاني، ثم تحوتمس الرابع، وجزءاً من حياة امنحوتب الثالث.

استمرت العلاقات حسنة في عهد شوتارنا الثاني بين مصر وميتاني، وتتضح العلاقات بصورة ممتازة بينهم من خلال إرسال شوتارنا إحدى بناته المدعوة جيلو–خيبا (Gilu-hepa) إلى جناح نساء الفرعون امنحوتب الثالث لتكون زوجة له، بعد أن طلبها منه[6]. وقد سجلت أخبار هذا الزواج على مجموعة من تماثيل الجعلان[7] التي جاء في أحدها أن هذا الزواج قد تم في السنة العاشرة من حكم امنحوتب الثالث[8]. كما تبين من تلك النقوش أن الأميرة الميتانية قد أحضرت معها حاشية من السيدات

---

(1) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص ص 232–234.

(2) عبد الحميد زايد، الشرق الخالد، ص 475.

(3) Goetze, “Mitannians and Hittites”, P. 3; Kuhne, Op. cit., PP. 207-209;
سليم حسن، مصر القديمة، ج 5، ص 33.

(4) Wilhelm, Grundzuge der, P. 49.

(5) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 113.

(6) جباغ سيف الدين قابلو، المصدر السابق، ص 9.

(7) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 113.

(8) ابراهيم أحمد رزقانه وآخرون، المصدر السابق، ص 201؛ جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص 238.

والخادمات بلغ عددهن 317 امرأة[1]. وكثيراً ما تردد اسم هذه الأميرة وأخبار هذا الزواج في الرسائل التي بعثها الملك الميتاني المقبل توشراتا شقيق جليو-خيبا إلى امنحوتب الثالث[2].

وتتضح أواصر الصداقة بشكل أكثر عندما قام شوتارنا بإرسال تمثال الإلهة عشتار (شاوشكا عند الحوريين) إلى امنحوتب الثالث لتشفيه من مرض كان يعاني منه[3]، حيث كان يعتقد بقدرة عشتار على الشفاء من الأمراض[4]، وبالمقابل فإن الفرعون المصري لم يبدِ استياءه من هذا الأمر على اعتبار أن الإلهة عشتار هي غريبة عن معبودات مصر، بل على العكس رحب بها وتبارك بقدرتها على الشفاء[5].

وبعد حادثة إرسال تمثال الإلهة عشتار تنقطع الأخبار عن شوتارنا الثاني ولم نعرف عنه شيئاً لا في النصوص المصرية ولا في رسائل توشراتا، لكن من المؤكد أن علاقاته استمرت جيدة مع مصر، كما أن دولته ظلت قوية، وهذا واضح من الأحداث اللاحقة. أما امنحوتب الثالث فلم يكن رجل حرب وإنما انشغل بتلك الثروات الطائلة التي تأتيه باستمرار من مختلف أجزاء الإمبراطورية الشاسعة، التي صنعها أسلافه، إذ انشغل بامور الفن والإعمار خلال سني حكمه[6]. وعندما غابت عن بلاد الشام الجيوش المصرية مدة طويلة بدأت تتهيأ للاستقلال، وهذا ما حدث في أواخر عهد امنحوتب الثالث، لكن ميتاني استمرت على علاقاتها الجيدة مع مصر رغم هذه التطورات.

المبحث الثاني

الملك الميتاني توشراتا والتطورات السياسية .

(1) عبد العزيز صالح، المصدر السابق، ص 63؛ ابراهيم أحمد رزقانه وآخرون، المصدر السابق، ص 201.

(2) جباغ سيف الدين قابلو، المصدر السابق، ص 9.

(3) Gwendolyn Leik, Who's Who in the Ancient Near East (London, 1999), P. 13;
عبد العزيز صالح، المصدر السابق، ص 63.

(4) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 113.

(5) عبد العزيز صالح، المصدر السابق، ص 63.

(6) ول ديورانت، المصدر السابق، ص ص 80 -81؛ ادولف أرمان وهرمان رانكه، المصدر السابق، ص 34.

أولاً: التطورات السياسية الداخلية لدولة ميتاني
بعد وفاة شوتارنا الثاني.

اهتزت دولة ميتاني بعد وفاة شوتارنا الثاني بسبب النزاعات الداخلية على السلطة، إذ تسلم العرش من بعده ابنه ارتاشومارا (Artašumara)[1]، ثم اغتيل بعد مدة قصيرة جداً من توليه الحكم على يد أحد ضباطه الكبار المدعو توخي (Tuhi)[2]. ولعل قتله بهذه السرعة كان سببا على عدم وضوح دوره في التاريخ الميتاني ، ومع ذلك فقد ثبت حكم هذا الملك من خلال وثيقة قانونية تم اكتشافها في تل براك، من ضمن ما جاء فيها "**بحضور الملك ارتاشومارا ابن شوتارنا الملك**"[3].

لقد نصب القاتل على عرش ميتاني الابن الثاني لشوتارنا الأصغر سناً من ارتاشومارا ويدعى توشراتا (Tušrata) (1365–1335ق.م)[4]، ذلك الملك الذي نال شهرة في التاريخ الميتاني. ويرجح أن توخي ومؤيدوه كانوا من المناوئين للتقارب الميتاني المصري، لهذا خططوا للخلاص من ارتاشومارا الذي رأوا فيه أنه سيتبع سياسة والده مع مصر ، والمجيء بملك جديد من العائلة الحاكمة هم يضعوه ليكون دمية في أيديهم[5]. غير أن الملك توشراتا كان عكس ما يخططون، إذ كان يضمر في داخله رضاه عن سياسة والده تجاه مصر . هذا ما ثبت فعلاً، فبعد مرور سنة أو سنتين من توليه الحكم قام بقتل قتلة أخيه وعلى رأسهم توخي، وبذلك أزال وصمة العار التي لصقت بحكمه غير الشرعي، وبالوقت نفسه استأنفت العلاقات مع مصر التي كانت قد توقفت خلال هذه الأحداث، ولم تعد إلا بعد أنت تمكن توشراتا من تصفية توخي ليؤكد شرعية حكمه[6].

---

(1) Goetze, “Mitannians and Hittites”, P. 3.

(2) ممد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 167.

(3) Amir Harrak, Assyria and Hanigalbat (Zurich, 1987), P. 20.

(4) Miroop. Op. cit., P. 143; محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 167.

(5) Wilhelm, Grundzuge der, P. 49; هاري ساكز ، عظمة بابل، ص 96.

(6) Ibid.,p.49.

قدم لنا توشراتا شرحاً عن تفاصيل هذه الأحداث من خلال أول رسالة[1] وجهها إلى الفرعون امنحوتب الثالث، معاصره في الحكم، جاء فيها:

"**إلـى نيموريـا [المقصود امنحوتب الثالث] ملـك مصر أخـي. هكذا يقول توشراتا ملك ميتاني أخوك. أنـا بخير أرجو أن تكون كذلك مع أختي جيلو-خيبا. أرجو أيضاً أنك بخير مـع عائلتك وزوجاتـك وأبنائك ورجالك الأساسيين، وجنودك وخيولك وعرباتهم وفي أواسط أرضك، أدعو أن تكون كلها بخير. عندما اعتليت عرش أبـي كنت لا أزال صغيراً، قام توخي بأعمال شريرة تجاه بـلادي فقتل سيده، وعلـى ذلـك لـم يعمل عمـلاً صـالحاً لـي ولا مـع سيده الـذي كانـت علاقاته ودية معي، أمـا أنـا فلم أتـأخر يا أخـي بأن أقتـل كل قتلـة ارتاشومارا، وكل العائدين لهؤلاء القتلة**"[2].

كما هو واضح من النص نجد أنه على الرغم من تسلم توشراتا للعرش ، إلا أنـه لـم يكن راضياً عن عمل توخي، لذلك لم يتوانى عن تصفيته بعد مدة من توليـه العرش ، ومن جانب آخر نرى في هذا النص حرص الجانب الميتاني على استمرار العلاقات الودية مع مصر، ولعل استخدام مصطلح أخي ما يعبر عن ذلك.

والحقيقة أنـه مـع كل الذي فعلـه توشراتا، إلا أنـه مازال هنـاك أفراد من العائلـة الحاكمة لم يعترفوا بحق توشراتا في استلام الحكم، ولهذا سوف نرى فـي العقد التـالي ملـك يـدعى ارتاتامـا الثـاني يصـف نفسـه بأنـه "**ملـك حـوري**"، ويؤكـد انتمـاءه للسـلالة الحاكمة، وأحقيته في تولي العرش، ثم يقود تمرداً فـي البلاد لإزاحـة توشراتا[3]. والمهم الآن أن توشراتا تـولى حكم البلاد، وتعد مدة حكمـه خاتمـة عظمـة الدولـة الميتانيـة ثم زوالها في الوقت نفسه.

إن المادة التاريخية المتوفرة عن حكم توشراتا تفوق مجموع ما هو متوفر عن أي ملك ميتانـي آخر، ويعود الفضل في ذلك إلـى الأرشيف الملكي الذي كشف عنـه

---

(1) وجه توشراتا سبع رسائل لامنحوتب الثالث، ورسالة واحدة لأرملـة هذا الفرعون، وثلاثة رسائل إلـى أخناتون خليفة امنحوتب الثالث، كلها كتبت باللغة الأكدية ما عدا واحدة كتبت باللغة الحورية. ينظر: فون زودن، المصدر السابق، ص 63؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج 5، ص 631.

(2) S. A. Mercer, op.cit., P. 63.

(3) جورج رو، المصدر السابق، ص 349.

في تل العمارنة ، ومنه الرسائل المتبادلة بين توشراتا والفرعون امنحوتب الثالث ثم خليفته امنحوتب الرابع "أخناتون"، كذلك التقرير الذي يفصل أعمال الملك الحثي الشهير شوبيلوليوما الأول.

ثانياً: العلاقات الميتانية مع مصر والحثيين في عهد توشراتا

كان الملك الميتاني توشراتا مع بداية حكمه يسيطر على المناطق نفسها التي كانت خاضعة لدولة ميتاني في عهد أسلافه ، وتشمل القسم العلوي من بلاد الرافدين وشماليه، والقسم العلوي من سوريا، وشماليها جنوباً حتى قطنه[1]، باستثناء المناطق الساحلية، وبعض مدن شمال غرب سوريا التي كانت تحت سيطرة مصر حسب الاتفاقية التي عقدت سابقاً بين ارتاتاما وتحوتمس الرابع.

لقد استمرت العلاقات الودية بين مصر وميتاني خلال عهد توشراتا، ونرى أنه على الرغم من الميول التوسعية للدولة الميتانية في سوريا ، والتي كان من الممكن أن يستغلها توشراتا في ظل غياب الجيش المصري خلال عهد امنحوتب الثالث، إلا أن توشراتا لم يقم بهذا العمل، ولا يمكن تفسير ذلك إلا بأن هناك تفاهماً رسمياً قد حدث بين الجانبين، ولعل الرسائل العديدة المتبادلة بين الطرفين والتي تحمل عبارات الود والهدايا هي دليل على ذلك. ولكن بالمقابل فإن هذا التفاهم قد آثر سلباً على وضعية حكام الدويلات السورية الذين كانوا يتطلعون دائماً للتحرر من التبعية المصرية، فهم بهذا التفاهم فقدوا الدعم الميتاني، بل أن ميتاني بتحالفها مع مصر أصبحت مراقبة لمصالح مصر في سوريا[2].

وقبل أن تبدأ المراسلات الرسمية بين توشراتا وامنحوتب الثالث ، وإلى الجهات الشمالية من دولة ميتاني حدث تطور سياسي كبير، حيث تولى عرش المملكة الحثية واحد من أعظم الشخصيات التي نالت شهرة في التاريخ الحثي، وكان استلامه الحكم إيذاناً بإنهاء مرحلة الضعف التي مرت بها البلاد خلال حكم ارنووانـدا الأول وحاتوشيلي الثاني وتودخلياش الثالث، ذلك هو الملك شوبيلوليوما الأول (1355-1320 ق.م) خليفة تودخلياش الثالث[3]. ففي عهده بدأت مرحلة جديدة من الصراع

---

(1) Goetze, "Mitannians and Hittites", P. 4.

(2) صفية سعادة، أوغاريت، ص 20.

(3) A. Goetze, "The Predecessors of Suppiluliumas of Hatti and the Chronology of the Ancient Near East", in JCS, Vol. 22 (1968), P. 46; Kuhne, Op. cit., PP. 207-209.

والتنافس بين الدولة الميتانية ، والحثيين ومصر، حول السيادة في مناطق بلاد الشام. كما يعد هذا الملك هو المسؤول عن انهيار دولة ميتاني، فبعد أن نظم أمور بلاده الداخلية ، التفت إلى السياسية الخارجية القائمة على إعادة أمجاد الدولة الحثية، وكان أولها تسوية الحساب مع ميتاني التي عدها المسؤولة عن حالة الانكماش التي تعرضت لها بلاده خلال الجيل السابق(1)، كما أبرم معاهدات مع حكام المدن الواقعة جنوب الأناضول باتجاه شمال سوريا للاستفادة منهم لدعمه ضد ميتاني(2). ولا بد أنه تفاهم مع كيزواتنا قبل أن يتوجه إلى ميتاني، فالمعروف أن هذه المملكة تقع بين المملكتين ، وكانت دائماً تتأرجح في ولائها ما بين ميتاني والحثيين(3)، ثم بعد ذلك سار على رأس حملة متوجهاً إلى أرض ميتاني، غير أن توشراتا تمكن من تحطيم قوات شوبيلوليوما قبل أن تصل إلى بلاده، حيث التقى الطرفان في منطقة اشووا الحدودية في أعالي الفرات(4)، وأجبره على الانسحاب إلى بلاده(5)، ويؤرخ هذا الهجوم مباشرة بعد مدة قصيرة من تستلم شوبيلوليوما الحكم، ربما سنة أو سنتين(6).

إن هذا الانتصار الميتاني يؤكد أن دولتهم مازالت قوية ومترابطة، وأعطت رسالة للملك الحثي بأن عليه أن يستعد الاستعداد الكافي لمواجهة خصمه الملك الميتاني. وفضلا عن النصوص الحثية ، فقد حدثنا توشراتا عن هذه المعركة في رسالته الأولى التي بعثها إلى امنحوتب الثالث، فبعد أن شرح كيفية صعوده العرش يقول "**عندما جاء العدو إلى بلادي، الإله تيشوب سيدي أعطاهم إلي في يدي فدمرتهم، ولم يكن أحد بينهم قد رجع إلى بلده، وقد أرسلت عربة واحدة وحصانين وصبي واحد وفتاه واحدة من غنائم ارض حاتي**"(7).

---

(1) أ. ر. جرني، الحثيون، ص 49.

(2) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص123؛ Goetze, “The Predecessors”, PP. 46-50.

(3) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 242.

(4) MacQueen, The Hittites, P. 46.

(5) جرني، المصدر السابق، ص 49.

(6) Harrak, Op. cit., P. 16; Goetze, “Mitannians and Hittites”, P. 5.

(7) Mercer, Op. cit., P. 65.

يظهر من هذا النص أن توشراتا أرسل مع رسله إلى الفرعون المصري جزءاً من الأسلاب التي غنمها تصديقاً لانتصاره على الحثيين[1]، لكن المبالغة في الانتصار واضحة في هذا النص.

بعد هذا الانتصار ازدادت العلاقات الودية بين ميتاني ومصر ترابطاً، إذ تزوج امنحوتب الثالث من تادوخيبا (Tadu-hepa) إحدى بنات توشراتا[2]، ضمن مشروع الزواج الدبلوماسي الذي اعتاد عليه الطرفان منذ عهد تحوتمس الرابع (1397-1387ق.م)، وكالمعتاد وقبل أن يتزوج امنحوتب الثالث من الأميرة الميتانية بدأت الوفود ذهاباً وإياباً بين الطرفين من أجل هذا المشروع، حيث طلب امنحوتب الثالث يد الأميرة الميتانية، وبالمقابل فإن توشراتا اشترط بأن تكون ابنته سيدة مصر، كما طلب كميات كبيرة من الذهب كمهر مقابل ابنته. وقد قدم لنا أرشيف العمارنة تفصيلاً عن هذا الموضوع من خلال إحدى الرسائل التي بعثها توشراتا إلى امنحوتب الثالث جاء فيها "**من توشراتا إلى أخي وصهري الذي يحبني وأحبه امنحوتب الثالث الملك العظيم وفرعون مصر، هكذا يقول توشراتا ملك بلاد ميتاني، ونسيبك الذي يحبك، يا أخي أنا بخير وأرجو أن تكون بخير أيضاً مع اختي وعائلتك وزوجاتك وأبنائك والكبار من رجالك وعرباتك وخيولك وجيوشك وأرضك وكل ممتلكاتك، أرجو أن تكون بخير فعلاً**". وبعد هذه التحية يوضح توشراتا في الرسالة نفسها كيف أرسل ابنته تادو- خيبا كزوجة للفرعون[3]:

> **"لما حضر إلي رسول أخي المدعو مينا [الرسول] قائلاً أخوك يقول 'ابعث لي ابنتك كزوجة ولتكون سيدة مصر' لم أتجاسر على تكدير قلب أخي بل استمريت على أداء ما هو واجب نحو صداقتنا فعلاً، وتنفيذاً لرغبتك يا أخي أرسلتها مع مينا[4]، الذي سر برؤيتها، فإذا وصلت أرضك يا أخي أدعو الآلهة عشتار والإله آمون أن يجعلانها محبوبة**

---

(1) جرني، المصدر السابق، ص 49.

(2) Hoffner, Op. cit., P. 173.

(3)يرجح أن هذه الرسالة رافقت الأميرة تادوخيبا، وهي الرسالة الوحيدة من بين الرسائل التي بعثها توشراتا إلى البلاط المصري قد كتبت باللغة الحورية، وعرفت عند المختصين برسالة ميتاني، والتي تعد أهم وثيقة لغوية في مجال دراسة اللغة الحورية وقواعدها.ينظر: .Wilhelm, Grundzuge der, P. 54.

(4) يرجح أن تادوخيبا هي نفسها الملكة المشهورة نفرتيتي الجميلة زوجة اخناتون.ينظر :محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 168؛ جورج رو، المصدر السابق، ص 348

ومقبولـة لـديك. لقد حضـر لـي رسولي كيليا خطابك يا أخـي، ولمـا قرأتـه فرحت كثيراً حتى إنني قلت وقتئذ إذا فرضنا أن صداقتنا ذهبت فإن هذه الرسالة ستجعلني أثابر على الود لك، وكتبت لـك يا أخـي قائلاً: أمـا من جهتـي فإننـا سنكون أعز أصدقاء وأوفـى أخـلاء. ثـم سألتك يا أخـي أن تقوي صداقتنا أكثر عشر مرات مما كانـت عليـه أيام آبائنـا. ولقد طلبت منك يا أخي مقداراً كبيراً من الـذهب قـائلاً: أرسـل لـي يـا أخـي أكثـر ممـا كان يرسل لوالدي من قبل لقد كنت ترسل لوالدي كميات كبيرة من الذهب ... أما الذي أرسلته لي فعبارة عن قرص من الـذهب يظهـر أنـه مخلـوط بالنحـاس... لذلك أرسل لـي أخـي كميات كبيـرة مـن الـذهب بـلا حسـاب، ولكن مقداره أكثر من الذي كنت ترسله لوالدي، لأن الذهب في أرضك يا أخي كثير كالتراب"[1].

ويطلـب توشـراتا فـي الرسـالة نفسـها مـن امنحوتـب الثالـث أن يسـاعد أحـدهما الآخر في حالة تعرض بلادهما إلى العدوان "**أتمنى أن لا يوجد عدو لأخـي، ولكـن إذا ما حصل أن تغلغل عدو لأخي في بلاده فليرسل لي خبراً، وستكون البـلاد الحوريـة[2] بأسلحتها وجيوشها تحت تصرف أخي لمواجهة العدو، وإذا ما وجد عدو لـي وأتمنـى أن لا يوجد فسأرسـل إلـى أخـي خبراً، وسـوف يضـع أخـي البـلاد المصـرية وجيوشـها وأسلحتها إلى جانبي**"[3].

إن هذه الرسـالة تبين لنـا مـن جانـب العلاقـات القويـة بـين الطـرفين أيـام الأسـرة الثامنة عشر، ومن جانب آخر فإن مملكة توشراتا مازالت كما فـي عهد أسـلافه، وهذا واضـح مـن حالـة الارتيـاح الشـديد الـذي عبـر عنـه توشـراتا. ويبـدو أن هـذه العلاقـات

---

(1) جيمس هنري برستد، المصدر السابق، ص ص 220–221.

(2) نلاحظ هنا أن توشراتا في بداية الرسالة يعرف نفسه بأنـه ملك ميتاني، ثم بعد ذلك يذكر بأن بلاده (بـلاد الحـوريين) ستكون إلـى جانـب مصـر، وفـي رسـائل أخـرى يسـتخدم مصـطلح خانيجلبـات كونهـا بـلاده التـي يحكمها وهي صـديقة لمصـر. وهذا دليل قاطع بأن كل هذه الأسماء تستخدم بشكل مترادف للإشارة إلـى الدولـة الميتانية، وطبعاً كل اسم من هذه الأسماء لـه مدلول خاص كما وضحنا سابقاً، ولا بأس أن نعيدها هنـا، فتعبيـر حـوريين يقصـد بـه بـلاد حـوري كشـعب وأرض، وميتـاني كسـلطة سياسـية، أمـا خانيجلبـات فهـو مصـطلح جغرافـي يقصـد بـه الأراضـي الواقعـة بـين منعطـف الفـرات وأعلـي دجلـة والتـي تمثـل مركـز الدولـة الميتانية.

(3) Wilhelm, Grundzuge der, P. 56.

الجيدة قد عجلت من مشروع شوبيلوليوما الكبير الرامي إلى القضاء على قوة الدولة الميتانية، ثم دخول سوريا، ومن ثم إعادة هيبة الدولة الحثية مثلما كانت سابقاً، والواقع أن الخسارة التي مني بها شوبيلوليوما في حملته الأولى على ميتاني أعطته تحذير بأنه ليس من السهل اختراق هذه الدولة، فالأمر يتطلب إعداداً عسكرياً وجهداً سياسياً على مستوى كبير .

ففي إطار مساعيه السياسية كانت أولى جهوده السياسية هو كسب مملكة كيزواتنا إلى جانبه، إذ أن الوصول إلى ميتاني يتطلب التحالف مع هذه المملكة لتأمين خطوطه الخلفية، لاسيما أن كيزواتنا عرفت بتحالفها مع الميتانيين في أكثر الأحيان، وقد نجح في ضم هذه المملكة إلى جانبه بعد مفاوضات أجراها مع ملكها شوناشورا[1]، الذي فك ارتباطه بالميتانيين ، ثم تحالف مجدداً مع الحثيين[2]. وكما هو واضح من النص الحثي الآتي:

"**كان الحوريون يسمون شوناشورا خادماً، لكن الآن جعله صاحب الجلالة ملكاً شرعياً، وعندما يمثل شوناشورا أمام صاحب الجلالة يقف له كل العظماء، ولا يبقى أحداً منهم جالساً**". وفي النص نفسه يظهر كيف أن كيزواتنا غيرت سياستها تماماً تجاه الميتانيين "**عندما يسمع ملك الحوريين أن شوناشورا قد انفصل عنه واتجه إلى صاحب الجلالة ... وعندما يحاول بعدها ملك الحوريين استرضاء شوناشورا وإرسال هدية ودية ... فعندها علي أنا صاحب الجلالة أن أرفض باسم شوناشورا هدية ملك الحوريين**"[3].

كما هو واضح من النص فإن شوناشورا كان تابعاً للملك الميتاني، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه على الرغم من أن هذه المعاهدة عبارة عن اتفاقية تحالف بين الطرفين، لكن يظهر أن للملك الحثي الكلمة الفصل في القرارات المهمة، لاسيما تلك التي تتعلق بالمصلحة الحثية.

---

(1) لا يعرف هل أن شوناشورا هذا هو نفسه شوناشورا الذي كان تابعاً للملك الميتاني ساوشتاتار أم إنهما شخصان مختلفان يحملان الاسم نفسه، وإذا كان نفسه شوناشورا القديم فيعني أنه حكم مدة طويلة.

(2) K. R. Maxwell, "Assyrian Sources of Iron", In Iraq, vol. 36, Part. 1-2 (1974), P. 143; Beal, Op. cit., PP. 428-430.

ورد هذا الاتفاق في معاهدة تمت بين الطرفين جاء بنسختين أكدية وحثية. ينظر: عبد الله الحلو، المصدر السابق، ص 539.

(3) عبد الله الحلو، المصدر السابق، ص 539.

وفـي إطـار مسـاعيه السياسـية، راسـل شـوبيلوليوما الفرعـون امنحوتـب الثالـث ليؤكد علاقات الود بين الطرفين[1]. ومع ذلك يبقى أهم تحرك سياسي لـه والذي ساعده كثيراً فـي كسب المعركـة ضـد الميتـانيين هـو استغلاله ذلـك الخـلاف الـذي ظهـر فـي البيت المالك الميتاني، فكما مر بنا أن الطريقة التي تولى بها توشراتا الحكم لم تكن ترضـي جميع الأطراف، لهذا أعلن أحد أفراد البيت المالك بعد بضـع سنين من تولي توشراتا الحكم، وقبيل حملة شوبليوليوما قيادته لتمرد في محاولة لتنصيب نفسه حاكماً بدلاً عن توشراتا، ويدعى هذا الشخص ارتاتاما الثاني (Artatama)، الذي لقب نفسه بـ(الملك الحوري) وأكد انتمائه للسلالة الحاكمة وحقه في تولي العرش بدلاً من توشراتا، وعلى الأرجح هو أخ لتوشراتا[2].

لقد سبب هذا الأمـر إرباكـاً لـبعض البـاحثين فـي التمييـز بـين عنـوان ارتاتامـا الثاني (ملك حوري) وتوشراتا (ملك ميتاني) وفـي أي جزء حكم كل منهمـا[3]، ويعلـق الأستاذ جيلب على ذلك بالقول أن التمييز بين عنوان ارتاتاما وتوشراتا في المعاهدة التـي عقدت بـين شوبليوليوما والملك الميتـاني شـاتيوازا[4]، خليفة توشراتا، لا يعنـي أن لقب حـوري الـذي اتخـذه ارتاتامـا يـدل علـى أن حـوري كانـت فـي هـذا الوقـت منطقـة جغرافيـة مستقلة عـن ميتـاني، فـلا يوجد أي دليـل علـى هـذا الاستقلال، لـذا فـإن كـلا المصطلحين مترادفان والفرق بينهما يجب أن يفسر من وجه النظر الحثية لا الميتانية، فالحثيين في هذه المعاهدة اعتبروا أن توشراتا قام بسلب مملكة ميتـاني (المنطقة الواقع بين منعطف الفرات وأعالي دجلة) أما ارتاتاما فهو الحـاكم الشرعي لكل البلاد الحوريـة بمـا فـي ذلك أرض ميتـاني[5]، ونـرى أن هـذا الـرأي هـو الصـحيح، إذ لا يوجد أي دليل علـى أن ارتاتامـا قد حكم أرض مستقلة، ولكـن الحقيقـة أن التمرد الـذي قـاده يبـدو أنـه

---

(1) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 253.

(2) Mirrop, Op. cit., P. 143;

هاري ساكز، عظمة بابل، ص 96؛ جورج رو، المصدر السابق، ص 349.

(3) يرى البعض من الباحثين أن دولة ميتاني انشطرت إلى قسمين، قسم تحت حكم ارتاتاما الثاني ويقع جنوبي بحيرة (وان) الموطن الأصلي للحوريين، والقسم الآخر كان تحت حكم توشراتا، ويشمل شمالي بـلاد الرافدين وشمالي سوريا. ينظر: هاري ساكز، عظمة بابل، ص 96؛ Miroop, Op. cit., P. 143.

(4) وردت أخبار هذا التمرد ضمن المعاهدة التي عقدت بين شوبيلوليوما الملك الحثي وشاتيوازا الملك الميتاني خليفة توشراتا ونجله. ينظر: Gelb, Op. cit., P. 78.

(5) Gelb, Op. cit., P. 78.

حظي بشعبية ليست قليلة ، إلى درجة أن كان له تأثير كبير في زعزعة تماسك الدولة الميتانية، وتصديها للدولة الحثية، ومن خلال تحالف ارتاتاما مع الآشوريين فيما بعد ، نرجح أن اتصالاته مع الآشوريين بدأت من هذا الوقت.

لقد تمكن شوبيلوليوما من الاتصال بارتاتاما، ثم عقد معه اتفاقية لم تصلنا تفاصيلها، لكن من دون شك وجهت ضد توشراتا، وبموجبها لا بد من أن ارتاتاما قد تعهد بالوقوف على الحياد عند الصدام العسكري الذي سيحصل بين شوبيلوليوما وتوشراتا، وبالمقابل يتسلم ارتاتاما السلطة في ميتاني إذا ما حققت الحملة أهدافها[1]. ومن أجل أن يغري شوبيلوليوما ارتاتاما بالملك ،ويضمن حياده فقد لقبه بالملك العظيم، أي عده نداً له[2].

وضمن جهوده السياسية المتواصلة، فقد عقد تحالفاً مع نيقمادو (Niqmaddu) ملك أوغاريت الموالية لمصر، وبذلك ضمن إحدى الجوانب الغربية المقابلة لميتاني[3]، كما اتخذ خطوة أخرى تمثلت بزواجه من ابنة الملك الكاشي بورنابورياش الثاني ، هدفه إقامة حلف مع العائلة الكاشية يضمن له الحصول على الدعم البابلي ضد توشراتا[4].

وبعد هذه الجهود تحرك شوبيلوليوما تحو ميتاني، وهذه المرة لم يسلك الطريق الذي سلكه في حملته الأولى عندما توجه إلى الأقسام العليا من سوريا حيث الخطوط الدفاعية الميتانية، وإنما كانت خطته الجديدة عبور الفرات عند ملطية[5] ثم مهاجمة ميتاني من الخلف، وعلى هذا الطريق كانت تسكن قبائل بدائية في الجبال تمكن من إخضاعها أولاً[6]. بعد ذلك عبر الفرات عند مجراه العلوي فاحتل اشووا، ثم اتجه جنوباً نحو مركز مملكة ميتاني فدخل شوبيلوليوما مع جيشه الأراضي الميتانية الواقعة شرقي

---

(1) Goetze, "Mitannians and Hittites", P. 7;

سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 253.

(2) Goetze, "Mitannians and Hittites", P. 7.

(3) عبد الحميد زايد، الشرق الخالد، ص 485.

(4) المصدر نفسه، ص 484؛ صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 247.

(5) تقع ملطية في الجهات الجنوبية الشرقية من تركيا ضمن منطقة ديار بكر. ينظر: سيف الدين الكاتب، المصدر السابق، ص 45.

(6) جرني، الحثيون، ص 49.

الفرات ، وتابع سيره من دون مقاومة تعترضه ، حتى تمكن أخيراً من دخول العاصمة واشوكاني التي لم تقاوم هي الأخرى، وأعمل فيها السلب والتدمير، ثم انسحب منها[1].

يبدو غريباً أن تستسلم ميتاني بهذه السهولة، ولا يمكن أن نتوقع غير أن توشراتا قد أدرك بأن سيخسر جيشه إذا ما واجه الحثيين في معركة حاسمة[2]، لذلك فضل الانسحاب على المواجهة ريثما تتهيأ له الفرصة المناسبة للانتقام من الحثيين، أما مصير سكان واشوكاني فكان الهرب قبل وصول قوات شوبيلوليوما التي ما أن دخلت هذه المدينة حتى وجدتها شبه مهجورة، أما ما تبقى من سكانها فكان مصيره الموت[3].بعد ذلك اتجه الملك الحثي غرباً ،إذ عبر الفرات مرة أخرى ليستولي على كل المناطق الخاضعة للسيطرة الميتانية التي تمتد حتى البحر المتوسط نزولاً إلى وسط سوريا[4]، ومنها حلب، ونوخاشة، وابا أو ابينا (خوبه قرب دمشق)، وتونيب، ونيا (تقع على نهر العاصي) ، وموكيش (عاصمتها الالاخ)، واراختي التي يعتقد أنها تقع بين قطنة ونيا[5]. وطالما يذكر شوبيلوليوما بأنه شن حرباً ضد توشراتا في هذه البلاد ، فهذا يؤكد على أن كل هذه البلاد كانت جزءاً من إمبراطورية توشراتا[6]. أما الحوريين الذين يسكنون في بعض من هذه المناطق أصبحوا الآن تحت رحمة شوبيلوليوما.

وأمام هذه التطورات المتسارعة أصبح موقف الملك الميتاني حرجاً للغاية، لذلك حاول تدارك الموقف بأن قام بهجمة مضادة ليس على الحثيين، وإنما زحف نحو منطقتي صومورا Sumura[7]، وجبيل[1]، لكنه أجبر على التراجع ، بسبب العطش

---

(1) جورج رو، المصدر السابق، ص 347؛ دياكوف وكوفاليف، المصدر السابق، ص 159؛ صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 249.

(2) جرني، الحثيون، ص 50.

(3) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 249.

(4) H. C. Guterbook, "The Deeds of Shuppiluliuma as Told by his Son Mursilis II", In JCS, Vol.5,part.3(1956).P.111; H. J.Muller,Op.cit., P.88;

جورج رو، المصدر السابق،ص 347.

(5) Gelb, Op. cit., P. 78; Maxweel, Op. cit., P. 144; Nougaval, Op. cit., P. 111.

(6) Gelb, Op. cit., P. 78.

(7) صومورا: أو (سيميرا) إحدى المدن الكنعانية الساحلية، وترقد حالياً في ثنايا (تل الكزل) الذي يقع على بعد 28 كم إلى الجنوب من ميناء طرطوس السوري. ينظر: جوزيت الأبي، "تل الكزل"، ترجمة عدنان البني، مجلة الحوليات الآثارية السورية، م 36 (1986–1987)، ص 101.

الذي أصاب جنده. وهذا واضح من خلال رسالة وجهها ريب–ادي (Rib-Addi)، حاكم جبيل، إلى الفرعون امنحوتب الثالث ، شرح فيها بأن الملك الميتاني زحف إلى صومورا ، لكنه عاد إلى بلاده قبل أن يبلغ جبيل، وذلك لعدم وجود الماء الكافي الذي يحتاجه للشرب[2].

مهما يكن من أمر، لا يعرف القصد الحقيقي من تحركات توشراتا الأخيرة، لاسيما أن هذه المناطق تابعة لحليفته مصر، هل هو استعراض لقوته، أم إنها محاولة للاتصال بالحوريين الموجودين جنوب سوريا، أو الاتصال بقوات الفرعون. وفي كل الأحوال لم يستطع من فعل شيء، فكانت القوات الحثية أقوى من تحركاته.

لقد كان الانتصار العسكري الحثي ضربة شبه ماحقة للميتانيين الذين خسروا معظم ممتلكاتهم غرب الفرات باتجاه البحر المتوسط، إذ انفصلت هذه المناطق عن جسم الإمبراطورية الميتانية[3] خلال سنة واحدة. وفي ذلك يقول شوبيلوليوما "**بسبب عدائي إلى الملك توشراتا، أنا سلبته هذه الأراضي كلها في سنة واحدة ونقلتها إلى بلاد حاتي**"[4]. وادعى أن حدود مملكته وصلت إلى بلاد لبنان[5].

أما توشراتا فقد دخل مع قواته إلى مدينة كركميش الموالية للميتانيين وتحصن فيها، فهذه المدينة ذات الموقع الستراتيجي المهم، ومدينة استانا Astana التي تمتد على الفرات من كركميش حتى مصب الخابور، بقيت خارج نطاق السيطرة الحثية وتنتظر مساعدة قوات توشراتا[6]. وفي هذه الأثناء استدعى شوبليوليوما إلى عاصمته حاتوشا لمعالجة عدد من المشاكل التي تطلبت منه عشرون سنة قادمة[7]، تاركاً مهمة إخضاع مناطق سوريا بشكل نهائي للوباكو أحد قادته العسكريين، ولنجله تلبينو[8]. ولم

---

(1) جبيل: تقع على الساحل الفينيقي على بعد حوالي 40 كم شمال بيروت، عرفت عند المصريين القدماء باسم (كبن) وعند اليونان باسم (بيبلوس) وعند العرب باسم جبيل. ينظر: محمد بيومي، المصدر السابق، ص 216.

(2) Harrak, Op. cit., P. 17.

(3) جورج رو، المصدر السابق، ص 347.

(4) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 252.

(5) Gelb, Op. cit., P. 78.

(6) جرني، الحثيون، ص 50.

(7) حول هذه المشاكل ينظر: صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 263؛ D. F. Easton, "Hittite Land Donation and Tabarn Seals", in JCS, Vol. 33 (1981), P. 10 ff.

(8) Gutterbock, Op. cit., P. 121; Goetze, "The Predecessors", PP. 48-50.

تكن مهمتهما سهلة، حيث انقسمت الدويلات السورية شيعاً، بعضها ناصر الميتانيين، والآخر الحثيين، وفريق ثالث كان إلى جانب المصريين[1]. وبقي الحال هكذا حتى عودة شوبيلوليوما مرة أخرى إلى سوريا.

لا بد من القول أن عامل القوة لم يكن هو العامل الوحيد في جلب النجاح للحملة العسكرية الحثية، بحيث يؤدي إلى انهيار القوة الميتانية بهذه السهولة، بل لا بد من أن هناك ظرفاً مساعداً خدم الحثيين في هذا الوقت، ونرى أن ذلك الظرف يتمثل بالخلاف الذي حصل بين توشراتا وارتاتاما ومؤيدوه الذي لا بد وأن شق الصف، وأضعف قوة وحدة الدولة الميتانية. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن مصر التي كان من الممكن لتوشراتا الاستعانة بها، لم تبد اهتماماً هي الأخرى على قدر خطورة الموقف، فأرشيف تل العمارنة مليء بنداءات الاستغاثة من حكام الدويلات السورية الذين طلبوا من مصر المساعدة كونها صاحبة النفوذ عليهم[2]، إلا أن معظم تلك الرسائل قد أهملت، فالفرعون امنحوتب الثالث الذي انشغل بأعمال الترف والإعمار أصبح الآن كبير السن غير قادر على التدخل لصالح حلفائه[3]، ثم توفي أخيراً مع نهاية حملة شوبليوليوما، ليخلفه على العرش ابنه امنحوتب الرابع (اخناتون) (1350-1334ق.م)[4].

ويظهر أن امنحوتب قبل وفاته كان عليلاً، بدليل أن توشراتا أرسل إليه الإلهة عشتار، إلهة نينوى، لكي تشفيه من مرضه، وهو ما يدل على حرص توشراتا في استمرار العلاقات الودية والتحالف بين الطرفين، في وقت كان فيه توشراتا بأمس الحاجة للمعونات الخارجية. غير أن الإلهة عشتار لم تسعف حياة الفرعون، من قدره المحتوم. وقد ورد خبر إرسال عشتار في أحدى الرسائل التي بعثها توشراتا إلى امنحوتب الثالث وهي الأخيرة المرسلة لهذا الفرعون، جاء فيها بعد التحية والسلام والسؤال الذي اعتاد عليه توشراتا في كل رسائله "**هكذا تقول عشتار نينوى وسيدة كل**

---

(1) جرني، المصدر السابق، ص 51.

(2) للإطلاع على هذه الأحداث ينظر: عبد الغني غالي فارس السعدون، المصدر السابق، ص ص 94-125.

(3) جورج رو، المصدر السابق، ص 347.

(4) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص 113.

الأرض إلى مصر سأذهب، إلى الأرض التي أحبها سأعود، لقد أرسلتها حقاً ولقد ذهبت بالفعل"[1].

وبعد وفاته أرسل توشراتا خطاباً إلى أرملته الملكة (تي) مذكراً إياها بالعلاقات الطيبة بينه وبين زوجها المتوفى، وأمله استمرار العلاقات مع ابنها امنحوتب الرابع، وأن تكون عشرة أضعاف العلاقات السابقة[2]. غير أن هذا الفرعون خيب الآمال، إذ انشغل ببرنامج إصلاحي ديني رافضاً التورط في وضع سوريا المعقد[3]. وتغيرت في عهده العلاقات مع ميتاني، وظهر ذلك واضحاً في عدم استمرار ما كان يمثل حسن العلاقات ويعبر عن صلة القربى، إذ لم يعد الفرعون يهتم بإرسال الذهب المصري، أو يعر اهتماماً لقضايا السفراء بين الجانبين حتى وصلت الأمور إلى انقطاع للعلاقات تماماً[4].

لا بد من أن عدم اهتمام الفرعون الجديد بالعلاقات مع ميتاني يعكس حقيقة أن ميتاني قد تراخت قبضتها على مناطق نفوذها لتصبح تحت مطرقة القوة الحثية، ولم تعد تتمتع بمكانتها السابقة كواحدة من القوى الأساسية في منطقة بلاد الشام[5]، وهذا واضح من الرسائل التي بعثها توشراتا إلى اخناتون[6]، التي يحاول فيها دائما تذكير الفرعون بعمق العلاقات بين مصر وميتاني: "**إن خانيكلبات ومصر بلد واحد**"[7]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن اخناتون قد تزوج من تادوخيبا ابنة توشراتا وزوجة أخيه سابقاً[8]. وأخيراً فإن توشراتا كان يشك في أن وراء هذا التدهور أيادي خفية تعمل لإفساد العلاقات بين الطرفين "**أرجو أن لا يصغي أخي لأي شيء من أحد**"[9].

مع كل هذه التطورات، كان توشراتا يسعى جاهداً لاستعادة النفوذ الميتاني في منطقة شمال غرب سوريا التي استولت عليها الدولة الحثية، مستغلاً غياب الملك الحثي شوبيلوليوما، ويبدو أنه استعاد بعضاً منها، بينما أعلن عدد آخر منها التمرد

---

(1) Mercer, Op. cit., P. 95.
(2) Ibid., PP. 149-151.

(3) جورج رو، المصدر السابق، ص 348.

(4) Mercer, Op. cit., PP. 155-163.
(5) Wilhelm, Grundzuge der, P. 57.
(6) Mercer, Op. cit., PP. 155-163.
(7) Ibid., PP. 157-159.

(8) سيرالن جاردنر، مصر الفراعنة،تر.نجيب ميخائيل ابراهيم(القاهرة،1973) ص 240؛ جورج رو، المصدر السابق، ص 348.

(9) Mercer, Op. cit., P. 165.

ضد الهيمنة الحثية بدعم ومساعدة من توشراتا ، ومنها الالاخ، ونيا، ونوخاشة[1]. وإلى جانب هذا التطور فإن القائدين تلبينو ولوباكي الذين خلفوا شوبيلوليوما على سوريا قد أقاما معسكرهما في منطقة مورموريكا (Mumuriga) [2] ثم بعد مدة استدعى تلبينو إلى الأناضول فترك المعسكر الحثي تحت قيادة لوباكي وحده. وهنا استغل توشراتا الذي كان يراقب الأحداث عن كثب هذا الأمر، فتحرك بقواته من كركميش إلى مورموريكا حيث حاصر القوات الحثية المتواجدة فيها[3]. وكما هو واضح من النص الآتي "**عندما سمع الحوريون مغادرة تلبينو إلى اودا [في الأناضول] جاء الحوريون بقواتهم وعرباتهم ... لقد حاصروا مدينة مورموريكا**"[4]. وبالوقت نفسه حاولت مصر استعادة مدينة قادش التي كان شوبيلوليوما قد سيطر عليها[5].

أمام هذه التطورات اضطر شوبيلوليوما للزحف نحو سوريا، وكان قد أرسل أمامه قوات سبقته بقيادة ابنه ارنوواندا لفك الحصار عن مورموريكا، وقد تمكن من ذلك بعد معركة اصطدم فيها مع توشراتا وقواته. أما توشراتا بعد خسارته هذه المعركة اضطر إلى التراجع نحو كركميش ليتحصن فيها، فما كان من شوبيلوليوما إلا أن فرض طوقاً من الحصار على هذه المدينة، آخر معاقل الميتانيين. وبعد حصار دام سبعة أيام سقطت بيد القوات الحثية[6]. وتذكر مآثر شوبيلوليوما عملية حصار كركميش قائلة "**لقد حاصرها لسبعة أيام، وفي اليوم الثامن قاتل في معركة ضدها وليوم واحد، أخذ مدينة كركميش في معركة رهيبة**"[7].

ويظهر من النص أن هناك معركة قوية قد وقعت بين القوات الحثية من جهة، والميتانية وقوات كركميش من جهة أخرى. وكما ورد في النص فإن شوبيلوليوما قد ساق أسرى كثيرين من كركميش، ولا بد أن من بين الأسرى عوائل حورية، لاسيما أن هذا الملك الحثي قد نفى الكثير من العوائل الحورية من مناطق شمال سوريا إلى آسيا الصغرى في حملته الأولى، في محاولة منه لإضعاف القدرة الميتانية على القتال[8].

---

(1) Warburton, Op. cit., P. 82 ff; عبد الحميد زايد، الشرق الخالد، ص 484.

(2) لا يعرف موقعها بدقة لكنها تقع شمال سوريا.

(3) صلاح رشيد الصالحي ، المصدر السابق، ص 263؛ Harrak, Op. cit., P. 18.

(4) صلاح رشيد الصالحي ، المصدر السابق، ص 616.

(5) Harrak, Op. cit., P. 18.

(6) Gutterbock, Op. cit., P. 121; Amlikuhrt, Op. cit., P. 253.

(7) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 616.

(8) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 254.

لم تذكر المصادر الحثية اسم ملك كركميش الذي واجه شوبيلوليوما، ولعل هذا يعني إن الذي نظم الدفاع عن المدينة هو توشراتا[1]، وفيما يخص توشراتا فانه افلت من قبضة القوات الحثية، لكنه بعد مدة قصيرة اغتيل على يد أحد أبنائه انتقاماً من سياسته التي أدت إلى فقدان الأملاك الميتانية شمال سوريا، لاسيما غرب الفرات.

وبعد تلك الانتصارات الكبيرة انسحب شوبيلوليوما إلى وطنه الحثي بعد أن عين ابنه "بياشيلي"[2]، حاكماً على كركميش، بينما عين ابنه الثاني تلبينو حاكماً على حلب[3]، كما كان يتبع هاتين المدينتين عدد من المدن السورية الأخرى[4].

ومن الجدير بالذكر أنه خلال هذه الحملة الحثية توفي الفرعون اخناتون، وتزامنت وفاته مع انهيار الدولة الميتانية التي تلاشت شيئاً فشيئاً، لينحصر الصراع على منطقة بلاد الشام بعد ذلك بين خلفاء اخناتون والحثيين لسنين طويلة.

والحقيقة أنه بموت اخناتون يكون أرشيف العمارنة قد أغلق، وبذلك فقدنا واحد من المصادر الرئيسة عن تاريخ الدولة الميتانية خلال الحقبة المتبقية من تاريخها، ليصبح اعتمادنا بعد ذلك على المصادر الحثية والآشورية والبابلية التي ظلت تزودنا بمعلومات عن بلاد حوري، حتى انقراضها بشكل نهائي.

---

(1) Gutterbock, Op. cit., P. 121;

سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 257.

(2) اتخذ بياشيلي اسماً حورياً آخر هو شاري كوشوخ، وهو ما يعني أن التقاليد الحورية كانت راسخة في كركميش. ينظر: صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 267.

(3) Gutterbock, Op. cit., P. 121.

(4) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص273.

المبحث الثالث

الآثار السياسية المترتبة على انهيار الدولة الميتانية

أولا: استقلال بلاد آشور

على الرغم من أن استقلال آشور بشكل كامل وفعلي قد تم في عهد الملك الآشوري، آشور أوبالط الأول، إلا أن هناك بعض الدلائل تشير إلى أن التهيئة للاستقلال بدأت تلوح في الأفق منذ زمن الملك الآشوري آشور-بيل-نشيشو، الذي عاصر الملك الميتاني ارتاتاما[1]، فهذا الملك عقد مع الملك الكاشي (ملك بابل) كره انداش معاهدة لترسيم الحدود بين المملكتين (بابل وآشور)[2]. ولا يمكن اعتبار هذا الحادث مسألة اعتيادية ضمن السياسة الميتانية القائمة على منح الممالك التابعة لها جزء من الحق في رسم سياستها الخارجية، فالموضوع يتعلق بتعديل حدود بين مملكتين أحدهما تابعة لميتاني وأخرى مجاورة لها، وفي مثل هكذا حالة يكون الملك الميتاني هو خصم الملك الكاشي. كما إننا لم نسمع بمثل هذا التصرف خلال عهد الملوك الآشوريين الذين سبقوا آشور-بيل-نشيشو ، وكانوا أتباعاً لسيدهم الملك الميتاني[3]، وهذا يعني بداية ضعف للسيطرة الميتانية على هذه المنطقة ، وبداية إفاقة آشورية في زمن هذا الملك الآشوري.

تتضح أيضاً بوادر الاستقلال الآشوري بشكل أكثر في عهد الملك آشور-نادن-اخي (الخليفة الثاني لآشور-بيل-نشيشو) الذي عاصر الملك الميتاني شوتارنا الثاني[4]. فهذا الملك بدأ بمخاطبة امنحوتب الثالث طالباً منه إعادة العلاقات الودية بين الطرفين التي كانت قائمة قبل الاحتلال الميتاني، ونتيجة لذلك أهداه امنحوتب الثالث كمية من الذهب[5]. وبغض النظر عن هذه الكمية والسبب الذي أرسلت لأجله، فنحن نعرف أن ميتاني ومصر كانتا في حلف مع بعضهما، لاسيما في عهد هذا الملك المصري الذي يعرف جيداً بأن آشور هي من ضمن ممتلكات الدولة الميتانية.

---

(1) هاري ساكز، عظمة بابل، ص 606؛ جورج رو، المصدر السابق، ص 668.

(2) سامي سعيد الأحمد، العصر الكاشي، ص 137؛ G. Smith, History of Babylon (London, No D), P. 25

(3) من هؤلاء الملوك آشور-شدوني، وآشور رابي، وأشور-نادن اخي الأول، وانليل-ناصر الثاني، وآشور-نيراري الثاني. ينظر: طه باقر، المقدمة ، ج 1، ص 646.

(4) ينظر جدول تعاصر الملوك، ص

(5) وليد محمد صالح، المصدر السابق، ص 44.

وهذا يعني دون شك أن الملك المصري بدأ يشعر ببروز آشور كقوة سيكون لها دور مؤثر في سير الأحداث بمنطقة الشرق الأدنى القديم، لاسيما بلاد الشام، فأراد مسبقاً ضمان هذه القوة إلى جانبه، وفي الوقت نفسه احترم تحالفه مع ميتاني، غير أن ذلك يفرض حقيقة لابد منها وهي أن ميتاني لو كانت سيطرتها محكمة على بلاد آشور لعارض الملك الميتاني هذا الأمر.

ومع كل ذلك نستطيع القول أن بلاد آشور لم تفلت تماماً بعد من السيطرة الميتانية، فالملك الميتاني توشراتا خليفة شوتارنا الثاني لم يشر في بداية حكمه إلى ذلك، لكن في الأخير نجحت آشور في نيل استقلالها التام على يد ملكها الشهير آشور اوبالط الأول (1353–1318ق.م)[1]، الذي انتهز فرصة اضطراب الأوضاع في الدولة الميتانية في السنوات الأخيرة من حكم توشراتا، من بعد هزيمتها على يد الحثيين بقيادة شوبيلوليوما من جهة، وفقدان حليفها المصري اخناتون الذي انشغل بثورته الدينية من جهة أخرى.

أعلن آشور اوبالط استقلال بلاده من دون خوضه لأي معركة ضد الميتانيين[2]، ومن ثم سارع إلى ضم ارابخا ونوزي الحوريتين، لتصبح ضمن أملاك الدولة الآشورية[3]. ليس هذا فحسب بل أن آشور اوبالط احتل المناطق الواقعة شمالي بلاد آشور (الجهات العليا من بلاد الرافدين)، وأقام تحالفاً مع مملكة ألشي Alši[4] ضد توشراتا، ومن أجل تقوية هذا الحلف فقد اتصلوا عن طريق ارتاتاما الحوري بشوبيلوليوما لتحسين العلاقة معه وضمان رضاه عنهم[5].

والواقع أنه مع الظروف الدولية التي خدمت آشور للتخلص من التبعية الميتانية، لكن الأمر تطلب أيضاً قيادة قادرة على إعادة بناء الدولة الآشورية وتماسكها قبل اتخاذ هذه الخطوة الجريئة في التحرر وهو ما فعله آشور اوبالط الأول[6].

وبعد نيل الاستقلال أصبح آشور اوبالط يتطلع بأن يجعل نفسه وبلاده في مرتبة الدول الكبرى القائمة آنذاك، لذلك نراه يراسل الفرعون المصري اخناتون، إذ بعث

---

(1) Harrak, Op. cit., P. 37.

(2) جورج رو، المصدر السابق، ص 349؛ ساكز، عظمة بابل، ص 97.

(3) Harrak, Op. cit., PP. 15-19.

(4) تقع مملكة الشي على مقربة من ميتاني في الجهات الشمالية الشرقية منها في أعالي نهر دجلة.

(5) Wilhelm, Grundzuge der, P. 59.

(6) عامر سليمان، "العصر الآشوري"، ص 130.

إليه برسالتين مع هدايا ، الأولى كانت قصيرة تهدف إلى معرفة موقف الفرعون تجاه التطورات الجديدة في آشور[1]، وإذا ما اعترف هذا الفرعون بهذا الواقع فهناك طلب آخر في الرسالة يتضمن تحقيق علاقات تجارية بين الطرفين عن طريق بلاد الشام. لذلك جاءت الرسالة وهي تحمل المقدمة الآتية "**إلى ملك مصر، هكذا يقول آشور اوبالط ملك بلاد آشور**"[2]، وهنا نلاحظ أن آشور اوبالط لقب نفسه بملك بلاد آشور أي أنه ند للملك المصري.

وعندما عاد المبعوث الآشوري من البلاط المصري أبلغ سيده بقبول هديته واعتراف مصر بسيادته، فما كان من آشوراوبالط إلا ان بعث برسالته الثانية إلى اخناتون التي خاطبه فيها بكلمة "أخي" وهو تعبير يعني أنه مساو له في المنزلة السياسية "**إلى نفخوريريا**[3]**، ملك مصر، أخي، آشور اوبالط ملك أشور، الملك العظيم، أخوك، إليك إلى عائلتك وإلى بلادك أتمنى السلام والازدهار**"[4]. وفي الرسالة نفسها يعد آشور اوبالط نفسه الآن مساو لملك خانيكلبات "**عندما كتب ملك خانيكلبات إلى مصر إلى أبيك، بعث له عشرين ... من الذهب الآن أنا [المساوي لملك خانيكلبات] لكن بالنسبة لي فقد أرسلت أنت ... من الذهب**"[5]. ونستنتج من هذه الرسالة أن الألقاب التي استخدمها آشور اوبالط تدل على القوة التي تمتع بها آشور الآن، وإن طلب الذهب والذي أرسله الفرعون يعني أن آشور ومصر أصبحت حليفتين. ولعل هذا التحالف يصب في مصلحة الطرفين، فآشور أرادت انتزاع كل حلفاء الدولة الميتانية، وبالمقابل فإن مصر أدركت أن مصالحها في بلاد الشام ستكون في خطر إذا ما أصبح لها عدوان آشور والحثيون، هذا مع العلم أن أشور اوبالط كان قد سارع إلى إقامة علاقات ودية مع الحثيين في إطار جهوده الرامية للتخلص من الميتانيين كما وضحنا سابقاً.

ومن الجدير بالذكر أن هذا التطور السياسي للدولة الآشورية قد أثار حفيظة الدولة الكاشية التي التزمت الحياد في الصراع القائم آنذاك واكتفت باستمرار العلاقات

---

(1) Harrak, Op. cit., P. 37.

(2) Grayson, Assyrian Royal Inscription (Wiesbaden ,1972) ,P. 48.

(3) نفخوريريا: هو اسم امنحوتب الرابع الذي ينطق باللسان المصري القديم (نفر–خيفرو–رع). ينظر: طه باقر، المقدمة، ج2، ص 69.

(4)Grayson , Op cit., P. 48.

(5) Harrak, Op. cit., P. 38.

الودية مع مصر [1]، فالملك الكاشي بورنابورياش الثاني عبر عن استيائه من جراء استقبال الفرعون للمبعوثين الآشوريين واعترافه باستقلال آشور لأنه على حد قوله يعد بأن آشور تابعة له[2] "**لماذا جاء هؤلاء الآشوريين الذين هم من رعاياي ... إلى بلدكم، إذا كنت تحبني لا تدعهم يحصلون على ما يريدون**"[3].

والواقع أن ادعاء الملك الكاشي بتبعية آشور له لم يكن صحيحاً، بل كانت الغاية منه محاولة لأخذ مكان الميتانيين في السيطرة على جارتها الشمالية آشور [4].

ثانياً:

التطورات السياسية لدولة ميتاني بعد وفاة توشراتا

من الأمور المسلم بها أن دخول شوبيلوليوما واشوكاني، وانتزاعه لكل مناطق شمال سوريا التي كانت تحت سيطرة ميتاني كان له الأثر الكبير في تصدع هذه الدولة بشكل كامل ، فأرض ميتاني المحصورة بين منعطف نهر الفرات الكبير في الشرق وأعالي دجلة قد انفصلت عن بقية أجزاء سوريا ، وفقدت السيطرة عليها تماماً، وبالتالي فإن الشعب الحوري الذي يسكن هذه المناطق أصبح بمعزل عن مركز القيادة الميتانية، ولا يقوى على فعل شيء، فهو الآن تحت سيطرة الدولة الحثية، كما أن الدويلات الحورية التي تقع في شمال وأعالي بلاد الرافدين هي أيضاً وبصورة تلقائية قد أصبحت بمفردها، والأكثر من ذلك فقد شلت حركتها تحت الضغط الآشوري المتزايد الذي سيطر على مناطق شمال بلاد الرافدين بقيادة آشور اوبالط الأول.

إن المصدر التاريخي الرئيس الذي يعطي المعلومات عن المدة التي تلي حكم توشراتا مباشرة هي تلك المعاهدة التي عقدت بين الملك الحثي شوبيلوليوما والملك الميتاني شاتيوازا ابن توشراتا[5]. وبحسب ما ذكره شاتيوازا في هذه المعاهدة، فإن توشراتا وبسبب حربه الفاشلة مع شوبيلوليوما وما نتج عنها من كوارث أدت إلى قتله على يد أحد أبنائه الذي لم يذكر اسمه، بعد مدة قصيرة من سقوط كركميش[6].

---

(1) جون اوتس، المصدر السابق، ص 140؛ سامي سعيد الأحمد، "العصر الكاشي"، ص 139.

(2) Laessqe, People of Ancient Assyria, P. 90.

(3) هاري ساكز، قوة آشور، ص 69.

(4) هاري ساكز، عظمة بابل، ص 97.

(5) Harrak, Op. cit., P. 11; Gelb, Op. cit., P. 80.

(6) Gelb, Op. cit., P. 79.

ويرى الملك الحثي شوبيلوليوما إن ذلك حصل بقرار من الإله تيشوب لصالح الملك ارتاتاما الثاني [1] (الذي قاد تمرداً ولقب نفسه بملك حوري)، وربما جاء تصرف الابن هذا إخماداً لفتنة كانت ستحصل في ميتاني بسبب أعمال توشراتا، والمهم أن القاتل لم يتمكن من استعادة الكيان الميتاني المستقل ، بسبب الصراعات الداخلية بين الأحزاب المتناحرة، وهذا الأمر قد استغله شوتارنا الثالث ابن ارتاتاما الثاني خصم توشراتا السالف الذكر، وتمكن من ان ينصب نفسه على عرش ميتاني[2]. هذا مع العلم أن ارتاتاما كان لايزال على قيد الحياة لكنه كان طاعناً في السن، وكان يترقب هو وابنه تطورات الأحداث عن كثب، فلما جاءت الفرصة سانحة اغتصبوا العرش وأعطي لشوتارنا[3].

هذا وإن استيلائهم على العرش لم يأت فجأة وبهذه السهولة، فشوتارنا الثالث وقبل أن يتوجه إلى العاصمة الميتانية ليفرض نفسه كملك، كان قد اعترف باستقلال آشور مثلما اعترف أبيه بذلك من قبل[4]، ثم أجرى اتصالاً مع آشور اوبالط حليف والده، واتصالاً آخر مع مملكة ألشي، وكان من نتيجة هذه الاتصالات أن تحالف الثلاثة على اجتياح ميتاني وتسليم العرش لشوتارنا الثالث[5].

سار شوتارنا الثالث على رأس قوة عسكرية[6] بمساعدة الآشوريين والألشيين، وتمكن من أن ينقض على ميتاني ويدخل عاصمتها واشوكاني[7]، " **لقد ارتكب الشر**

---

(1) Harrak, Op. cit., P. 19.

(2) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 170.

(3) Wilhelm, Grundzuge der, P. 61.

(4) جرني، المصدر السابق، ص 51؛

G. J. Gadd, “Assyrian and Babylon 1370-1300 B.C., Vol. 11, Ch. XVIII, in CAH, 1965, P. 8.

(5) Meroop, Op. cit., P. 143; جورج رو، المصدر السابق، ص 349

إن هذا التحالف يدفع للاعتقاد بأن يكون لشوتارنا الثالث وآشور اوبالط دوراً في عملية تصفية توشراتا، عن طريق الحزب الموالي لهم في واشوكاني. ينظر : جورج رو، المصدر السابق، ص 349؛ محمد حرب فرزات، تاريخ سوريا القديم، ص 146.

(6) إن هذه القوة العسكرية وتحالف شوتارنا مع آشور والشي تعني بالتأكيد أن لشوتارنا ووالده ارتاتاما كيان مستقل خلال هذا الوقت، تبين من خلال المعاهدة (معاهدة شاتيوازا وشوبيلوليوما) إنه يقع بمسافة ليست بعيدة عن واشوكاني في الجهات الشمالية الشرقية منها ، على الأرجح في مدينة تائيد (تائيدي) التي تقع في هذه الجهة.ينظر: Gelb, Op. cit., P. 71.

(7) Wilhelm, Grundzuge der, P. 61.

في ميتاني" فأحدثوا فيها الخراب ، فهدمت البيوت، ونقلت كنوز القصر الملكي إلى آشور، كما نقل عدد كبير من مقاتلي العربات الحربية (الماريانو) إلى إلشي وتم قتلهم[1]. كما دمر قصر توشراتا، ونقلت الكثير من الأسر المالكة والمتنفذة إلى آشور وإلشي لتذوق هناك الذل والإهانة والتقتيل[2]. هذا فضلاً عن تقديم الكثير من الأشياء الذهبية والفضية والممتلكات الملكية الأخرى كمكافأة إلى الآشوريين والألشيين[3]، وبعد ذلك اقتسمت آشور وألشي الممتلكات المتبقية من ميتاني ، مع تعيين شوتارنا الثالث ملكاً عليها، لكن لم يكن سوى أداة بيد حلفائه ،وهو جزء من عملية الاتفاق التي تمت قبل اجتياح واشوكاني، وكانت لآشور اليد الطولى على أعالي بلاد الرافدين حتى منعطف نهر الفرات. ولم يعرف مصير ذلك الابن القاتل[4].

وهكذا أصبح آشور اوبالط سيد الموقف بما أداه من دور رئيس في سقوط ميتاني التي كان آباؤه يدفعون لها الجزية[5].

لم يتمتع شوتارنا الثالث بمركزه كثيراً، فإن ابناً آخر لتوشراتا يدعى شاتيوازا Šattiwazza (ويقرأ أيضاً كورتيوازا Kurtiwazza وماتيوازا Mattiwaza)[6]، صاحب المعاهدة مع شوبيلوليوما ، قد نجا من محاولة اغتيال دبرها له شوتارنا الثالث[7]، ولم يجد شاتيوازا أحد يلتجئ إليه في هذا الوقت الذي فقدت فيه ميتاني كل الحلفاء سوى ملك بابل الكاشي بورنابورياش الثاني الذي فر إليه على رأس وحدة عربات حربية صغيرة عسى أن يجد العون لاسترداد عرشه المفقود. غير أن الملك الكاشي المتمسك بالحياد كأسلافه رفض إيواءه، ويقول شاتيوازا أنه استقبل استقبالاً بارداً[8]. وربما جاء هذا التصرف من قبل الملك الكاشي بناءاً على رغبته في أن يتولى عرش ميتاني

---

(1) Gelb, Op. cit., P. 80.

(2) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 170.

(3) Gelb, Op. cit., P. 80.

(4) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 170.

(5) جورج رو، المصدر السابق، ص 349.

(6) Leick, Who's Who, P. 150; I. M. Diakonoff, "Nachmals Mattiwazza-Kurtiwazza-Šattiwazza", in AOF, Vol. I (1974), P. 168.

(7) Gelb, Op. cit., P. 80.

(8) Burton, Love and War, P. 89.

جورج رو، المصدر السابق، ص 349؛ دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة، ص 160.

شوتارنا الثالث (مغتصب العرش) عسى أن يعيد قوة ميتاني من جديد ، وبالتالي ستقف أمام القوة الآشورية الصاعدة التي يخافها الكاشيون[1].

على أية حال فإن شاتيوازا وجد نفسه مضطراً لأن يرمي بنفسه بين يدي عدوه اللدود شوبيلوليوما شاكياً مستعطفاً، بعد أن رفض الملك الكاشي تقديم المساعدة[2]. وهنا وجد شوبيلوليوما بأن عليه أن يغير سياسته القديمة نحو مملكة ميتاني، إذ أدرك بفطنته السياسية الفوائد التي سيجنيها بالتحالف مع الوريث الشرعي، وإيجاد حكم ميتاني مرتبط به، فشوبيلوليوما قد أخافه كثيراً امتداد النفوذ الآشوري حتى منعطف الفرات وما سيشكله ذلك من تهديد على مستقبل الدولة الحثية في بلاد الشام[3]. لذلك قرر إعادة شاتيوازا إلى العرش، لكنه قبل القيام بهذا العمل، وجزءاً من سياسة توثيق الارتباط بين الطرفين فقد زوج شوبيلوليوما إحدى بناته لشاتيوازا[4]. بعد ذلك أمر ابنه بياشيلي حاكم كركميش بأن يقدم المساعدة العسكرية لشاتيوازا، فسار الاثنان على رأس هذه القوة العسكرية إلى ميتاني[5]، وقد اصطدمت هذه القوات مع قوات مشتركة لشوتارنا الثالث وآشور اوبالط ، كان النصر فيها حليف شاتيوازا بعد سلسلة من المعارك[6]، ثم نكص الآشوريون على أعقابهم[7]. وتمكن شاتيوازا من استعادة المدن المهمة في دولة ميتاني بما فيها العاصمة واشوكاني، وأقصي شوتارنا عن الحكم ولم يعرف مصيره[8].

بعد أن اعتلى شاتيوازا العرش تم تحرير معاهدة بين الطرفين [9]، وفيها اعترف الملك الحثي بمملكة ميتاني وبملكها الجديد، على أن تبقى خاضعة للسيادة الحثية،

---

(1) عبد الله الحلو، المصدر السابق، ص 426.

(2) Leick, Op. cit., P. 150; J. Goodnick, “Emar the City and its God”, in Languages and Cultures in Contact (Leuven, 1999), P. 157.

(3) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 170.

(4) Leick, Op. cit., P. 150; Goodnick, Op. cit., P. 157; Gelb, Op. cit., P. 80.

(5) جرني، المصدر السابق، ص 52.

(6) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 258؛ انطون مورتكات، المصدر السابق، ص 206.

(7) سليم حسن، مصر القديمة، ج 5، ص 385.س

(8) Gelb, Op. cit., P. 80; محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 171.

(9) هي المصدر الذي استقينا منه معلوماتنا عن ميتاني بعد مقتل توشراتا .

وأقسم شاتيوازا ورعيته يمين الولاء والتبعية للملك الحثي[1]. وبذلك تحولت ميتاني من إمبراطورية واسعة إلى دويلة صغيرة تشكل جزءاً من ممتلكات الدولة الحثية[2]. أما مساحة ميتاني الجديدة فهي الحدود التقليدية الواقعة بين أعالي نهر دجلة ومنعطف نهر الفرات[3]، وهذا يعني أنه ليس من حق شاتيوازا بعد الآن المطالبة بأي نفوذ في بلاد الشام التي أصبحت ساحة للصراع الحثي المصري فيما بعد. أما إلى الشرق فلا يمكن أن تكون حدودها قد امتدت أبعد من أعالي نهر دجلة، ذلك أن الآشوريين أصبحوا هم الآن من يسيطر على هذه المنطقة. وفي أدناه جزء من التفاصيل التي دونها شاتيوازا في معاهدته مع شوبيلوليوما "**شوتارنا حاول قتلي لكني أفلت من يده، فاستغثت بآلهة الشمس بشوبيلوليوما، ملك بلاد حاتي الملك البطل، حبيب تيشوب هذه الآلهة التي قادتني على طريق خال من المخاطر... وعلى نهر مارشانستيا [**في الأناضول وهو النهر الذي التقى عنده بشوبيلوليوما**] ألقيت بنفسي على أقدام الشمس ، شوبيلوليوما الملك الكبير، ملك بلاد حاتي، الملك البطل، وحبيب تيشوب، وما كان من الملك إلا أن احتضنني بيديه وسر بي سروراً عظيماً، فاستفسر عن كافة أحوال البلاد الميتانية، وعندما سمع وضع أحوال البلاد الميتانية تكلم عندئذ الملك الكبير قائلاً: إذا انتصرت على شوتارنا وعلى البلاد الميتانية فسوف لا أذلك بل سأجعل منك ابناً لي وسأنصبك على عرش أبيك**".
ثم يتحدث عن حالته عندما رحل إلى شوبيلوليوما "**وانا شاتيوازا ابن الملك عندما ذهبت إلى الملك الكبير كان بحوزتي من الملك فقط ثلاث عربات[4]، ورجلان حوريان، ومرافقان كانوا بصحبتي، كما لم يكن لي سوى ثوب واحد كان علي، ولا أكثر من ذلك، لقد أشفق الملك الكبير على حالي فأعطاني عربة مغطاة بالذهب وأحصنة وحوائج مطبخ ... إبريقين من الذهب والفضة مع كؤوسها من الفضة والذهب، أعطاني كل هذا، وقطع مجوهرات، وكل ما يخطر على بالي**"[5].

---

(1) سليم حسن، مصر القديمة، ج 5، ص 385.
(2) Miroop, Op. cit., P. 143; Leick, Op. cit., P. 150; Gelb, Op. cit., P. 80.
(3) H. Klengel,"Zum Brief Eines Konigs Von Hanigalbat", in OR, vol. 32 (1963), P. 284.
(4) يذكر شاتيوازا أنه سار على رأس 200 عربة حربية عند توجهه إلى بابل، فإذا كان ادعاؤه صحيح، فلا بد أنه فقدها بسبب تلك الرحلة الشاقة إلى بابل، ثم العودة منها. ينظر: عبد الله الحلو، المصدر السابق، ص 426.
(5) انطون مورتكات، المصدر السابق، ص ص 206-207.

من اللافت للنظر أنه بضمن ما جاء في هذه المعاهدة أيضاً أنها أقرت بوضوح حق ارتاتاما في الحكم، كما حددت حق شاتيوازا في وراثة العرش، ومن المؤكد أن شوبيلوليوما كان لا يريد إلغاء معاهدته السابقة مع ارتاتاما، التي أعترف بها كون الأخير ملك على بلاد حوري، لذلك هو لم يتعرض لارتاتاما بهذا الحق في هذه المعاهدة الجديدة، وهكذا أصبح شاتيوازا ملك لميتاني بدلاً من شوتارنا، أما ارتاتاما فهو ملك لبلاد حوري بصورة عامة[1]. وهذا التقسيم لم يغضب شاتيوازا ، لأنه هو أصلاً من طلب ذلك حسب ما جاء في المعاهدة "**هل لي أن أقبع تحت سيادة ارتاتاما المطلقة وأن اتسلم ميتاني فقط**"[2]. إن هذا التقسيم وهذا النص يعني أن شاتيوازا يقع تحت سلطة وسيادة ارتاتاما، ولم يكن الأمر أكثر من حبر على ورق، ففي الواقع أن سلطة ارتاتاما على كل بلاد حوري لم تكن أكثر من سلطة صورية، فالدويلات الحورية افترقت وتجزأت ما بين سوريا وبلاد الرافدين، وعادت إلى ما كانت عليه قبل عصر التوحيد، ولم يقو الشعب الحوري لا في سوريا ولا في بلاد الرافدين على فعل شيء تحت الضغط الآشوري والحثي.

وبعد أن اعتلى شاتيوازا العرش بمدة قصيرة حلت في بلاد الحثيين كارثة طبيعية ، تمثلت بانتشار مرض الطاعون الذي فتك بالسكان ، فمات من جرائه خلق كثير بضمنهم شوبيلوليوما وخليفته على العرش ارنووانـدا الثاني الذي حكم أقل من سنة، مما سبب إرباكاً للوضع السياسي، تمكن مورسيلي الثاني (1320–1295 ق.م) خليفة ارنووانـدا من احتوائه، ثم قمع الثورات التي نشبت في أجزاء الإمبراطورية المختلفة[3].

لا يعرف شيء من أخبار شاتيوازا خلال مدة حكم ارنووانـدا الثاني، لكن يبدو أنه استغل هذه التطورات في الدولة الحثية، فأعلن مع مطلع حكم مورسيلي الثاني انفصاله عن سيدة الملك الحثي، حيث يرد في دعاء لهذا الملك أن ميتاني "**مستعدة للصراع، لا إله لها، حانثة بالقسم**"[4]. وهي صفات تشير بلا شك إلى نقض ميتاني[1]

---

(1) Wilhelm, Grundzuge der, P. 62.

يظهر من المعاهدة أن اسم شاتيواز هو اسم هندواري اختاره بعد توليه المنصب، أما اسمه الحقيقي فكان حورياً هو كيلي–تيشوب. ينظر: Wilhelm, Op. cit., P. 62.

(2) Gelb, Op. cit., P. 80.

(3) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص ص 275–294.

(4) Wilhelm, Grundzuge der, P. 63.

للمعاهدة التي عقدها شاتيوازا مع شوبيلوليوما. بعد ذلك تنقطع الأخبار عن شاتيوازا تماماً، ومع نهاية شاتيوازا ينقرض اسم ميتاني ليظهر بدلاً عنه اسم خانيكلبات كتعبير للمنطقة نفسها التي عرفت بها أرض ميتاني الأصلية الواقعة بين أعالي نهر دجلة ومنعطف نهر الفرات الكبير(2)، وهي موضوع المبحث القادم.

(1) يعد ذلك الدعاء آخر الشواهد النصية عن اسم ميتاني باستثناء تجلات بليزر (1114_ 1077ق.م) الذي ذكر الاسم كتعبير عن منطقة جغرافية قديمة وليس مملكة قائمة في عهده . ينظر:

Wilhelm, Op. cit., P. 63.

(2) Gelb, Op. cit., P. 81.

المبحث الرابع: خانيكلبات

أولا:أصل التسميه

مع نهاية حكم شاتيوازا ينتهي تاريخ ميتاني كدولة واسعة الأطراف تضم كل بلاد حوري، والمصادر اللاحقة لاسيما الآشورية تشير إلى هذه الدولة بعد انهيارها، وتقلص نفوذها باسم خانيكلبات (خاني-كلبات)[1]، ويقصد بها فقط الأراضي المتبقية من دولة ميتاني والتي تنحصر بين منعطف الفرات عند كركميش وأعالي دجلة ومركزها منطقة مثلث الخابور، أي هي ذاتها المنطقة الجغرافية التي نشأت عليها ولاية ميتاني قبل أن تصبح إمبراطورية واسعة[2]. وبقي الهندواريين حكاما لخانيكلبات يتعاقبون عليها الحكم، أما الشعب فهو الآخر بقي نفسه بمعظمه حورياً.

كما مر بنا فإن مصطلح خانيكلبات وميتاني كانا يستخدمان بشكل مترادف للإشارة إلى المنطقة ذاتها، لكن هناك من الأدلة التاريخية ما يثبت بأن خانيكلبات هي التسمية الأقدم لهذه المنطقة. ففي النسخة العائدة للملك الحثي حاتوشيلي الأول (1650-1620ق.م) التي تتحدث عن حروبه ضد الحوريين، يذكر عبارة "**العدو الحوري القادم من أرض خانيكلبات**"[3]، فإذا كان استخدام مصطلح خانيكلبات قد ورد فعلاً في هذه النسخة الأصلية وليس إضافة أضافها الكاتب فيما بعد، فهذا يعني أن هذا الاسم لهذه المنطقة كان معروفاً قبل قيام دولة ميتاني بنحو ما يزيد عن قرن، لأن الأخيرة عرفت مع بداية القرن الخامس عشر ق.م، وحتى لو كان اسم خانيكلبات هو إضافة إلى النص فيما بعد فإن عبارة أرض خانيكلبات تشير إلى منطقة جغرافية يسكنها الحوريين قبل ظهور ميتاني، ولعل ما يؤكد ذلك أن الحثيين كانوا يشيرون دائماً إلى هذه المنطقة باسم خانيكلبات حتى في وقت قيام دولة ميتاني، وهذا ما لاحظناه في النصوص السابقة التي تتحدث عن العلاقات الميتانية الحثية.

أيضاً أن بعض من نصوص نوزي الاقتصادية والإدارية في وقت قيام دولة ميتاني كانت تستخدم اسم خانيكلبات للإشارة إلى هذه المنطقة، وهذا يعني أن خانيكلبات هو مصطلح جغرافي قديم، وإن استخدامه في هذه النصوص كان ملائماً

---

(1) يلفظ اسم خانيكلبات أحياناً في المصادر الآشورية بهيئة خاليكلبات (خالي-كلبات). ينظر: هاري ساكز، قوة آشور، ص 75.

(2) Gelb, Op. cit., P. 75; Astour, "Hattusilis Halab", P. 105.

(3) Astour, Op. cit., P. 105.

أكثر من المصطلح السياسي الميتاني الأحدث عهداً[1]. ونجد كذلك أن الملك الميتاني توشراتا على الرغم من أنه استخدم في رسائله التي بعث بها إلى الفرعون امنحوتب الثالث وامنحوتب الرابع عنوان "ملك ميتاني"، إلا أنه استخدم في اثنين منها تعبير خانيكلبات بسياق يدل على أنها تعني بلده الخاص[2]، ففي إحدى هذه الرسائل المرسلة إلى امنحوتب الرابع يذكر "**أن خانيكلبات ومصر بلد واحد**"[3]، وعندما كانت بلاد آشور قد وقعت تحت السيطرة الميتانية بنحو قرن من الزمن فإن موظفين آشوريين من بعد الاستقلال تركوا نصباً تشير إلى أن أجدادهم كانوا قد خدموا ملك خانيكلبات[4]. ومن آشور أيضاً فإن الملك الآشوري آشور اوبالط في إحدى الرسائل التي بعث بها إلى الفرعون امنحوتب الرابع (اخناتون) يطلب فيها ذهباً بقدر الذهب الذي أرسل إلى ملك خانيكلبات لأنه (آشور اوبالط) على حد قوله "**أنا المساوي الآن لملك خانيكلبات**"[5]. ويستنتج من ذلك أن اسم خانيكلبات هو الاسم الأصلي الراسخ في أذهان الآشوريين، ولو لم يكن الامر كذلك لاستخدم اسم ميتاني الذي كان مشهوراً في عصر الاحتلال الميتاني لآشور أو حتى بعد تحررها منه، لأن آشور اوبالط الذي حرر بلاده من الاحتلال الميتاني كان من الممكن أن يستخدم عبارة "**أنا المساوي لملك ميتاني**".

وفي ضوء هذه المعطيات التاريخية، ليس هناك مجالاً للشك في أن خانيكلبات هي التسمية الأقدم، وإن استخدام هذا الاسم لم يأتِ فقط بعد أن تقلص نفوذ ميتاني، ولكن الذي حصل أنه بعد أن انهارت إمبراطورية ميتاني ، وتفرقت الدويلات الحورية ، ولم يتبق من إمبراطورية ميتاني إلا تلك المنطقة الجغرافية المشار إليها، ونعني بها خانيكلبات، ولم يعد لميتاني دور مؤثر في المنطقة، ظهر اسم خانيكلبات الأصلي بدلاً عنها، ولعل هذا في حد ذاته أكبر دليل على أن خانيكلبات هي التسمية الأقدم.

إن المعلومات عن عصر خانيكلبات الذي شمل تقريباً القرن الثالث عشر ق.م بأكمله، تأتي بالدرجة الأولى من المدونات الآشورية التي تعود إلى هذا القرن، والذي

---

(1) Gelb, Op. cit., P. 72; E. Weidner, “Hanigalbat”, in RA, Vol. 4 (1972-1975), PP. 105-106.
(2) Gelb, Op. cit., P. 72.
(3) Mercer, Op. cit., PP. 157-159.
(4) هاري ساكز، قوة آشور، ص 66.
(5) Harrak, Op. cit., P. 38.

يقـع ضـمن مـدة العصـر الآشـوري الوسـيط (1521-911 ق.م)، ومـن خـلال تلـك المصادر الآشورية، تم معرفة ملوك خانيكلبات حسب تسلسلهم التاريخي، فضلاً عن معرفة اسم عاصمة خانيكلبات الجديدة التي تدعى تائيدا (تائيدي) Taida، وهي ليست بعيدة عن واشوكاني، حيث تقع إلى الشمال منها في منطقة ماردين، أما واشوكاني التي تعرضت للتدمير والنهب أكثر من مرة، فقد أصبحت مدينة ثانوية[1].

ثانياً: تاريخ خانيكلبات السياسي:

لم تشهد خانيكلبات بعد انهيار إمبراطورية ميتاني حالة من الاستقرار السياسي، فالمعروف أن هذه المنطقة قد أصبحت تحت السيطرة الحثية بموجب المعاهدة التي أبرمت بين الملك الحثي شوبيلوليوما، والملك الميتاني شاتيوازا. وبعد وفاة شوبيلوليوما أصرت الدولة الحثية على بقاء سيطرتها على مملكة خانيكلبات، ولكن بالوقت نفسه كانت خانيكلبات الهدف الأكبر لآشور خلال مدة حكم ثلاثة ملوك مشهورين من العصر الآشوري الوسيط جاءوا بعد آشور اوباط الأول، وهم كل من ادد-نيراري الأول (1295-1264 ق.م)، شلمنصر الأول (1263-1234 ق.م)، توكلتي-ننورتا الأول (1233-1197 ق.م)[2]، وهؤلاء تمكنوا من فرض سيطرتهم على خانجيلبات وأنهوا أي دور سياسي لها في المنطقة وهو ما سنوضحه تباعاً. والواقع أن الحروب التي قام بها هؤلاء الملوك الآشوريين لغرض احتلال هذه المملكة يمكن إرجاعها إلى ثلاثة أسباب: الأول: هو أن آشور بعد تحررها من السيطرة الميتانية بدأت سياسة التوسع الخارجي لبناء دولة كبيرة ذات تأثير واسع في منطقة الشرق الأدنى القديم[3]. وقد وضعت خانيكلبات ضمن هذا البرنامج، فالآشوريين بعد أن أصبحوا من القوى الكبرى، لاسيما منذ عهد آشور اوبالط الأول (1353-1318 ق.م)، لم ينسوا أبداً الاحتلال

(1) Gelb, Op. cit., P. 71; Weiher, Op. cit., P. 105.
(2) Wilhelm, Grundzuge der, P. 63.
(3) وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، ص 49.

الميتاني الذي تسبب في انكماش قوة آشور بنحو قرن من الزمن[1]. لهذا نستطيع القول أن أمر السيطرة على خانيكلبات، هو ثأر لا يمكن التنازل عنه.

ثانياً: الأهمية الاقتصادية التي تتمتع بها خانيكلبات، فهي تمتد على منطقة عريضة في أعالي سوريا، وهي بذلك تشكل أهم جزء في موقع سوريا الستراتيجي، الذي يمثل عقدة المواصلات بين سوريا والعالم القديم. وبالتالي فإن امتلاكها يعني التحكم بجزء كبير من طرق التجارة الدولية، وهو أمر جداً مهم بالنسبة لآشور المحدودة المساحة والموارد الاقتصادية[2]. كما أن ارض خانيكلبات تمتاز بخصوبة تربتها ووفرة منتجاتها من الحبوب لاسيما الشعير[3]. لذلك نرى أن الآشوريين بعد إلحاق خانيكلبات بدولتهم قد أنشئوا فيها مراكز كبيرة لتجميع الحبوب[4].

ثالثاً: تشكل خانيكلبات حاجزاً بين الدولة الآشورية والدولة الحثية[5]،فإذا ما تم السيطرة عليها فأن ذلك يعني الوقوف وجهاً لوجه مع الحثيين، ومنافستهم للسيطرة على مناطق أخرى في سوريا، وهو ما كان يخشاه الحثيين، ولطالما حاولوا بشتى الطرق عرقلة الآشوريين من الوصول إلى هناك. كل هذه الأسباب مجتمعة دفعت الآشوريين لمحاولة احتلال خانيكلبات ، وقد تحقق لهم ذلك.

يظهر لنا اول ملك يحكم خانيكلبات مع مطلع القرن الثالث عشر ق.م يدعى شاتوارا الأول (Šattuara I)، وهذا ماورد في نقش يعود للملك ادد–نيراري الأول، وهو يتحدث عن حرب له ضد خانيكلبات[6]، ويرجح جداً أن شاتوارا هو الخليفة المباشر لشاتيوازا[7]، علماً ان اسمه هندواري كبقية أسماء ملوك ميتاني[8].

إن الظروف الدولية التي أتت متزامنة مع حكم شاتوارا، لم تكن في صالحه، فحليفته الدولة الحثية بقيادة الملك موواتالي الثاني (1295–1272 ق.م) كانت قد

---

(1) المصدر نفسه ، ص 50.

(2) Munn-Rankin, “Shalmaneser I”, P. 279.

(3) Harrak, Op. cit., P. 284; Weiher, Op. cit., PP. 105-107.

(4) كوزاد محمد أحمد ، توكلتي ننورتا منجزاته في ضوء الكتابات المسمارية المنشورة وغير المنشورة، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد: كلية الآداب، 1993)، ص 26.

(5) وليد محمد صالح، المصدر السابق، ص 51؛ Weiher, Op. cit., P. 106.

(6) Harrak, Op. cit., P. 88.

(7) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 171؛ سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 263.

(8) Wilhelm, Grundzuge der, P. 63.

دخلت في صراع كبير مع المصريين الذين أصروا مع بداية الأسرة التاسعة عشر (1306–1200 ق.م) على إزاحة الحثيين من المناطق التي سيطروا عليها في سوريا بعد وفاة تحوتمس الثالث، والتي كانت ضمن النفوذ المصري، ومن ثم إعادة نفوذهم عليها[1]، لذلك اصطدم الحثيين معهم في عدة معارك ، كان أشهرها معركة قادش سنة 1274 ق.م، وكانت القوات المصرية في حينها بقيادة الفرعون رعمسيس الثاني (1279–1212 ق.م)، أما القوات الحثية فكانت بقيادة موواتالي[2]، كما شاركت خانيكلبات بقوات عسكرية كحليف للحثيين في هذه المعركة[3]، التي كان النصر فيها لصالح الحثيين[4].

وقد أشارت النصوص الخاصة برعمسيس الثاني إلى مشاركة خانيكلبات في هذا الحلف تحت اسم (نهرين)، ويعني بها سكان أرض خانيكلبات[5]. غير أن النصر الحثي لم ينقذ خانيكلبات من طموح الآشوريين الذين استغلوا هذه الأوضاع لدخول خانيكلبات ، فالدولة الحثية بعد معركة قادش شهدت إرباكاً في أوضاعها الداخلية تمثلت باعتلاء الملك اورخي–تيشوب (1272–1267 ق.م) للعرش الحثي، الذي لم يهتم بالسياسة الخارجية[6]. وكان من نتيجة ذلك أن فقدت خانيكلبات الدعم الحثي.

هكذا في ظل هذه الظروف اكتسح الملك الآشوري ادد–نيراري الاول مملكة خانيكلبات، دون أن يتمكن شاتوارا من رد هذا الهجوم في ظل غياب الدعم الحثي[7]. وليس هذا فحسب ، بل أن شاتوارا وقع أسيراً في قبضة ادد–نيراري وحمل إلى آشور ،

---

(1) عبد الغني فارس السعدون، المصدر السابق، ص ص 112–120.

(2) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 326.

(3) المصدر نفسه، ص 340؛ كوزاد محمد أحمد، المصدر السابق، ص 24.

(4) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 340؛ عبد الغني فارس السعدون، المصدر السابق، ص 119.

(5) Harrak, Op. cit., P. 90; فراس سواح، المصدر السابق، ص 67.

(6) اورخي تيشوب اسم حوري، وهو ابن عشيقة موواتالي (من المحتمل أنها حورية) وليس ابناً شرعياً، وعند تسلمه العرش غير اسمه إلى اسم حثي هو مورسيلي الثالث في محاولة منه لإضفاء الشرعية على حكمه، غير أن هذا لم يغير حقيقة الأمر، إذ دخل في حرب أهلية مع عمه حاتوشيلي الثالث انتهت بانتصار الأخير، وإزاحة اورخي تيشوب عن العرش بعد نحو ست سنوات من الحكم. عن هذه الأحداث ينظر: صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص ص 347–368.

(7) E. F. Weidner, “Die Kampfe Adadniraris Igegen Hanigalbat”, in AFO, Vol. 5 (1928-1929), P. 91; I. Singer, “The Battle of Nihrira and the End of the Hittite Empire”, in ZA, Vol. 75 (1985), P. 102.

ثم أطلق سراحه بعد أن أقسم يمين الولاء وتعهد بدفع جزية سنوية لآشور[1]، وبإعادة تنصيب شاتوارا من قبل الملك الآشوري تكون خانيكلبات قد تحولت إلى مقاطعة تابعة للآشوريين، فكان ذلك بمثابة كارثة لخانيكلبات، حيث تحولت إلى تابع لآشور بعدما كانت آشور تابعة لها[2].

من جانب آخر أصبح النفوذ الآشوري على تماس تماماً مع الحدود الحثية، وهو ما يشكل تهديداً لها وللمناطق التابعة لها في سوريا.

وعن هذه الاحداث اخبرنا أدد – نيراري قائلاً :

"عندما ثار شاتوارا ملك خانيكلبات ضدي، وقام بممارسات عدائية ألقيت القبض عليه، وجلبته إلى آشور، وجعلته يؤدي يمين القسم ثم سمحت له، بالعودة إلى بلاده، وصرت سنوياً استلم منه جزية يرسلها إلى مدينتي آشور"[3].

يبدو من النص أن شاتوارا قبل الهجوم الآشوري كان قد قام بأكثر من عمل عدائي ضد بلاد آشور، ولا نتوقع بأن تلك الأعمال العدائية كانت كبيرة، فقد لا تتعدى الأراضي الآشورية المتاخمة لخانيكلبات، وربما جاء هذا التصرف من جانب شاتوارا لخشيته من النوايا الآشورية تجاه خانيكلبات، لاسيما أن الملك اريك–دين–ايلي، والد آشور اوبالط، قد وصل سابقاً إلى الحدود الجنوبية لخانيكلبات[4]. فأراد شاتوارا بهذا العمل ان يرسل إلى ادد–نيراري بأن خانيكلبات مازالت قوية وقادرة على إحباط محاولات الآشوريين للسيطرة عليها. على العموم هي كانت سبباً في تعجيل الهجوم الآشوري المدبر له أصلاً، غير أن النص لم يعط تفاصيل عن هذه المعركة، لاسيما المكان المحدد الذي دارت عليه، وتاريخ وقوعها. ويبدو أن ادد–نيراري لم يتوغل كثيراً في خانيكلبات، وربما دخل العاصمة تائيدا، وبمجرد أن قبض على شاتوارا عاد إلى بلاده. أما تاريخ المعركة فنستطيع القول أنها وقعت مباشرة بعد تسلم اورخي–تيشوب

---

(1) Gelb, Op. cit., P. 81; Harrak, Op. cit., P. 129; Weidner, Op. cit., P. 90;
عامر سليمان، "الجيش والسلاح في العصر الآشوري " كتاب الجيش والسلاح ، تأليف مجموعة من الباحثين العراقيين (بغداد :دار الحرية للطباعة والنشر ، 1987) ، ج1 ، ص 245.

(2) Leick, Op. cit., P. 3; H. Klengel, Zum Brief eines, PP. 284-286.

(3) Harrak, Op. cit., P. 129.

(4) وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، ص 51.

عرش المملكة الحثية، لأن خانيكلبات كانت قد شاركت في معركة قادش سنة 1274 ق.م.

بقي شاتوارا تابعاً لسيده الملك الآشوري طوال مدة حكمه المتبقية من دون فعل أي شيء، كما هو واضح من النصوص العائدة إلى ادد–نيراري الأول[1]. وعند وفاة شاتوارا خلفه على العرش ابنه واساشاتا (Wasašata) وهذا ما ورد في النص الآشوري السابق الذي يتحدث عن حرب ادد–نيراري ضد خانيكلبات[2].

ويبدو أن واساشاتا لم يتقبل أبداً فكرة تبعيته لملك آشور، لذلك حال تسلمه الحكم أخذ يهيئ لتحرير خانيكلبات من تلك التبعية، فبعدما أجرى استعداداته الداخلية، أرسل وفداً محملاً بالهدايا إلى الملك الحثي اورخي تيشوب[3]، ظاناً أن المساعدة الحثية ستكون حتمية طالما أن العدو مشترك، وأن الحثيين يسعون دائماً للتخلص من النفوذ الآشوري في خانيكلبات[4]، ويظهر أن الحثيين قد وعدوه بالمساعدة، لكن عندما أعلن واساشاتا ثورته ثم أخذ يهاجم المناطق الآشورية المحاذية لمملكته، لم تصله مساعدة الحثيين، ولعل سبب ذلك يعود للتداعيات التي مرت بها الدولة الحثية من جراء المعارك التي خاضتها ضد مصر وما رافقها من إعادة ترتيب الأوضاع الداخلية، ثم الصراع الداخلي بين الملك اورخي تيشوب وعمه حاتوشيلي الثالث على العرش.

فكانت النتيجة حملة عسكرية آشورية أخرى بقيادة ادد–نيراري الاول تمكن بها من سحق ثورة واساشاتا، ثم دخل العاصمة تائيدي، واحتل عدداً كبيراً من المدن التابعة لخانيكلبات[5]، أما واساشاتا فقد فلت من قبضة القوات الآشورية[6]، غير أن نساءه وأبناءه وبناته وعدداً من أبناء شعبه قد سيقوا أسرى إلى آشور. والنص الآتي العائد لادد–نيراري الأول، يوضح تلك الأحداث

"بعد وفاة شاتوارا تمرد ابنه واساشاتا ضدي، وارتكب أعمال عدائية، هو ذهب إلى بلاد حاتي [الحثيين] لطلب المساعدة، استلموا منه الهدايا، لكنهم لم يقوموا بمساعدته. وبدعم من الإله آشور سيدي،

---

(1) A. k. Grayson, Op.cit., PP. 60-61.
(2) Ibid., PP. 60-61; Harrak, Op. cit., P. 129; Gelb, Op. cit., P. 81.
(3) لم يذكر النص الآشوري اسم اورخي تيشوب لكن من خلال الأدلة الكتابية والتاريخية الحثية يستنتج أن الملك الحثي هو اورخي تيشوب. ينظر: صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص ص 363–364.
(4) Weidner, "Wasasatta Konig von Hanigalbat", in AFO, Vol. 6 (1930-1931), P. 22.
(5) Weidner, "Wasasatta Konig", P. 22; Harrak, Op. cit., P. 103.
(6) Grayson, Op.cit., P. 60; Maxwell, Op. cit., P. 144.

ومساعدة الآلهة انليل، وايا، وسين، وشمش، وادد، وعشتار، ونرجال، أنـا زحفـت واسـتوليت علـى مدينـة تائيـدي المدينـة الكبـرى، وكـذلك اماســاكو Amasaku، وكاخــات Kahat، وشــورو Šuru، ونــابولا Nabula، وخورا Hurra، وشودوخو Šuduhu، وواشوكاني[1]، ثـم جلبت ثروات وكنوز هذه المدن إلى آشور نعم لقد احتليت تائيدي وجعلتهـا خرائـب وبـذرت فوقهـا الأعشـاب الضـارة[2]... أمـا واساشـاتا نفسه، فقد أحضرت نساء قصره وأبناؤه وبناتـه وقواتـه من اريـدي[3]، وجلبتهم أسرى إلى آشور. نعم لقد استوليت على إريـدي[4] والقرى التابعة لها، وأحرقتها ودمرتها"[5].

فـي هذا النص تبدو المبالغة واضحة في ادعاء ادد–نيراري، إذ من الصـعب تصديق كل ما جاء في النص الذي يظهر فيه وكأن ادد–نيراري قد سحق خانيكلبات بقوة والحق كل أراضيها ببلاد آشور، وهذا ما ذهب إليه بعض الباحثين[6]. غير أن الأحداث اللاحقة القريبة التي وقعت في خانيكلبات تثبت أن ذلك النصر كان مبالغاً فيه، وإن قوة خانيكلبات مازالت موجودة. إذ أن هذه المملكة قد تحررت من سيطرة آشور مع السنوات الأولى لحكم الملك الآشوري شلمنصر الأول خليفة ادد–نيراري، ووقفت ضد هذا الملك بقوة. لذلك نرى الأقرب إلى الحقيقة هو أن ادد–نيراري فعلاً

---

(1) هذه المدن تقع جميعها في منطقة مثلث الخابور شمال سوريا ضمن حدود مملكة خانيجلبات. ينظر: محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 171؛

Harrak, Op. cit., PP. 103-104.

(2) كان الآشوريين بعد تدمير مدن أعدائهم يقومون بنثر الملح والنباتات الشوكية الضارة عليها حتى لا تقوم لها قائمة، وهذا ما فعله آشور بانيبال عند تدميره مدن عيلام. ينظر:

D.D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. 1 (Chicago, 1926), PP. 307-313.

(3) لا يعرف مكان هذه المدينة بالضبط، لكنها على الأرجح تقع شمال العاصمة تائيدي ربما في منطقة طور عابدين، ولا بد أن هؤلاء الأسرى قد انسحبوا من تائيدي إلى هذه المدينة بعد تقدم ادد–نيراري في خانيجلبات، لكنهم وقعوا أخيراً في قبضته. ينظر: Wilhelm, Grundzuge der, P. 65.

(4) مدينة اريدي والمدن الأخرى التي جاء ذكرها في هذه الحملة والتي تقع ضمن مملكة خانيجلبات هي المرة الأولى التي نتعرف عليها، إذ لم يرد ذكرها في النصوص الآشورية أو الحثية أو المصرية السابقة.

(5) Wilhelm, Grundzuge der, PP. 64-65.

(6) M. B. Rowton, "The Background of the Treaty Between Ramsses II and Hattusili III", in Jcs, Vol. 13 (1959), P. I; هاري ساكز، قوة آشور، ص 75.

تمكن من الانتصار على خانيكلبات، لكن انتصاره لم يكن ساحقاً، كما لم يتمكن من إخضاع جميع الأراضي الخانيكلباتية تحت نفوذه، وعلى الأغلب فإن نفوذه انحصر في قسم من خانيكلبات يتمثل بمناطق مثلث الخابور التي تمثل قلب خانيكلبات، وبعض أجزاء من طور عابدين. أما باقي مناطق خانيكلبات فقد اكتفى بمراقبتها عن بعد، ومن أجل ذلك فقد بنى قصراً في تائيدي وضع فيه قيادة آشورية مهمتها مراقبة المصالح الآشورية في خانيكلبات لاسيما في المناطق الخاضعة لنفوذه[1].

لقد كان احتلال خانيكلبات[2] ضربة قوية للحثيين. وشجع عدم وقوفهم إلى جانب خانيكلبات الملك ادد–نيراري على إرسال رسالة إلى الملك الحثي اورخي–تيشوب عارضاً عليه الصداقة، ويتحدث معه نداً لند ، إذ يخاطبه بكلمة أخي، غير أن الملك الحثي الذي عد احتلال خانيكلبات بمثابة عداء موجه له كان رده قاسياً حيث أجابه **"لماذا أتحدث إليك عن الأخوة هل ولدنا أنا وأنت من أم واحدة"**[3].

ولكن عندما تمكن حاتوشيلي الثالث من إزاحة اورخي–تيشوب وتسلم العرش مكانه، رأى من الأفضل لبلاده فتح صفحة جديدة من العلاقات مع آشور، فقد أدرك بأن إزاحة آشور من خانيكلبات أمر في غاية الصعوبة، وبالتالي فإن إقامة علاقات طيبة مع آشور سوف تضمن له على الأقل عدم توسع آشور على حساب الأملاك الحثية، وفعلاً تم التقارب بين الطرفين. ولا يخفى أن حاتوشيلي أراد بهذا المكسب تحقيق مكسب آخر، يتمثل بالحصول على اعتراف ملك آشور بشرعية حكمه، فهو أزاح اورخي– تيشوب عنوة وأخذ العرش منه[4]. وبهذا التقارب تكون خانيكلبات قد فقدت أهم حلفائها الراغبين في الخلاص من توسع النفوذ الآشوري في خانيكلبات.

ويظهر تحسن العلاقة الحثية الآشورية، والاعتراف الحثي بالسيطرة الآشورية على خانيكلبات، من خلال رسالة بعث بها حاتوشيلي الثالث إلى ادد–نيراري طلب منه

---

(1) Harrak, Op. cit., P. 131.

(2) لم يذكر النص الآشوري تاريخ الحملة العسكرية على خانيجلبات، لكن على العموم هي وقعت في السنوات الأخيرة من حكم ادد–نيراري.

(3) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 364؛ هاري ساكز، قوة آشور، ص 75.

(4) المصدر نفسه، ص ص 385–386.

باعتباره سيد على خانيكلبات منع سكان مدينة توريرا (Turira)، التابعة لخانيكلبات والقريبة من كركميش، من الإغارة على كركميش التابعة للنفوذ الحثي[1].

وهكذا بقيت خانيكلبات خاضعة للاحتلال الآشوري حتى وفاة ادد–نيراري الأول، أما الملك واساشاتا فلم يعرف عن مصيره شيء بعد دخول ادد–نيراري الأول خانيكلبات.

خلف واساشاتا على عرش خانيكلبات الملك شاتوارا الثاني (يرجح أنه ابنه)[2]، وكان هذا الملك قد عاصر الملك الآشوري شملنصر الأول (1263–1234ق.م) غير أنه ليس هناك أدلة تبين فيما إذا كان شاتوارا الثاني قد بدأ حكمه خلال السنوات الأخيرة من عهد حكم ادد–نيراري الأول أم بعد وفاته، والمهم أن شاتوارا الثاني كان تابعاً لآشور في السنوات الأولى من حكم شلمنصر الأول، لكنه كحال من سبقوه لم يكن مقتنعاً بكونه تابعاً لسيده الملك الآشوري، لذلك بدأ يعمل للوقوف بوجه الآشوريين مستغلاً انشغال الملك الآشوري في حربه ضد مملكة اورارتو في الجهة الشمالية الشرقية من آشور والتي تمكن في النهاية من إخضاعها[3]. حيث أعلن شاتوارا الثاني ثورته، فأصبح في حل من التبعية الآشورية[4] في وقت مبكر من حكم شلمنصر الأول[5]. وهذه المرة لم تكن الثورة كسابقاتها، إذ كان هناك عامل جديد في الموقف، تمثل بالدعم الذي حصل عليه شاتوارا من قبل قبائل تعرف بقبائل الاخلامو[6]، ونعتقد بأن هذا الدعم جاء لقاء أجر مادي. كذلك حصل على مساعدة الحثيين[7]. ونرى هنا بأن الملك الحثي حاتوشيلي الثالث كان يعمل بسياسة مزدوجة فبالوقت الذي كانت له علاقات دبلوماسية مع شلمنصر الأول[8]، كان يعمل على مد يد العون لملك خانيكلبات حتى يحرر بلاده من قبضة الآشوريين وهو المطلب المهم للحثيين، لأن

---

(1) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق ، ص 386.

(2) Gelb, Op. cit., P. 81.

(3) Munn-Rankin, "Shalmanser I", P. 280.

(4) Rowton, Op. cit., PP. 10-11.

(5) Harrak, Op. cit., P. 156

(6) الاخلامو: هم موجة جديدة من القبائل الجزيرية المهاجرة التي استقرت في سوريا أواخر الألف الثاني، ويشكلون فرع كبير من القبائل الآرامية التي كان لها تأثير كبير على الشرق الأدنى القديم خلال الألف الأول ق.م. ينظر: هاري ساكز، قوة آشور، ص 79.

(7) Lukenbill, Op. cit., P. 40; Harrak, Op. cit., P. 164.

(8) هاري ساكز، قوة آشور، ص 80؛ صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 387.

ذلك إذا ما تحقق يعني خلاصهم من منافس خطير لهم. وعلى أثر هذه التطورات، وبعد أن انجز شلمنصر مهمته العسكرية في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية من بلاد آشور، بدأ يحشد جيشه للتوجه نحو خانيكلبات[1].

وتجدر الإشارة إلى أنه قبل القيام بهذه المهمة قد شن حملة عسكرية ناجحة نحو مدينة اريني (Arini)، التي تقع في بلاد موصري (Musri)، ويبدو أنها كانت تابعة لآشور، لأنه اتهمها بالتمرد. ثم بعد ذلك ألحق بلاد موصري بأكملها مع بلاد آشور[2]. وطالما يرجح بأن بلاد موصري تقع إلى الغرب من آشور، فيمكن اعتبار هذا العمل تمهيداً لإعادة السيطرة على خانيكلبات[3]، وهذا ما حدث في الحملة العسكرية اللاحقة التي استعد لها شاتوارا استعداداً جيداً، فقد تم اتخاذ معايير جيدة ومنظمة من قبل الملك الخانيكلباتي وحلفائه تنم عن خبرة في مجال الحروب، حيث تم توزيع القوات العسكرية في الأماكن الخاصة بالمياه، والطرق والشعاب الواقعة على خط سير الحملة[4]، وفعلاً نجحت هذه الخطة، حيث حوصر الجيش الآشوري عند تقدمه نحو خانيكلبات، وقاسى من التعب والعطش[5]، إلا أن ذلك لم يحدث خللاً في صفوف الجيش الآشوري الذي لم يكن أمامه سوى الانتصار للخلاص من هذا المأزق[6]، وفعلاً عندما تلاقت القوتان في معركة فاصلة تمكن شلمنصر من هزيمة الحوريين وحلفائهم في خانيكلبات هزيمة ساحقة[7]. أما شاتوارا ملك الحوريين فقد هرب من ساحة المعركة واتجه إلى الجهات القريبة من خانيكلبات[8] ليستقر في إحدى المدن هناك. وجاء ذكر هذه الأحداث في إحدى حوليات شلمنصر الأول قائلاً:

"بقيادة الآلهة العظيمة وبمجد سيدي آشور العظيم، سرت إلى بلاد خانيكلبات، تقدمت بصعوبة في طرق صعبة وممرات ضيقة، شاتوارا ملك بلاد خانيكلبات وبمساعدة جيوش حثية، والاخلامو استولوا على

---

(1) جورج رو، المصدر السابق، ص 353.

(2) Munn-Rankin, "Shalmaneser I", P. 280; Grayson, Op.cit ., P. 82; Harrak, Op. cit., P. 163.

(3) Munn-Rankin, "Shalmanser I", P. 280.

(4) Munn-Rankin, "Shalmanser I", P. 281.

(5) عامر سليمان، "الجيش والسلاح في العصر الآشوري"، ج1، ص 247.

(6) Munn-Rankin, Op. cit., P. 281.

(7) Lukenbill, Op. cit., P. 40. Maxwell, Op. cit., P. 144;

جورج رو، المصدر السابق، ص 353.

(8) Grayson, Op.cit., P. 82.

المواقع الحصينة وأماكن شرب المياه في طريقي، وبسبب العطش والتعب لجيش فقد هجم جيشهم بقوة وصلابة، فخضت غمار المعركة وأنزلت الهزيمة بهم، فقتلت أعداد لا حصر لها من جنوده المندحرين. أما بالنسبة لشاتوارا، فطاردته باتجاه الغرب. أنا ذبحت جيوشهم، وأسرت (14400) ممن أخافهم فأعميتهم وحملتهم إلى آشور[1]، استوليت على تسعة من المراكز المقدسة المحصنة بالإضافة إلى عاصمته (عاصمة شاتوارا)، وأحلت مائة وثمانين مدينة من مدنه إلى تلال من الخرائب، وذبحت جيوش الحثيين والاخلامو وحلفائهم مثل الخراف وقد متهم قرباناً للإله آشور"[2].

تبدو المبالغة واضحة في الأرقام الواردة في النص، لاسيما في أعداد المدن التي ذكر العديد منها، ويبدو أن عدد من أسماء تلك المدن قد استنسخها من نقش يعود لأبيه (ادد-نيراري الأول)[3]. ومن جانب آخر فإن إشارة شلمنصر إلى الطرق الصعبة والممرات الضيقة تعني أنه اتجه بجيشه إلى الشمال نحو منطقة طور عابدين المعروفة بوعورتها[4]، ومن هناك يتم التوغل إلى داخل خانيكلبات ليفاجئ عدوه . لكن من الواضح أن شاتوارا الثاني قد كشف الخطة فوضع جنوده على هذا الممر ليفاجئ بهم شلمنصر الأول.

على أية حال فإن شلمنصر استعاد خانيكلبات[5]، ومن أجل كبح أية محاولة للتمرد فقد ألحقها بالحكم الاشوري المباشر[6]، وتدل وثائق دور-كاتليمو (Dur-

---

(1) بغض النظر عن صحة هذا العدد من الأسرى المرحلين الذين كانوا بمعظمهم حوريين، فلابد أن لشلمنصر هدفين، الأول: تقليل نسبة شعب خانيجلبات، وبالتالي إضعافها إلى أقصى حد ممكن، وهو ما يؤمن عدم حدوث تمرد ضد آشور في المستقبل، أما الهدف الثاني هو الاستفادة من هؤلاء المرحلين كعامل اقتصادي يتمثل باستخدامهم كأيدي عاملة سواء في آشور أو المناطق الأخرى التي حصلت عليها آشور بفعل الفتوحات الخارجية ، إذ أن أغلبهم استخدم في هذه المناطق كعمال زراعة، ويكون الوارد لآشور مباشرة، أما مسألة سمل الأعين فالمقصود سمل عين واحدة وليس العينين، وإلا أصبحوا عالة اقتصادية. ينظر: هاري ساكز، <u>قوة آشور</u>، ص 78.

(2) Grayson, Op.cit ., P. 82.

(3) Wilhelm, <u>Grundzuge der</u>, P. 65.

(4) هاري ساكز، <u>قوة آشور</u>، ص 74.

(5) يرجع أن سبب التقارب المصري الحثي الذي تم بعد عقد معاهدة قادش عام 1259 ق.م التي أحلت السلام بين الطرفين هو احتلال آشور لخانيجلبات.

(6) Gelb, Op. cit., P. 81; Maxwell, Op. cit., P. 144; Bienkowski and Millar, Op. cit., P. 200.

(Katlimu)[1]، إلى أن خانيكلبات كانت تحت الحكم الآشوري المباشر في عهد شلمنصر الأول وخليفته توكلتي–ننورتا الأول[2]. والواقع أنه على الرغم من التمرد الحوري الذي حصل في عهد توكلتي– ننورتا خليفة شلمنصر، إلا أن ما قام به شلمنصر في خانيكلبات قد قصم ظهرها وأنهى وجودها كمملكة مستقلة وإلى الأبد، لتصبح مقاطعة آشورية[3]. أما شاتوارا الثاني فلم يعرف مصيره، وعلى العموم كان هو آخر ملك محارب، فلم نسمع بعد عن ملك خانيكلباتي قد قاد دولته نحو التحرر والاستقلال.

وعند تسلم الملك الآشوري الجديد توكلتي– ننورتا الأول (1233–1197ق.م) سدة الحكم كان قد ورث عن أسلافه دولة مترامية الأطراف[4]، لعل أهم ممتلكاتها كانت خانيكلبات ذات المزايا الاقتصادية والستراتيجية المهمة، ومع ذلك فإن هذا الملك لم يكتف بما ورثه عن أسلافه، بل عمد إلى فرض سلطته بصورة أكثر على المناطق التابعة له، ثم توسيع حدود دولته[5]. لذلك فإنه على الرغم من أنه ورث عن أبيه شلمنصر الأول حكماً مباشراً لخانيكلبات، إلا أننا نراه قد استمر في سياسة ترحيل سكان خانيكلبات إلى بلاد آشور والمناطق التابعة لها، وذلك إمعاناً في إضعاف هذه المملكة إلى حد كبير[6]، ومن ثم الاطمئنان على عدم قدرة هذه المملكة بعد ذلك من التمرد على آشور.

وكالسابق فإن هؤلاء المرحلين تم الاستفادة منهم في أعمال الزراعة، لاسيما في بلاد آشور عوضاً عن المواطنين الآشوريين الذين اشتغل قسم كبير منهم بالأمور العسكرية والنشاطات الإدارية في بلاد آشور، وقسم من المرحلين الذين كانت لديهم

(1) دور–كاتليمو: حالياً تل الشيخ حمد في سوريا على الضفة اليسرى لنهر الخابور على بعد حوالي 70 كم شمال شرق مركز محافظة دير الزور، ومن خلال الوثائق التي اكتشفت فيه والتي تعود إلى عصر الملكيين الآشوريين شلمنصر الأول وتوكلتي–ننورتا الأول تبين أنها كانت مقراً لحكم آشوري مرتبط بالملكين السابقين، كما أنها كانت مركزاً تجارياً هاماً. ينظر:
H. Kuhne, "Short Account of the Thirteen Excavation at Tell Sheikh Hamad", in Chronique Archeologique in Syria, Vol. I (Syria, 1992), PP. 124-125.

(2) كوزاد محمد أحمد، المصدر السابق، ص 29.

(3) Munn-Rankin, "Shalmaneser I", P. 28; هاري ساكز، عظمة بابل، ص 98.

(4) هاري ساكز، قوة آشور، ص 81.

(5) E Weidner, "Die Inschriften Tukulti-Ninurta I, und Seiner Nachfolger", in AFO, Vol. 12 (1959), P. 40.

(6) Harrak, Op. cit., P. 282; Weidner, Op. cit., P. 40.

مهارات معينة تم استغلالهم في أعمال الدولة الآشورية ومنها مشاريع البناء[(1)]، وهذا واضح من خلال وثائق دور كاتليمو، وكار توكلتي–ننورتا[(2)]، التي توضح نوع العمل المقسم على العمال المرحلين وإعدادهم، وطريقة توزيع كمية الطعام المناسبة[(3)].

ويبدو أن لهذه السياسة، والنصر الكبير لشلمنصر الأول الذي حول خانيكلبات إلى مقاطعة آشورية ردة فعل كبيرة على الحوريين الذين مازالوا يسكنون في المناطق الشمالية العليا من بلاد الرافدين، والمناطق المحيطة بخانيكلبات، فهم أدركوا أنهم فقدوا أهم جزء من بلادهم الذي من الممكن أن يوحدهم مرة أخرى. وبينما كان توكلتي–ننورتا مشغولاً في حملاته العسكرية إلى الشمال من بلاد آشور[(4)]، شكلت الدويلات والممالك الحورية الواقعة شمالي بلاد آشور حلفاً للهجوم على القوات الآشورية في خانيكلبات، من أجل استعادة خانيكلبات الحورية وطرد الآشوريين من هناك[(5)]، ومن ثم يكون الهدف الأكبر فيما لو نجح هذا المخطط هو إعادة وحدة البلاد الحورية تحت قيادة ملك خانيكلباتي جديد. أما هذا الحلف فقد تكون من الممالك التالية: الزو، اماندو، وبورولومزو، نيخانو، الايا، تيبورزو، بابخو، كدموخو، بوشو، موسو، وهذا ما ذكره توكلتي–ننورتا في كتاباته[(6)].

وقبل معرفة أحداث المواجهة بين توكلتي–ننورتا، وذلك الحلف لا بد أولاً من التعرف على مواقع تلك الممالك. والحقيقة أنه باستثناء الزو، فإننا لأول مرة نسمع عن هذه الأماكن الحورية وبهذا العدد، إذ أن هذه الممالك لم تذكر في أي من كتابات الملوك الذين تواجهوا مع الحوريين سواء الآشوريين أم غيرهم، وبالتالي صعوبة تحديد كل المواقع بدقة. فمملكة الزو هي ذاتها الشي المارة الذكر، وكدموخو تقع أعالي غرب دجلة بين دجلة وطور عابدين (جبال كاشياري)[(7)]، بينما تقع امدانو في منطقة ديار بكر الحالية، ولعل الاسم الذي كانت تحمله ديار بكر قبيل الإسلام وهو (آمد) أو

---

(1) Munn-Rankin, Op. cit., P. 281; هاري ساكز، قوة آشور، ص 78.

(2) كار–توكلتي–ننورتا: هي عاصمة توكلتي–ننورتا الجديدة التي بناها في أواخر حكمه، وتقع على الضفة الأخرى من نهر دجلة مقابل العاصمة آشور. ينظر: هاري ساكز، قوة آشور، ص 86.

(3) Harrak, Op. cit., PP. 271-272; Kuhne, "Short Account", P. 125.

(4) عامر سليمان، "الجيش والسلاح"، ج1، ص 258.

(5) Gelb, Op. cit., P. 46; Weidner, "Die Inschriffen", P. 41.

(6) Grayson, Op. cit., PP. 103-104; كوزاد محمد أحمد، المصدر السابق، ص 125.

(7) هاري ساكز، قوة آشور، ص 79.

(آميد) ما يعزز هذا التحديد[1]. وتقع بورولومزي إلى الشمال من كدموخو، ومن المحتمل أن اسم هذه المملكة مشتق من الكلمة الحورية بورلي أو بورل التي تعني معبد[2]، وما يقوي هذا الرأي أن توكلتي ننورتا الاول يذكر بشأن هذه الأحداث ، أنه سيطر على أهم مناطق الحوريين الدينية في بورولومزي. [3]ومن الممكن تحديد موقع بابخو[4] بأنها تقع على الحدود بين خانيكلبات والمملكة الحثية، وجاء هذا التحديد بناء على التحذير الذي تلقاه توكلتي–ننورتا من الملك الحثي تود خلياش الرابع بعدم مهاجمة هذه المنطقة، لأنها من ضمن أملاك الدولة الحثية، فضلاً عن حديث توكلتي ننورتا عن هذه المنطقة بأنها من المناطق الوعرة جداً[5]، وهو وصف يطابق المناطق الحدودية بين خانيكلبات والمملكة الحثية. ومن المتوقع أن مملكة بوشو تقع بالقرب من بحيرة وان، وذلك استناداً إلى الأخبار الخاصة بالملك الآشوري اسرحدون (680–669ق.م) حيث تذكر اسم هذه المملكة كإحدى المالك التي غزاها اسرحدون باتجاه بحيرة وان[6]. أما الممالك الأخرى فلا يمكن تحديد مواقعها حيث لم يأت ذكرها في النصوص الآشورية أو غيرها، ومن المتوقع جداً أنها مجاورة للمالك التي حددت مواقعها.

وعلى العموم فمن خلال مواقع الممالك التي تم تحديد أماكنها يمكن القول أن هذه الممالك امتدت على شريط حدودي يشمل الحافات الشمالية الغربية لبلاد الرافدين والشمالية الشرقية لسوريا، من بلاد الشي في أعالي نهر دجلة إلى جبال طور عابدين (كاشياري). وطالما أن هذه الممالك باستثناء الزو (الشي) لم يأتي ذكرها سابقاً ضمن الكتابات المتعددة (ميتانية، آشورية، حثية، مصرية)، فمن الراجح جداً أنها من الممالك الحورية الصغيرة جداً التي لم يكن لها تأثير في أحداث القرنين السابقين، وربما تشكلت بعد انهيار الإمبراطورية الميتانية، وتشتت الدويلات الحورية في كل من بلاد الرافدين

---

(1) كوزاد محمد أحمد، المصدر السابق، ص 163.

(2) Wilhelm, Grundzuge der, P. 66.

(3) Grayson, op.cit., PP. 103-104.

(4) ورد اسم بابخو أو بابخي في المصادر الحثية بهيئة بابانخي Papanhi وهي كلمة حورية تعني جبلي أو وعر. ينظر: كوزاد محمد احمد، المصدر السابق، ص 161.

(5) Wiedner, “Die Inschriften Tukulti-Ninurta I”, P. 41;

كوزاد محمد أحمد، المصدر السابق، ص 125.

(6) كوزاد محمد أحمد ، المصدر السابق، ص 163.

وسوريا. ولا نعرف فيما إذا كانت كل أسماء هذه الممالك هي حورية، أو أن بعضها يحمل اسماً قديماً بقي هو نفسه عندما نزح الحوريين إليها. ويبدو من النصوص الآشورية المتعلقة بقضايا الأسرى والمرحلين من هذه الممالك أنه كان هناك سكان في هذه الممالك يعيشون إلى جانب الحوريين[1]، ومهما يكن فإنه حتى إذا كان هناك سكان آخرين، فإن الحوريين يمثلون الأكثرية المطلقة استناداً إلى أعداد الأسرى والمرحلين الحوريين.

وعلى أية حال فإن هذا الحلف كان بقيادة ملك الزو الحوري المدعو ايخلي-تيشوب (Ehli-Tešup)[2]، وباستثناء هذا الملك، لم تذكر الكتابات الخاصة بتكولتي-ننورتا بقية أسماء حكام الممالك المتحالفة الأخرى.

إن عدد هذه الممالك وامتدادها على منطقة عريضة يمثل حجم المخطط الكبير ، المتمثل بانتزاع خانيكلبات، الذي يتبعه حتما إعادة الوحدة للدويلات الحورية، وبالتالي استعادة النفوذ الحوري في المنطقة من جديد. لذلك عندما علم توكلتي ننورتا بهذا الأمر كان رده سريعاً، حيث تحرك على رأس حملة عسكرية نحو منطقة جبال كاشياري، والتقى الطرفان هناك في معركة حسمت لصالح توكلتي ننورتا[3]، الذي بعد أن انتصر عليهم سيطر على أهم مناطقهم[4]، ومنها المركز الديني الذي يقع في مملكة بورولومزو[5]، كذلك أربع مدن رئيسة تقع ضمن مملكة الزو زعيمة الحلف. أيضاً ست مدن أخرى في بلاد امدانو. ثم جلب من هذه المدن الكثير من الأسرى والغنائم[6]. ويدعي الملك الآشوري إن ما تبقى من سكان تلك البلاد تم حرقهم وهم

---

(1) Harrak, Op. cit., PP. 270-272.

(2) Wilhelm, Grundzuge der, P. 66.

(3) كوزاد محمد أحمد ، المصدر السابق، ص 125؛ يدل اسم ملك الشي (تقع أعالي نهر دجلة) على أن هذه المملكة ذات أغلبية حورية، وإن القيادة بيد الحوريين.

(4) زياد عويد سويدان المحمدي، التطورات السياسية في بلاد الرافدين (العهد الآشوري الوسيط) (1365-911 ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد : كلية الآداب ، 2003)، ص 83: كوزاد محمد أحمد، المصدر السابق، ص 126.

(5) على الأرجح أن هذه المعركة قد وقعت في السنة السادسة أو السابعة من حكم توكلتي-ننورتا. ينظر: كوزاد محمد أحمد، المصدر السابق، ص ص 123-124؛ Harrak, Op. cit., P. 280.

(6) Gryson, Op.cit., P. 103-104.

أحياء[1]. أما زعيم الحلف ايخلي–تيشوب فقد فر هو ومن تبقى من عائلته وخاصته وأفراد جيشه إلى بلاد نائيري[2].

وعلى الرغم من المبالغة التي ذكرها توكلتي–ننورتا في عبارة "**ما تبقى منهم أحرقتهم أحياء**"، إلا أن سحق توكلتي–ننورتا للحوريين في هذا الحلف كان قوياً، الى درجة ان انتهى دور الحوريين السياسي في منطقة الشرق الأدنى القديم بعد هذه المعركة .

والحقيقة أنه لو قدر وانتصر ذلك الحلف لكان من الممكن أن يبرز دور سياسي للحوريين من جديد، قد يصبحوا فيه قوة كبرى تنافس الآشوريين مرة أخرى، وتشكل خطراً عليهم ربما يؤدي حتى إلى احتلال آشور ثانية، لاسيما أن آشور كانت إحدى الأسباب الرئيسة في انهيار الدولة الميتانية، وحتى إذا لم تحتل آشور فإنها في الأقل سوف تهيمن من جديد على المقدرات الاقتصادية لشمالي بلاد الرافدين، كذلك يسيطرعلى أهم الطرق التجارية التي تربط بين بلاد آشور وسوريا والأناضول. لذا فلابد من أن توكلتي–ننورتا قد أدرك ذلك، ومن أجله جيش لهذا الحلف وسحقه بقوة.

ومن دون شك فإن إلحاق تلك الممالك ببلاد آشور، واحتلال خانيكلبات التي تعد أهم تلك الممالك قد حسم النزاع بين الآشوريين والحثيين[3] في السيطرة على عدد من تلك الممالك، وأهمها خانيكلبات، ومن ثم فقد وضع هذا الأمر بيد الآشوريين التحكم بطرق التجارة المؤدية إلى سوريا والأناضول، وأضاف أراضي زراعية خصبة، وأخرى غنية بالمواد الأولية، كالأخشاب والمعادن[4]. كما أغنى بلاد آشور بالأيدي العاملة المرحلة والتي كانت البعض منها يمتلك حرفاً مهمة كصناعة المعادن والحلي، وقطع الأشجار[5]، فشلمنصر الأول كما مر بنا يتحدث عن ترحيل 14400 نسمة من

---

(1)Ibid ., P. 104.

(2) Ibid ., P. 104.

(3) كان الحثيون دائماً غير راغبين بسيطرة الآشوريين على خانيجلبات، والآن في عهد توكلتي–ننورتا كان الملك الحثي تودخلياش الرابع قد وجه انذاراً إلى الملك الآشوري بعدم التعرض إلى الممالك المتحالفة التي ذكرناها، وهو ما يعني أن ذلك الحلف قد لقي دعماً من الحثيين من أجل القضاء على الطموحات الآشورية، إلا أن ذلك لم يثن توكلتي– ننورتا عن موقفه، إذ اخضع تلك المدن لسيطرة آشور. ينظر: Munn-Rankin, "Shalmaneser I", PP. 284-285.

(4)Munn-Rankin, "Shalmaneser I"., P. 281.

(5) هاري ساكز، قوة آشور، ص 78. Kuhne, "Short Account", PP. 125-126.

سكان خانيكلبات، وابنه توكلتي-ننورتا يتحدث أيضاً عن تهجير أعداد كبيرة من خانيكلبات ومدن ذلك الحلف، فضلاً عن الأسرى.

وتجدر الإشارة إلى أن توكلتي-ننورتا قد استخدم مصطلح "بلاد سوبارتو" للإشارة في انتصاره على ذلك الحلف الحوري، كذلك يذكر بأن بلاد سوبارتو قد تمردت ضد أبيه وامتنعت عن دفع الجزية، وهو يقصد بذلك الحوريين[1]. لأننا كما نعلم بأن مصطلح سوبارتو قد استخدمه الآشوريين كمدلول جغرافي للمنطقة الشمالية من بلاد آشور، وهي على العموم كانت أماكن استقرار الحوريين، لذلك عندما يريد الآشوريين الإشارة إلى الحوريين يذكرون عبارة بلاد سوبارتو، ولهذا نرى بأن توكلتي- ننورتا عندما يذكر بأن بلاد سوبارتو قد تمردت على أبيه وامتنعت عن دفع الجزية قد انضمت إلى جانب الزو (الشي) وكونوا كل ذلك الحلف[2]، ويقصد به الحلف الحوري[3]. وقد أشار توكلتي-ننورتا صراحة إلى الحوريين في هذا الحلف عندما ذكر عبارة الأسرى الحوريين والمرحلين الذي تم استقدامهم من سفوح جبال كاشياري في إشارة إلى الحلف الحوري، وقد وجدت هذه المعلومات في وثائق كار-توكلتي- ننورتا التي توضح عملية توزيع الحصص الغذائية على الأسرى والمرحلين عن تلك الحرب[4].

وفي كل الأحوال ختاماً نقول أن ما حققه شلمنصر الأول من ضم خانيكلبات إلى أحضان الدولة الآشورية بصورة مباشرة، ثم سحق توكلتي-ننورتا لما تبقى من القوة الحورية، قد أنهيا بقايا الحكم الحوري في شمالي بلاد الرافدين، وشمالي سوريا الذي دام قرابة ثلاثة قرون، وبذلك انتهى دور الحوريين السياسي، ولم تقم لهم قائمة في منطقة الشرق الأدنى القديم إلى الأبد.

ثالثاً:

آخر الآثار

بعد انهيار مملكة خانيكلبات بشكل نهائي لم تعد المصادر الآشورية[5] تزودنا بمعلومات عن الوضع في هذه المنطقة ، إذ أنه بعد وفاة توكلتي-ننورتا الأول حلت

---

(1) Wilhelm, Grundzuge der, P. 66.
(2) Grayson, Op.cit., P. 104; Harrak, Op. cit., P. 225.
(3) Gelb, Op. cit., PP. 46-47.
(4) Harrak, Op. cit., P. 225.

(5) كما نعلم بأن الوثائق الآشورية خلال عصر خانيجلبات هي المصدر الرئيس والوحيد تقريباً الذي زودنا بالمعلومات عن تاريخ خانيجلبات.

ببلاد آشور فترة ضعف استمرت لنحو92 سنة، انتهت باعتلاء الملك تجلات بليزر الأول (1115-1077ق.م) للعرش الآشوري[1]، وفي فترة الضعف هذه كانت الكتابات الآشورية نادرة[2]، وبالتالي فقدنا المعلومات عن خانيكلبات.

وصادف في فترة الضعف الآشورية حدثان كبيران متعاقبان كان لهما الأثر الفعال في نزوح الحوريين من مناطق شمالي سوريا وبلاد كيزواتنا إلى مناطقهم الأصلية. الحدث الأول تمثل بالهجرات البشرية التي اندفعت إلى بلاد الأناضول مع مطلع القرن الثاني عشر ق.م، وعرفت تاريخياً باسم أقوام البحر[3]، وهذه الأقوام البربرية الشرسة المولعة بالقتال[4]، تمكنت من إسقاط المملكة الحثية، بعد أن أحدثت الخراب الهائل في عدد من مدنها [5]. ومن الممالك الأناضولية التي سقطت تحت أقدامها مملكة كيزواتنا[6] التي كانت حتى هذا الوقت من ضمن أملاك الدولة الحثية. ونتيجة لهذا الواقع، فقد هرب الحوريون الموجودون في كيزواتنا أمام ضغط أقوام البحر التي لا تهاب فعل الشر وقتل السكان[7]. كما أن احتلال كيزواتنا جعل هذه الأقوام[8] على مقربة من أرض خانيكلبات، ولابد أنهم شكلوا ضغطاً على الحوريين هناك بفعل غاراتهم المستمرة. فضلاً عن أن هذه الأقوام اكتسحت المناطق الساحلية السورية ومنها كركميش وأوغاريت[9] اللتان كانتا من مراكز انتشار الحوريين، مما سبب أيضاً في هجرة الحوريين من هذه المناطق.

---

(1) وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الآشورية ، ص 59.

(2) هاري ساكز، قوة آشور، ص 87.

(3) Hallo and Simpson, Op. cit., P. 116;

لمزيد من التفاصيل ينظر

R.D.Barnett, “The Sea People”, in CAH, Vol. II, Part. 2 (1975), PP. 370-378.

(4) جورج رو، المصدر السابق، ص 359.

(5) Barnett, Op. cit., P. 371; Hallo and Simpson, Op. cit., P. 116.

(6) Hallo and Simpson, Op. cit., P. 116.

(7) Ibid., P. 116.

(8) سميت هذه الأقوام بشعوب البحر لأن معظم عملياتهم العسكرية وهجراتهم جاءت من شرق البحر المتوسط، وأول من أطلق عليهم هذه التسمية هم المصريون القدماء. ينظر: جورج رو، المصدر السابق، ص 359؛ صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 459.

(9) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص ص 458-459؛ وبعد أن اكتسحت المناطق الساحلية السورية امتدت نحو فلسطين ووصلوا إلى أبواب مصر. ينظر: جورج رو، ص 359؛

Barrnett, Op. cit., P. 372

أما الحدث الثاني فتمثل باجتياح القبائل الآرامية[1] للمناطق الشمالية من سوريا[2]، ومنها خانيكلبات خلال القرن الحادي عشر ق.م، فأصبحت خانيكلبات بعد مدة وجيزة من هذا الاجتياح تحت سيطرة هذه القبائل من الناحية البشرية والناحية السياسية[3]، إذ أنه في عهد الملك الآشوري تجلات تبلزر الأول الذي مثل حكمه عودة القوة الآشورية من جديد، قد انتشرت هذه القبائل على طول المناطق الممتدة على الفرات حتى كركميش[4].

وبعد هذين الحدثين، فضلاً عن الضغط الآشوري المتواصل على الحوريين في شمالي بلاد الرافدين وخانيكلبات والذي كبدهم خسائر مادية وبشرية جسيمة، فإن الحوريين قد اختفوا من مناطقهم الكبيرة التي وجدوا فيها، وعلى أكثر الاحتمالات هم هاجروا أو بالأحرى هربوا باتجاه الشمال الشرقي إلى المناطق الجبلية الممتدة ما بين بحيرة اورمية وبحيرة وان[5]، (مواطنهم الأصلية)، وفي الواقع ليس هناك أدلة كتابية مهمة توضح كيفية عودة الحوريين إلى تلك المناطق، لكن هو أمر يمكن تصوره بطريقة مقنعة، فالحوريين الذين بدأوا بالنزوح منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر ق.م، نجد مع نهاية هذا القرن وبداية القرن الحادي عشر، أن تلك الأعداد الهائلة منهم قد اختفت من المناطق الكبرى لهم، وبالتدريج اختفى هؤلاء الحوريون ولم تبقى منهم إلا أعداد قليلة متناثرة في مناطق بلاد الرافدين وسوريا. فأين يمكن أن تكون تلك الأعداد الهائلة قد اختفت في غضون نصف قرن.

في الواقع لا يمكن اقتراح غير المناطق الجبلية المحصورة بين بحيرة وان واورمية، لأنها مناطقهم الأصلية، ولنا أن نتوقع بأن جماعات من الحوريين قد بقيت

---

(1) الآراميون: من الأقوام الجزيرية التي هاجرت من الجزيرة العربية بموجات كبيرة، واستقرت في مناطق عديدة من بلاد الشام، ولا يعرف بالضبط بداية هجرتهم إلى هذه المنطقة، لكنهم خلال القرن الثاني عشر توجهوا بأعداد هائلة نحو بلاد الشام، وجاء ذكر بعض القبائل الآرامية مثل (ألاخلامو) منذ عهد الملك الآشوري ارك-دان-ايلو (1319-1308ق.م)، وكما مر بنا فإن هؤلاء الاخلامو انضموا إلى جانب الملك شاتوارا الثاني ملك خانيكلبات في حربه ضد شلمنصر الأول. وقد ورد من عهد تجلات تبليزر الأول أول ذكر للآراميين صراحة بصيغة "الأخلامو الأراميين". وقد دخلوا في صراع مرير مع الآشوريين لاسيما في العصر الآشوري الحديث، ومع أن الآشوريين قد ضيقوا الخناق عليهم، لكنهم لم يتمكنوا من القضاء عليهم. ينظر: سومير ديونت، "الآراميون"، ترجمة البيرابونا، سومر، م 19 (1963)، ص 96 وما بعدها.

(2) H. Tadmor, “Historical Implication of the Correct Reading of Akkadion Daku”, in JNES, Vol. 17 (1958), P. 134; هاري ساكز، قوة آشور، ص 96.

(3) Wilhelm, Grundzuge, P. 66; محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 172.

(4) هاري ساكز، قوة آشور، ص 96

(5) Macqueen, The Hittites, P. 156.

في تلك المناطق ولم تتحرك أصلاً مع الحوريين في هجراتهم الأولى، فكان أولئك بمثابة حلقة وصل لعودة الحوريين. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لم يظهر الحوريين بعد هذا التاريخ في أي من مناطق الشرق الأدنى القديم وبتلك الأعداد لذلك لا يمكن القول إلا أن الحوريين قد رجعوا إلى مناطقهم الأصلية.

في هذا الوقت كانت على الأقل المناطق الجبلية المحيطة ببحيرة وان تحت سيطرة مملكة اورارتو[1]، وهذا يعني أن الحوريين الذين رجعوا إلى هذه المناطق مرة أخرى لا بد من أن كانت لهم علاقات طيبة مع الاورارتيين. وبذلك نستطيع القول أن نزوح الحوريين والعودة مرة أخرى إلى مواطنهم الأصلية قد بدأ منذ النصف الأول من القرن الثاني عشر واستمر لعقود عديدة حتى هاجر معظم الحوريين إلى هناك. وبطبيعة الحال فإن أعداد منهم وإن كانت قليلة قد بقيت في أماكنها التي كانت تسكن فيها، ثم اندمجت مع أقوام تلك المناطق سواء الآشورية أو الآرامية أو غيرها، وهذا واضح من خلال العثور على بعض من الأسماء الحورية المتناثرة في الوثائق الآشورية والآرامية[2].

يذكر لنا تجلات تبليزر الأول بعض من تلك التطورات العرقية في سياق حديثه عن حملاته العسكرية إلى المناطق الواقعة شمال وشمال شرق آشور، حيث وجد أن شعباً يدعى موشكو (Mušku) (أحد أقوام شعوب البحر) قد استقر في بلاد ألشي وبورولومزي وكدموخو[3] (تقرأ أيضاً كتموخي)، وهذه الممالك كما نعلم هي ممالك حورية.

ويبدو من خلال حملات تجلات تبليزر هذه ، أن الحوريين كانوا لا يزالون يمسكون بالمملكة الصغيرة بابخو المارة الذكر، ومملكة أخرى تقع بالقرب من بابخو، لأول مرة نسمع عنها تدعى اوراخينش (Urrahinš)، إذ يذكر أنه قبض على كيلي–تيشوب بين كالي–تيشوب ملك بابخو، وهذا الاسم هو حوري تماماً، كما أن بابخو هي كلمة حورية تعني (الجبلية)، كذلك أخذ الجزية من شادي–تيشوب ملك اوراخينش، واسم هذا الملك هو حوري أيضاً، كما أن مملكته هي الأخرى تحمل اسماً حورياً وتعني

---

(1)Macqueen, The Hittites., P. 156.
(2) Gelb, Op. cit., PP. 81-83.
(3) Harrak, Op. cit., P. 276.

يعد تجلات تبليزر الأول الملك الآشوري الوحيد لحد الآن الذي عرفنا عنه أنه استخدم اسم ميتاني، حيث ذكر أنه "قتل أربعة ثيران وحشية في أرض ميتاني". ينظر: Luckenbill, Arab, Vol. I, P. 73 وذكر هذا الاسم أثناء حملة عسكرية إلى شمالي مناطق الخابور الأعلى، والتي كانت سابقاً مركز دولة ميتاني، وكأنما يتباهى أنه قتل الثيران على أرض ميتاني التي هزمت على يد أجداده.

البلاد الجبلية[1]. وبعد حملة تجلات تبلزر هذه يظهر أن الحوريين هاجروا من هذه المناطق فلم نعد نسمع عنهم شيئاً بعد.

ومن الجدير بالذكر أنه منذ أن انهارت الإمبراطورية الميتانية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر وما تلاها من تدهور في الأوضاع السياسية للحوريين، فإن أعداداً من الحوريين قد وجدوا في بابل[2]، وهذا واضح جداً من خلال الأسماء الحورية التي بدأت تظهر في السجلات البابلية لاسيما من نفر[3]، ولا يعرف فيما إذا كان هؤلاء قد جاءوا بصفتهم مهاجرين أو عمال أو هاربين أو أسرى أو عبيداً، وأغلبهم جاءوا بدون عوائل، وعملوا بوصفهم عمالاً ذوي مكانة متدنية في بابل[4]. وفي الوثائق البابلية التي تعود للمدة من (1125–975ق.م) تم العثور فيها على أسماء قليلة جداً تعود لأفراد حوريين كانت لديهم رتب سياسية ودينية راقية[5]، ولم توضح تلك الوثائق فيما إذا كان هؤلاء مهاجرين جدد، أو من عوائل حورية مستوطنة سلفاً، وعلى العموم فإن هذه الوثائق هي آخر ذكر للحوريين في بلاد بابل، إذ لم نسمع عنهم هناك بعد.

وفي العصر الآشوري الحديث كان الملوك الآشوريين يشيرون إلى خانيكلبات كمنطقة جغرافية فقط معروفة عندهم منذ القدم[6]، في حين ان خانيكلبات كانت خلال هذا العصر تحت سيطرة القبائل الآرامية تماماً من الناحية السكانية والسياسية[7]. على أن مساحة خانيكلبات التي سيطر عليها الآراميون لم تكن بكاملها، فالأجزاء التي تمتد إلى دجلة كانت تحت سيطرة الآشوريين.

أما استخدام اسم خانيكلبات في هذا العصر فقد ورد في الوثائق الخاصة بالحملات العسكرية لملوك الدولة الآشورية الحديثة، سواء ضد الآراميين في خانيكلبات، أو غيرها عبر أرض خانيكلبات إلى جنوب الأناضول أو داخل سوريا، فيذكر ادد–نيراري الثاني (911–891ق.م) أنه زحف إلى خانيكلبات ست مرات، ويتحدث آشور–ناصربال الثاني (883–895 ق.م) عن جزية دفعتها خانيكلبات[8]، ويذكر شلمنصر الثالث (858–824 ق.م) أنه عبر كل أرض خانيكلبات[9]، وكان آخر ملك آشوري ذكر خانيكلبات كقائد حملة عسكرية إلى هناك هو اسرحدون

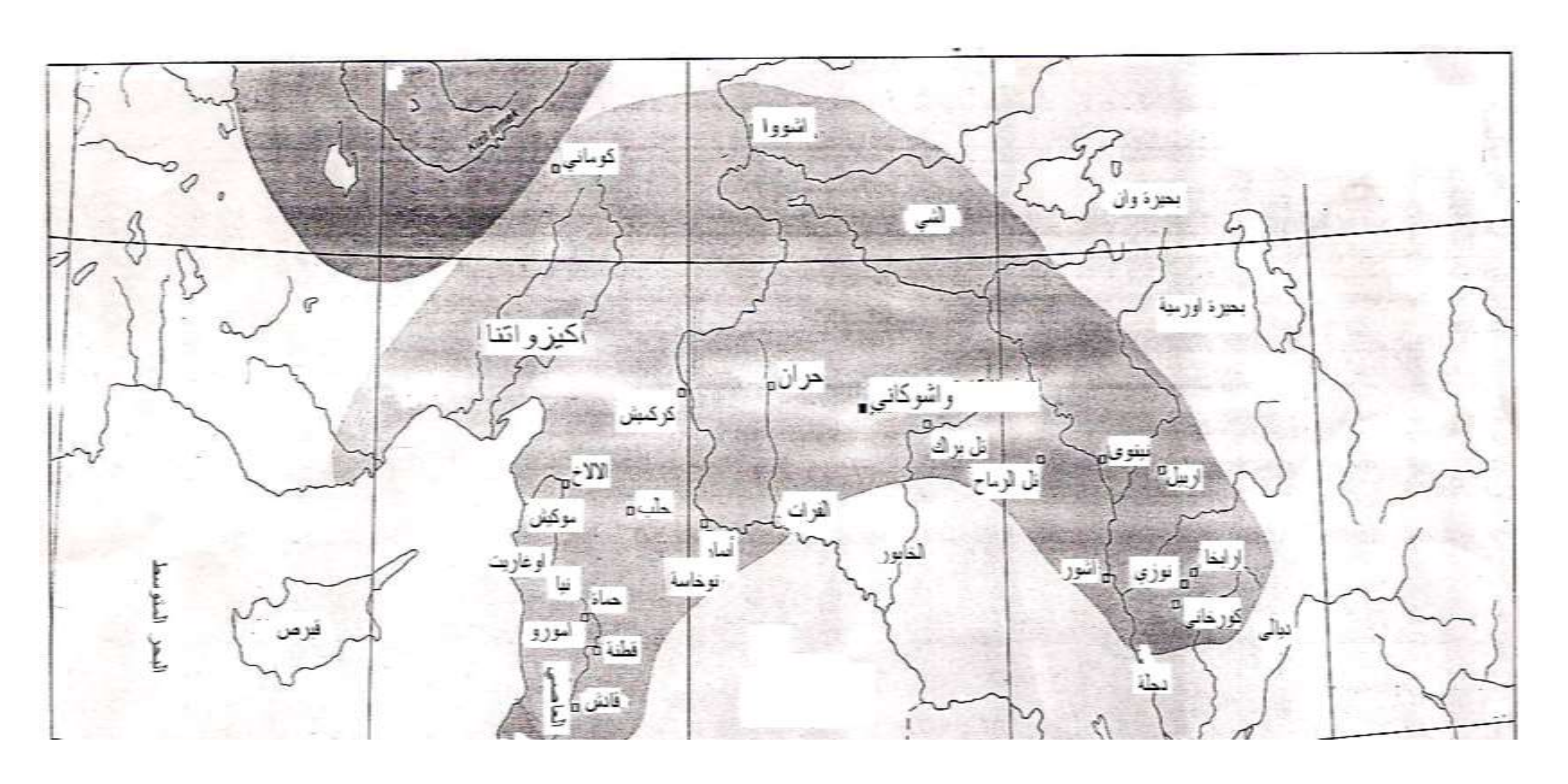
---

(1) Wilhelm, Grundzuge der, P. 67; Gelb, Op. cit., P. 82.
(2) J. A. Brinkman, "Hurrians in Babylonia in, PP. 28-30.
(3)Ibid., P. 35.
(4) J. A. Brinkman ,op.cit ., P. 35.
(5) Ibid., P. 35.
(6) Gelb, Op. cit., P. 81.
(7) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المصدر السابق، ص 172.
(8) Gelb, Op. cit., P. 81.
(9) Harrak, Op. cit., P. 277.

(680- 669 ق.م)[1]. ولم نعد نسمع عن هذا الاسم بعد إطلاقاً في كافة مدونات الشرق الأدنى القديم.

وهكذا انقرض كل شيء يذكرنا بميتاني، وليغيب بعدها الحوريون وكل ما يتعلق بهم في ظلمات التاريخ.

(1) Gelb, Op. cit., P. 81.



الامبراطورية الميتانية في أقصى اتساعها

الخارطة من عمل الباحث بالاعتماد على:

-March, Michael, Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near East ,p.134

إن الحديث عن الجانب الحضاري لدولة ميتاني يقودنا بالضرورة إلى استخدام مصطلح حوري والحوريين بالدرجة الاساس بدلا من اسم ميتاني ، كون الأخير هو تعبير سياسي استخدم في وقت معين فقط من تاريخ الحوريون بشكل عام، فضلاً عن أن الحوريين هم أصحاب الحضارة الفعليين ويمثلون الغالبية العظمى من سكان دولة ميتاني، أما تلك الفئة الهندوآرية التي قادت الدولة الميتانية فلم تأت بشيء مهم من الحضارة، ولا يمثل سكانها إلا نسبة بسيطة جداً في المجتمع الحوري.

لقد جاء الحوريون بحضارة راقية امتازت بأصالتها وتنوعها في جوانب عديدة بانت معالمها منذ أن استقر الحوريون في بلاد الرافدين أواخر الألف الثالث ق.م. وعلى الرغم من أنها تأثرت بحضارة الموطن الجديد الذي حلت فيه (حضارة بلاد الرافدين وسوريا) إلا أنها حافظت على أصالتها، والأكثر من ذلك هو أن تنوع مظاهر هذه الحضارة ، وبراعتها كان لها بالغ الأثر في أن تتأثر بها عدد من حضارات الشرق الأدنى القديم ، لاسيما الحضارة الحثية.

والواقع إن ما تم العثور عليه من نصوص حورية متعلقة بالجانب الحضاري قليلة بشكل عام، كما أن الشواهد المادية باستثناء الفخار هي الأخرى قليلة جداً، لكن على قلة هذه النصوص والشواهد، فضلاً عن شواهد تأثيرات الحضارة الحورية التي استقيناها من الحضارات المجاورة الأخرى ، ومنها الحثية التي زودتنا بمعلومات مهمة عن الجانب الديني الحوري تمكنا من تكوين صورة مهمة عن الحضارة الحورية ، وتأثرها وتأثيرها بالحضارات المجاورة.

المبحث الأول

الحياة الاجتماعية والاقتصادية

أن دراسة ما يتعلق بالنظام الاجتماعي والاقتصادي، بما فيها المؤسسات الإدارية والأنظمة القانونية جاءت دراسة جزئية وليس شاملة، بمعنى أن المعلومات المتعلقة بهذا الجانب جاءت من مناطق حورية معينة فقط، كما أن ليس كل المدن التي سكن فيها الحوريين وتم العثور فيها على وثائق سواء كتابية أو مادية قد قدمت توضيحاً لهذا الجانب[1]، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فإن الحوريين كانوا في أغلب الأحيان يعيشون مختلطين مع سكان المدن التي استقروا فيها سواء في بلاد الرافدين أو سوريا، وكانت نسبهم باستثناء نوزي والالاخ هي أقل من نسبة السكان الأصليين، ومن ثم صعوبة التعرف على الممارسات الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بهم في تلك المدن، لذلك نرى بأن هذه الجزئية هي ليست بالضرورة مثالية لكل مناطق الحوريين.

وبصورة عامة كانت الزراعة وتربية الحيوانات المصدر الرئيس للعيش عند الحوريين[2]، ويستنتج من دراسة الأساطير والطقوس الدينية الحورية ، أن الصيد كان الوسيلة الأساسية للحصول على الغذاء عندهم في عصور ما قبل التاريخ[3]، وكانت المناطق التي تمركز فيها الحوريين بشكل رئيس، ونعني بها شمالي بلاد الرافدين وشمالي سوريا تمتع بسقوط أمطار كافية لزراعة المحاصيل الشتوية[4]، ولهذا كانت زراعة الحوريين تعتمد بشكل رئيس على الأمطار، ولم يكن للسقي دور مهم عندهم، ولذلك نجد أن المناطق الزراعية الحورية في القرى خالية من مشاريع الإرواء[5].

والحقيقة أن ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية، والأنظمة القانونية والإدارية للحوريين تظهر على الوجه الأفضل في الأرشيف الذي كشف عنه في

---

(1) Mieroop, Op. cit., P. 144; Bienkowski and Millard, Op. cit., P. 150.
(2) Mieroop, Op. cit., P. 144.
(3) Wilhelm, Grundzuge der, P. 71.
(4) تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا ، المصدر السابق، ص ص 39–40. لاشك أن هجرة الحوريين واستقرارهم في مناطق شمالي بلاد الرافدين وشمال سوريا بشكل رئيس جاء نتيجة توفر الظروف المناخية الملائمة والأراضي الخصبة التي لا يمكن مقارنتها مع مواطنهم الأصلية في المناطق الجبلية.
(5) Wilhelm, Grundzuge der, P. 71.

مقاطعة ارابخا([1]) (كركوك حالياً) الذي يعود للقرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م، وذلك في مدنها الثلاث (نوزي، ارابخا، تل الفخار) ويعد أرشيف مدينة نوزي ذات أغلبية السكان الحوريين المصدر الرئيس عن هذا الموضوع . فضلاً عن ما وجد في موقعي ارابخا وتل الفخار غير البعيدتين عن نوزي(2). لذلك فإن دراسة هذا الموضوع سيعتمد بالدرجة الأساس على هذا الأرشيف(3)، وبدرجة أقل جداً على ما هو متوفر من أدلة كتابية من مراكز انتشار الحوريين الأخرى.

تتألف رقم نوزي العائدة للحوريين من أربعة آلاف لوح ذات مضامين مختلفة أهمها ثلاثة مجاميع رئيسة من الوثائق(4) التي تفسر لنا الوضع الاجتماعي والاقتصادي والإداري والقانوني عند الحوريين في ارابخا بشكل عام ، وبديهي أن عدد من ظواهرها لم تكن تختلف عما موجود في بقية بلاد حوري.

المجموعة الأولى تعرف باسم مجموعة ماروتو Marutu، وهي خاصة بالتبني، الذي يقسم إلى نوعين: الأول التبني الاعتيادي، وهو أن يتبنى الزوجان لشخصاً شاباً يساعدهما في أعمال الحياة اليومية، لاسيما زراعة الحقل، ويحدث ذلك عندما لا يرزق الزوجين بأولاد، أو يتقدم بهما السن ، وتتم هذه العملية على وفق صيغة قانونية قائمة على إبرام عقد بين المتبني والمتبنى أمام شهود يتعهد فيه المتبنى أن يوفر لأبيه كل

---

1 – معروف لدينا لحد الآن ثمان ملوك من مقاطعة ارابخا وهم كلا من :1– آرشالي (Ar-šali)2– اتخيا(Ithija)3–اتخي تيشوب(Ithi_tšup) 4– اتخي تيلا(Ith-tilla)5– كب– تيشوب(kip-tešup)6– موشتيا(Mušteia)7–شار –تيشوب(Šar-tešup)8-تارمي-تيشوب(Tarmi-tišup).وقد يكون عدد هؤلاء الملوك سبعة اذا ما كان الملك اتخيا والملك اتخي تيشوب هما شخصا واحدا ، وعد الملك اتخي تيشوب ابن الملك كب-تيشوب وهذا ما تم معرفته من خلال ختم عثر عليه في ارابخا يحمل الكتابة التالية ((اتخي_تيشوب ابن كب-تيشوب ملك بلاد ارابخا ...)) اما باقي الملوك لا يمكن تحديد تسلسلهم وفق تسلسل الاب والابن . ومن جانب آخر فقد امكن تحديد نحو 200 سنة لتاريخ مملكة ارابخا (1450-1250) او (1400-1200ق.م) ، وتعد نوزي المركز الاداري لبلاد ارابخا .ينظر: A.Fadhil, studien zur topographie und prosopographie der provinz Stadte des Konigreichs Arraphe (Berlin,1983), PP.1-2.

(2) Bienkowski and Millard, Op. cit., P. 150.

(3) على الرغم من العثور على عدد من الوثائق في موقعي ارابخا وكوروخاني إلا أنها تقد ضئيلة جداً قياساً لأرشيف نوزي، وبالنسبة لموقع ارابخا كان من الممكن أن يقدم لنا وثائق مهمة تتعلق بالحياة اليومية عند الحوريين قد لا تقل أهمية عن أرشيف نوزي، غير أن عاصمة ارابخا التي تعرف باسم (إل–ايلاني) لم يتمكن من إجراء التنقيب فيما بسبب قيام الدور الحديثة المزدحمة فوق هذا التل. ينظر: روفائيل ميناس، المصدر السابق، ص 325.

(4) بهيجة خليل إسماعيل، "نبذة عن الكتابات المكتشفة في نوزي"، ص 66.

مستلزمات الحياة اليومية من مأكل ومشرب وملبس، وبالمقابل يتعهد الأب المتبني بأن يحول جزءاً من ميراثه إلى المتبنى، أما إذا لم يكن له أولاد أصلاً فيحول كل ميراثه إلى المتبنى[1]. أما التبني الثاني فهو التبني من أجل الحصول على الأرض أو العقار، إذ أن بيع الأرض كان ممنوعاً في نوزي وارابخا وتل الفخار ، فقد حصرت الأرض داخل نطاق العائلة الواحدة يتوارثونها فيما بينهم مع السماح لشراء الأراضي بين أفراد العائلة نفسها[2].

ويظهر أن معظم الأراضي في مقاطعة ارابخا كانت ملكاً للقصر الملكي ، ولكنها كانت تمنح للعوائل على وفق نظام التمليك بالالتزام، أي أنها توزع على العوائل كملك لها يزرعونها ويدفعون عنها الضرائب للقصر الملكي[3]، لكن ليس للعائلة حق بيع الأرض لشخص من خارج العائلة ذاتها، وبالتالي حضر بيع الأراضي على اعتبار أنها ملك خاص بالقصر[4]. ومن أجل التغلب على هذه المشكلة فقد تم الالتفاف على القانون بطريقة قانونية أخرى، فالشخص الذي يريد بيع قطعة من الأرض يتبنى الشخص المشتري شكلياً ، ويعطيه قطعة من الأرض وكأنها حصته من الميراث، وبالمقابل فإن الشخص المتبنى يدفع ثمن القطعة[5]، وجاء التعبير عن هذا الثمن في نصوص نوزي باسم هدية[6]، ولا شك أن بيع الفلاحين لأراضيهم على هذه الشاكلة هو لحاجتهم الماسة إلى المال[7]. والحقيقة مع أن المشتري الجديد قد أصبح عضواً جديداً في العائلة بصورة خاصة ومجتمع القرية بصورة عامة، وإن الأرض التي اشتراها صحيح قد أصبحت ملكه، لكنها كانت تزرع في أغلب الأحيان من قبل أفراد العائلة

---

(1) بهيجة خليل إسماعيل، "نبذة عن الكتابات المكتشفة في نوزي" ، ص 66؛ ادوار كييرا، كتبوا على الطين، ترجمة محمود حسين الأمين (بغداد، 1962)، ص ص 205–207.

(2) يانكوفسكا، "المجتمع العائلي الموسع والحكم الذاتي في ارابخا"، ضمن كتاب العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، تأليف مجموعة من علماء الآثار السوفيت، ترجمة سليم طه التكريتي، ط2 (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامه، 1986)، ص ص 365–366.

(3) تعرف الضريبة المفروضة على هذا النوع من الأراضي (إلكو)، ويبدو أنها كانت سائدة في العصر البابلي القديم كجزء من القانون الزراعي، وقد طبقها الحوريين بعد ذلك. ينظر:

Wilhelm, Grundzuge, P. 75

(4) يانكوفسكا، المصدر السابق، ص 365.

(5) هاري ساكز، قوة آشور، ص 188.

(6) Mieroop, Op. cit., PP. 144-145.

(7) لم يكن هذا النوع من التبني معروفاً في بلاد آشور قبل قدوم الحوريين. ينظر: ساكز، قوة آشور، ص 188.

الأصلية مقابل حصة من الإنتاج، وبالتالي ظلت الاستفادة قائمة[1]، لكن بالتدريج أصبح هناك ملاك كبار قد استغلوا حاجة الفلاحين الفقراء إلى المال، حيث كان إقراضهم المال للفلاحين مرهوناً بشرط تبني الفلاح لهذا المالك أو ذاك، ومن ثم سيحصل المالك على قطعة من الأرض لقاء مبلغ القرض، أو أنه سيحصل على جزء من الميراث، أو الميراث كله إن لم يكن لذلك الفلاح أولاد[2]. وبمرور الزمن ، ونتيجة لحاجة إعداد من الفلاحين للمال بصورة مستمرة ، فإنه كان يبيع أرضه جزءاً تلو جزء حتى تتحول بأكملها إلى ذلك المالك (المتبنى الجديد) ويصبح الفلاح صاحب الأرض الفعلي أجيراً لدى المالك[3]. ويبدو أن هذا النوع من التبني كان شائعاً إلى درجة أن نصوص نوزي وتل الفخار قد تناولت هذا الموضوع بكثرة[4].

المجموعة الثانية من الرقم تعرف باسم تيتينوتو Titenutu، وهي عبارة عن مستندات رهن وقروض طويلة الأمد، وفيها يمكن للشخص أن يحصل على القرض بفائدة، لكن بالمقابل عليه أن يقوم بدفع الفائدة حتى يتم تسديد مبلغ الدين الأصلي، أو ان يحصل على القرض بطريقة الرهن ، وهو أن يرهن ملكية سواء أرض أو عقار وتكون تحت تصرف الدائن يستفاد منها حتى يتم تسديد كامل مبلغ القرض أو الرهن [5]. ومثال على ذلك المستند الآتي: الشخص الأول أعطى قطعة من الأرض إلى الشخص الثاني لمدة أربع سنوات، وقد تسلم مقابلها كمية من الحبوب وثوراً واحداً بصحة جيدة عمره خمس سنوات، وإناء من النحاس يزن ثمان منات (وحدة وزن قديمة). إذا انقضت السنوات الأربع على الشخص الأول أن يعيد جميع ما تسلمه إلى الشخص الثاني ويسترجع قطعة الأرض، كتبت اللوحة أمام الشهود[6].

وقد عمل كثير من الفلاحين ممن رفضوا الاستسلام لأمر التبني ، وما يسببه لهم من فقدان لأراضيهم بهذا النوع من القروض، حيث كان يرهن حقله ضماناً

---

(1) المصدر نفسه، ص 188.

(2) ادوارد كييرا، المصدر السابق، ص 207.

(3) هاري ساكز، قوة آشور، ص 189.

(4) بهيجة خليل اسماعيل، "نبذة عن الكتابات"، ص 66.

(5) يانكوفسكا، المصدر السابق، ص 365.

(6) بهيجة خليل اسماعيل، المصدر السابق، ص 67.

للتسديد، وهنا تحول الحقل مباشرة تحت تصرف الدائن يقوم بزراعته والاستفادة منه[1]. ونـادراً مـا كـان الفـلاح يستطيع سداد دينـه فـي الوقـت المحـدد ، وعندئـذ يكـون أمامـه خيارين ، إما يفقد حقله أو يقترض مرة أخرى، وقد نتج عن ذلك نظام الاستعباد، لأن الفـلاح الـذي يعجـز عـن سـداد دينـه يتحـول هـو أو عائلتـه إلـى عبيـد تحـت تصـرف الملاكين[2].

هذا وقد وصلنا من مدن ارابخا وثائق غنية بالمعلومات عن ملاكي الأراضـي الكبار وكيف حصلوا على تلك الأملاك ، منها وثائق تعود لمالك كبير يدعى تيخيب-تيلا (Tehip-Tilla) وورثته. ووثائق تخص مالك آخر يدعى شيلوا-تيشوب (Šilwa-Tešup). كان تيخيب-تيلا يحتل منصباً هاماً في القصر الملكي، ومن خـلال الوثائق القانونيـة العائـدة لـه أمكن معرفة كيفية تجمـع الأمـلاك لديه ، وذلك عن طريـق الإرث بـالتبني، أو الإقراض[3]، وكانـت أملاكـه تشمل دور ومـزارع وبسـاتين التـي قسم كبيـر منهـا يقـع فـي نـوزي، والبـاقي فـي القرى المجـاورة[4]، وفـي إشـارة إلـى إمكانياتـه الماديـة يذكر تيخيب-تيلا أنه قد تبني خمسين مرة من قبل الناس الذين أصبحوا بعدها فلاحوه المستأجرون ، بسبب فقدانهم أراضيهم[5]. ولم تكن أمـلاك شيلوا-تيشوب وهو أحد أمراء العائلة الحاكمة في مقاطعة ارابخا[6]، التي حصل عليها بالقرض أو التبني بالإرث أقل مـن أمـلاك تيخيـب-تيـلا، وفضـلاً عن العقارات كـان يملك أعداد كبيرة من الخـراف ، والماعز التي كان ضمن ما يؤخذ منها الشعر إذ يقوم بتصنيعه، وكانت الإماء وبدرجـة أقل العبيد من يقومون بهذه المهمـة، حتـى وصـل عدد العاملين لديه إلـى 240 عـاملاً بين أمة وعبد مـع أطفالهم، وكـانوا مقسمين علـى أربعـة دور من العمـل، ويتم إطعامهم من محاصيله الخاصة[7]. هذا وكان الملاكين الكبار يستفيدون من خبرات القصـر فـي

---

(1) ادوارد كييرا، المصدر السابق، ص 207.

(2) أدوارد كييرا، المصدر السابق، ص 207.

(3) Wilhelm, Grundzuge der, P. 78.

(4) أدوارد كييرا، المصدر السابق، ص 204.

(5) Mieroop, Op. cit., P. 145.

(6) سالم الآلوسي، المصدر السابق، ص 200.

(7) Wilhelm, Grundzuge der, P. 80.

الجوانب التنظيمية وأساليب الاستثمار الاقتصادي الأمثل[1]، فهؤلاء الملاكين كانت لهم علاقات مع القصر، وبعضهم تربطهم علاقة النسب مع أفراد العائلة الحاكمة كما في حالة تيخيب-تيلا، وشيلوا-تيشوب[2].

هذا وكانت هناك طبقة أخرى ذات امتيازات خاصة تحسب ضمن طبقة الملاكين الكبار لكنها أعلى منهم درجة اجتماعية وأقل منزلة من الطبقة الحاكمة، تلك هي طبقة الـ(مارياني أو ماريانو Marianu) ، فهذه الطبقة كما أسلفنا تميزت بوظيفتها العسكرية المهمة القائمة على امتلاك الخيل والعربة الحربية للقتال (فرسان)، ونتيجة لمركزها المهم في المجتمع كان أصحابها يمنحون قطع من الأراضي ملكاً لهم يتم زراعتها بواسطة أسر كبيرة أو صغيرة، وفي أكثر الأحيان يشاركها مجموعة من العبيد، وكان جميع ناتج الأرض لهم[3].

ثم أخذت هذه الطبقة تقوم بعلمية الإقراض المادي للفلاحين، وكالعادة فإن الفلاحين كانوا يضعون أراضيهم تحت تصرف أفراد هذه الطبقة حتى يتم تسديد الدين، ومن لم يستطع فإنه يخسر أرضه التي رهنها، وهكذا تحولت هذه الطبقة أيضاً إلى ملاكين كبار على حساب الفلاحين الفقراء[4]. ومن الجدير بالذكر إن شرف الانتماء لطبقة المارياني في مناطق ارابخا كان مرهوناً بامتلاك الخيل والعربة الحربية الباهظة الثمن، بينما كانت المناطق الحورية الغربية (سوريا) قد تحررت من هذا الشرط حيث أصبح الانتماء فيها صفة اجتماعية وراثية[5].

ومن خلال مجمل الفعاليات الاقتصادية التي تقدمت يمكن تقسيم المجتمع الحوري في بلاد ارابخا إلى الطبقات الآتية:

---

(1) كان في منطقة ارابخا عدد من القصور الملكية الصغيرة المرتبطة بالقصر الملكي الرئيس، وكان من مهام هذه القصور القيام بالإشراف على الأراضي الزراعية المنتشرة في القرى المحيطة بهذا القصر أو ذاك، كما تقوم بإجراء احصاءات دورية لعدد السكان لتحسب بالضبط كم الضريبة المفروضة على الفلاحين، أو أعمال السخرة التي يمكن أن يفرضوها عليهم. ينظر: Mieroop, Op. cit., P. 144

(2) Wilhelm, Grundzuge der, P. 80.
(3) Ibid., P. 72.
(4) Ibid., P. 72.
(5) Ibid., P. 72.

أ- الطبقة العليا الحاكمة والتي كان لها قوة النفوذ والسيادة على القرى الزراعية، وتأخذ حصة من الإنتاج الزراعي باعتبارها جزء من القصر الملكي[1]، ويدخل ضمنها موظفو القصر الملكي الكبار.

ب- طبقة المارياني ذات النفوذ والأملاك الواسعة[2].

ج- طبقة الملاكين الكبار والصغار الاعتياديين.

د- طبقة الفلاحين الأحرار، وسائر الحرف الاعتيادية الأخرى.

هـ- طبقة العبيد سواء منهم العبيد الحوريين أو العبيد الذين تم شراؤهم من الخارج[3].

كما تدل تلك الفعاليات الاقتصادية على أن الزراعة هي المهنة الرئيسة عند الحوريين، ثم تأتِ بعدها تربية الحيوانات، على أن المردود الزراعي في بلاد ارابخا كان لصالح الملاكين، بالدرجة الأكبر، بينما انتشر الفقر المدقع بين الفلاحين الصغار الأحرار للأسباب آنفة الذكر.

وإلى جانب الزراعة فقد مارست فئة من الحوريين مهنة التجارة، لكنها تعد قليلة قياساً إلى مهنة الزراعة، ومع أننا نمتلك أدلة على ممارسة الحوريين للتجارة منذ وقت مبكر من دخولهم لبلاد الرافدين، إلا أنه لا تتوفر معلومات واضحة عن حجم تلك التجارة وعدد العاملين فيها. ففي أواخر العصر الأكدي كان هناك عدد من الأشخاص الحوريين الذين يسكنون في المناطق الشمالية الشرقية من بلاد الرافدين يتاجرون بالملابس مع سكان المنطقة الجنوبية في بلاد الرافدين[4].

وفي عصر ما يعرف بالمستوطنات التجارية الآشورية في بلاد الأناضول التي تعود إلى النصف الأول من الألف الثاني ق.م، نعرف من خلال الوثائق الآشورية التي أتت من تلك المستوطنات بأن هناك عدد من التجار الحوريين الذين كانوا

---

(1) كانت محاصيل الحبوب والمنتجات الزراعية الأخرى الواردة إلى القصر توزع داخل القصر ومن أبرز مستهلكيها: أ. الملك والموظفون الكبار، والسفراء الأجانب وخيولهم. ب- الأميرات والأمراء، ومغنيات القصر اللواتي كان عددهن كبيراً، وكان يقمن بأعمال النسيج أيضاً. ج- العبيد الذين كان قسم كبير منهم يعمل في مجال تصنيع الصوف. ينظر: Wilhelm, Grundzuge der, P. 76

(2) تؤلف هذه الطبقة عددا كبيراً أكبر من الطبقة العليا الحاكمة. ينظر: Wilhelm, Grundzuge, P. 72

(3) تمثلت مهام العبيد على أعمال الخدمة وممارسة الحرف، والأعمال الزراعية، ورعي الحيوانات. وكان أهم مصدر خارجي للعبيد هي بلاد اللولوبيين في جبال زاكروس شمال شرق بلاد الرافدين، أما في الداخل فكان يعتمد على العبيد الحوريين. ينظر: Wilhelm, Grundzuge der, P.80

(4) March, Cultural Atlas, P. 108.

يتاجرون على قدم المساواة مع التجار الآشوريين، وكانت تجارتهم تشمل بشكل أساس الحبوب والمنتجات الزراعية المختلفة[1]. ونعرف من منطقة ارابخا أن هناك تجاراً حوريون لكنهم كانوا مرتبطين بالقصر كعمال يقومون بتصدير منتجات القصر والتي يأتي على رأسها النسيج، ويستوردون المواد الغذائية، والصوف الملون[2]، ومع ارتباط هؤلاء التجار بالقصر، إلا أنهم كانوا يأتون أحياناً ببضائع أوصاهم بها الناس، كما يقومون ببيع العبيد خارج مدن ارابخا[3]. ولا شك أن منطقة خانيجلبات مركز الدولة الميتانية ذات الموقع الستراتيجي الهام الذي يربط بين بلاد الأناضول وسوريا وبلاد الرافدين قد منح وشجع الحوريين على التجارة، غير أنه ليست هناك وثائق من هذه المنطقة توضح طبيعة تلك التجارة، لاسيما أن العاصمة الملكية واشوكاني في خانيجلبات مازالت مفقودة، ويمكن توقع أن التجار الحوريين في خانيجلبات قد مارسوا عدة أنواع من التجارة بحكم موقع خانيجلبات، سواء تجارة الحبوب أو الملابس أو المعادن أو الأحجار الثمينة وغيرها.

فضلاً عن الزراعة والرعي والتجارة، فقد مارس الحوريون مهناً وحرفاً أخرى، فهناك عدد من أصحاب الأموال الحوريين من يمتلك ورشاً لصناعة النسيج أو النجارة يعمل فيها أناس حوريون، كما كان القصر الملكي في ارابخا يمتلك مثل هذه الورش يقوم أفراد حوريون سواء الأحرار منهم أو العبيد بالعمل فيها[4]. فمن قصر نوزي مثلاً وردت قائمة بأسماء العمال تذكر 83 شخصاً، منهم 32 نساجاً، وثلاثة نجارين، وثلاثة حدادين، فاخوريان (صناعة الفخار)، وأربعة كتاب، سلّالان، فضلاً عن عدد من الطباخين والخبازين وصانعي الجعة والرعاة والبستانيين[5].

من جانب آخر، نجد أن أعداداً من الحوريين كانوا يعملون بصفة عمال لمختلف المهن في المناطق التي هاجروا إليها لقاء أجر معين من أصحاب تلك المناطق الأصليين، أو عبيد تم شراؤهم، وعدد منهم كان يقوم بأعمال السخرة الإجبارية على اعتبار أنهم من أسرى الحروب، وبالمقابل فإن تأثير الحوريين كان واضحاً في مختلف المناطق التي استقروا فيها، حيث نجد بعض منهم قد شغل مناصب مدنية مهمة لدى حكومات تلك

---

(1) Ibid., P. 108;

سامي سعيد، "المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى"، ص 76؛ ولمزيد من التفاصيل ينظر: الصفحات34-36 من الأطروحة.

(2) Wilhelm, Grundzuge der, PP. 76-77.

(3) Ibid., PP. 76-77.

(4) Ibid., P. 76.

(5) Ibid., P. 76.

المناطق ، كأن يكون كاتباً في القصر الملكي، أو موظف إداري في القصر، أو مشرفاً على أحد أجنحة القصر، وكل ذلك قد مر بنا في ثنايا الأطروحة.

المجموعة الثالثة:

تتعلق بالقضايا الإدارية والنصوص القانونية وتشريعاتها، ونمتلك بعض الوثائق التي توضح هذا الأمر سواء من أرشيف نوزي، أو المناطق الحورية الأخرى. فبالنسبة للنظام الإداري كان الملك هو الرئيس الأعلى، وبصفته زعيم الدولة كان يجمع بين الوظائف الإدارية والتشريعية والقانونية[1]، وهو كبير القضاة والقائد العسكري أيضاً[2]. فنحن لاحظنا أن كل المعارك التي خاضها الحوريون سواء في عصر الدويلات الحورية، أو في عصر الدولة الميتانية عندما أصبح الحوريون تحت قيادة ملك واحد، إن المعارك كانت بقيادة الملوك، كما وجدنا أكثر من نص قانوني يحمل توقيع الملك، وهذا يعني أن للملك الكلمة الفصل سواء في القضايا التشريعية أو الأحكام القضائية. ومن بين الوظائف الإدارية التي كان رؤسائها يساعدون الملك على إدارة الحكم في نوزي.

أ- شاكين ماتي. ب- سوكالو (هذين المصطلحين باللغة الأكدية): ومهمة أصحاب هاتين الوظيفتين كانت بمثابة وزراء للملك، لكن لم توضح النصوص طبيعة عمل هاذين الوزيرين[3].

ج- خالزوخلو[4]: هو رئيس الحصن، وكان هذا أحياناً يشارك جلسات القضاة للبت في الدعاوى القضائية[5].

د- خازانو: مهمة صاحب هذه الوظيفة هو مدير للمنطقة، ونقرأ في أحد الأوامر الملكية الموجهة إلى مدير المنطقة، أنه عليكم أخذ الحيطة والحذر تجاه اللصوص، والهجمات المعادية، والقبض على الهاربين من ارابخا[6].

وعلى وفق هذا النظام الإداري تكون إدارة المدن الحورية بواسطة موظفين حوريين مرتبطين بالملك شخصياً ويستلمون الأوامر منه. أما عن إدارة المقاطعات التي خضعت لسيطرة الدولة الميتانية وكيفية إدارة الحكم فيها، فقد لاحظنا من خلال سير

---

(1) Wilhem, Grundzuge der, P. 77.

(2) يانكوفسكا، المصدر السابق، ص 363.

(3) Wilhelm, Grundzuge der, P. 77.

(4) خالزوخلو هو مصطلح باللغة الأكدية، وبالحورية حالزوأوخلو. ينظر: يانكوفسكا، المصدر السابق، ص 362.

(5) المصدر نفسه، ص 362.

(6) يانكوفسكا، المصدر السابق، ص 362؛ Wilhelm, Grundzuge der, P. 77.

الأحداث السياسية أن ملوك ميتاني كانوا عندما يفتحون المدن في سوريا أو غيرها يطلبون في أغلب الأحيان منها فقط عهد الولاء ودفع الجزية، ويتركون لها جزء كبير من الاستقلال ، لاسيما فيما يتعلق بسياستها الخارجية ، شريطة أن لا تتناقض تلك السياسة مع مصالح السيد الميتاني الأعلى. وكان من مهام الملك الميتاني تجاه الإمارات التابعة له ، هو البت في القضايا المهمة التي تخص تلك الإمارات ، كفض النزاعات الداخلية ، أو الخارجية التي تنجم عن مشاكل مع الإمارات الأخرى المجاورة، وبالمقابل كان على حاكم المدينة أو الإمارة التابع أن يرسل الهدايا والجزية باستمرار ، وأن يتكفل بإطعام الجنود الميتانيين إن وجدوا في مدينته[1].وفي كل الأحوال فإن النظام الإداري الذي استندت إليه الدولة الميتانية كان أقل متانة وتنظيماً مما كان عليه في بلاد الرافدين ومصر[2]، إذ أنها لم تطبق سيطرتها بشكل قوي ومباشر على المناطق التي سيطرت عليها، ولعل ذلك كان أحد الأسباب المهمة التي أدت إلى تفكك الدولة الميتانية، ومن ثم انهيارها.

وفيما يخص الجانب القانوني وما يتعلق به، فإنه على الرغم من أنه لم تصلنا قوانين حورية مدونة، إلا أنه قد جاءتنا من نوزي مجموعة من النصوص تحمل قضايا قانونية وأحكام قضائية تدل على أن الحوريين كانوا متحضرين في هذا الجانب ، إذ كانوا يستخدمون القانون في شؤون حياتهم اليومية المختلفة[3]، فهناك وثائق قانونية تتعلق بالحقوق الزوجية والشخصية. ومن ذلك أن من حق الزوج أن يطلب من زوجته العاقر أن تجلب له جارية يتزوجها لكي تجلب له أولاداً[4]. كما كانت الأحكام القانونية تضع في عقود الزواج لكي تحفظ حقوق الزوجين وواجبات أحدهما تجاه الآخر[5].ومما يؤكد اهتمام الحوريين بتشريع القانون تلك الرقم الطينية التي عثر عليها في مدينة ازو الميتانية (تل الحديدي)، ومع أنها قليلة لا تتجاوز 17 رقيم ، إلا أن معظمها كان عبارة عن نصوص تعنى بشؤون المزارع، وقضايا الإرث وحقوق المرأة الحورية من حيث حقوقها في الإرث .والتملك[6]. وفي عقود التبني كان القانون ينظم العلاقة بين المتبنى والمتبني من حيث واجبات كل واحد منهما تجاه

---

(1) هورست كلينغل، المصدر السابق، ص ص 114-115.

(2) المصدر نفسه، ص 116.

(3) أحمد بهجت ابراهيم، المصدر السابق، ص 27.

(4) فيليب حتي، المصدر السابق، ص 164.

(5) بهيجة خليل، "نبذة عن الكتابات"، ص 67.

(6) تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا، المصدر السابق، ص 264.

الآخر، كأن يلتزم المتبنى بخدمة المتبني ويوفر له المأكل والملبس، وبالمقابل على المتبني أن يعطي حقوق المتبنى حسب الاتفاق المبرم بينهما[1].

وفي السياق ذاته أيضاً وصلتها من نوزي مجموعة كبيرة من النصوص القضائية التي تعالج مختلف الشؤون القضائية والأحكام الصادرة فيها، ومن خلال الأحكام القضائية يظهر أن القانون الحوري قد اعتمد مبدأ الغرامة أو التعويض بدلاً من العقوبة الجسدية، وتتضمن النصوص القضائية ملخص للدعاوى من حيث حضور الخصوم وسير المحاكمة والحكم الصادر[2]، ومثال على ذلك "ذهب الشخص الأول مع الشخص الثاني إلى المحكمة واعترف قائلاً: تسلم والدي كمية من الحبوب من الشخص الثاني مقابل بقائي رهينة عنده واشتغالي في حقله لحين إرجاع الحبوب فإذا انقطعت يوماً واحداً عن عمل فينبغي أن أدفع مناً واحداً من البرونز، ولقد انقطعت عن العمل سبعة أيام. فنظرت المحكمة في القضية وقررت أن يدفع الشخص الأول الثمن المترتب عليه إلى الشخص الثاني"[3].

وكانت الأحكام القضائية تصدر حتى بحق كبار الشخصيات، حيث ورد في نص محاكمة قضائية بحق أحد خزانو نوزي (أحد مدراء مناطق نوزي)، لاتهامه بانتهاك السلطة وتجاوزه على القانون[4]. وكان القضاة ينتخبون من بين كبار الرجال الذين لهم خبرة في الأمور القضائية، وأحياناً كان رئيس الحصن (خالزوخلو) يشاركهم في جلسات المحكمة[5]. وإضافة إلى الجلسات الاعتيادية للمحكمة كان القضاة أحياناً يعقدون جلساتهم بناء على أمر ملكي، هذا وكانت المحكمة لها بناية خاصة، ويخضع تكوينها لتغييرات دورية مستمرة[6].

وأخيراً يظهر من خلال مجمل القضايا القانونية ان الحوريين قد تأثروا بما موجود من قوانين في بلاد الرافدين[7]

المبحث الثاني

اللغـــة

تكلم الحوريون لغة لا يعرف لها شبيه، فهي ليست من اللغات الجزيرية أو الهندواوربية، وأقرب لغة لها هي الاورارتية التي تكلم بها سكان اورارتو منذ القرن

---

(1) بهيجة خليل اسماعيل ، "نبذة عن الكتابات"، ص ص 66-67.

(2) المصدر نفسه، ص 67.

(3) المصدر نفسه، ص 67.

(4) يانكوفسكا، المصدر السابق، ص 362.

(5) المصدر نفسه، ص 362.

(6) المصدر نفسه، ص 362.

(7) أحمد بهجت إبراهيم ، المصدر السابق ، ص27 .

التاسع حتى السادس ق.م[1]، على أن هذه القرابة لا تعني التماثل التام بين اللغتين، وإنما هناك تشابه واضح من خلال استخدام العديد من المفردات المتشابهة بين اللغتين[2].

وهذه اللغة هي من اللغات الملصقة[3]، التي لم يتمكن العلماء بعد من فهمها وحل رموزها بشك كامل، ولكن يمكن تمييز علاماتها المسمارية بسهولة[4]. ومنذ أن دخل الحوريون بلاد الرافدين اقتبسوا الخط المسماري في كتابة لغتهم ، وشاع استعماله في كل مناطق الحوريين ، عدا نصوص قليلة جداً كتبت بالأبجدية الأوغاريتية فيما بعد أثناء وجود الحوريين في أوغاريت[5]. وكانت اللغة الحورية هي اللغة المحكية اليومية في جميع المناطق الحورية، حيث دونوا بها أغلب ما يتعلق بشؤون حياتهم اليومية، عدا نصوص نوزي التي دون معظم أرشيفها باللغة الأكدية[6]، والواقع أن اللغة الأكدية أو مفردات منها قد استخدمها الحوريون أحياناً في مناطق حورية أخرى لتدوين بعض ما يتعلق بحياتهم اليومية كما مر بنا في ثنايا الأطروحة، لكن اللغة الأكدية أصبحت اللغة الرئيسة في تدوين الوثائق المهمة والمراسلات الرسمية أيام الإمبراطورية الميتانية[7]، ولم نلحظ استخدام اللغة الحورية في مثل هكذا مجالات إلا مرة واحدة، وهي رسالة الملك الميتاني توشراتا (1365-1335ق.م) إلى امنحوتب الثالث، تلك الرسالة التي تعد أهم وثيقة في مجال دراسة اللغة الحورية، فهي عدا المقدمة التي كتبت باللغة الأكدية، فإن بقية الرسالة المؤلفة من (494) سطراً كتبت جميعاً باللغة الحورية.

---

(1) Miroop,op.cit., P. 33; Astour, “Semites and Hurrians in Northern Transtigris”, PP. 3-4.

جبن بوترو، المصدر السابق، ص 201.

(2) ينظر ص (16-17) من الأطروحة.

(3) K. Balkan, “Peoples and Languages of Anatolia”, in Hittite Art and the Antiquities of Anatolia (London, 1964), P. 43.

جبن بوترو وآخرون، المصدر السابق، ص 201.

(4) فولفرام فون زودن، المصدر السابق، ص 63؛ فيليب حتي، المصدر السابق، ص 163.

(5) ليو اوبنهايم، المصدر السابق، ص 88؛

Bienkowski and Millard, Op. cit., P. 150.

(6) جيرنوت فيلهلم، المصدر السابق، ص 233؛ أدوارد كيبرا، المصدر السابق، ص 202.

(7) جيرنوت فيلهلم، المصدر السابق، ص 233؛ ليو اوبنهايم، المصدر السابق، ص 86؛ فولفرام فون زودن، "لغة آشور في الإمبراطورية الميتانية(1450- 1350)" مجلة سومر ،م42،ج1-2 (1986)، ص ص 42-43.

وقد وصل استخدام اللغة الحورية إلى ذروته بعد قيام الإمبراطورية الميتانية واتساع مساحة الانتشار الحوري. واستمر استخدام هذه اللغة التي بدأ استعمالها منذ أواخر الألف الثالث حتى نهاية الألف الثانية[1]. لكن ما يلفت الانتباه هنا هو أنه إذا كانت اللغة الحورية تستخدم منذ أواخر الألف الثالث ق.م، وأصبحت لغة الشعب الحوري في كل المناطق الحورية لماذا لم تستطع الإمبراطورية الميتانية تثبيت اللغة الحورية كلغة رسمية لإدارة الدولة بدلاً عن الأكدية، لاسيما وأن اللغة هي جزء من قوة الدولة. ويمكن تعليل ذلك بسببين يرتبط أحدهما بالآخر، الأول هو أن عدد من الكتاب الحوريون وجدوا أن اللغة الأكدية هي لغة شعب بلاد الرافدين الذي استقروا على أرضه، لذلك يظهر أنهم أرادوا تعلم هذه اللغة ليتسنى لهم التعامل مع هذا الشعب، لاسيما أن هذه اللغة هي لغة مستساغة سهلة التعلم ، وبعد مدة من دخولهم بلاد الرافدين تعلموا تلك اللغة وأصبحوا يدونوا بها جزء من الوثائق المهمة. والسبب الآخروهو المهم ما استنتجه أحد الباحثين بأن عدم وجود نوع من اللغة الحورية القياسية التي تستخدم باللهجة والصياغة نفسها في كل المناطق الحورية دفع الملوك الميتانيين إلى إيجاد لغة واسعة الانتشار، حتى يسهل عليهم التعامل بها رسمياً مع كل المناطق الحورية أولاً، ومع ممالك الشرق الأدنى المعاصرة، والممالك التابعة للإمبراطورية الميتانية ثانياً[2]، لاسيما وان البلاط الميتاني كان له القدرة على التحدث بهذه اللغة طالما أن هناك كتاب حوريون في البلاط كانوا يجيدون هذه اللغة[3]، ومثل هؤلاء الكتاب كانوا ينتشرون في أماكن حورية مختلفة تعلموها من كتاب حوريين سابقين ذكرناهم في السبب الأول.

أما كيف حلت معظم رموز اللغة الحورية ومعانيها، فذلك تم عن طريق قوائم المترادفات، ومنها قوائم بالمترادفات الحورية–الأكدية التي وجدت في نوزي وقطنة وأوغاريت والالاخ[4]. أيضاً عثر في أوغاريت على رقم تحوي مرادفات للكلمات في

---

(1) جيرنوت فيلهلم، المصدر السابق، ص 233. Balkan, Op. cit., PP. 43-44.

(2) فولفرام فون زودن، "لغة آشور في الإمبراطورية الميتانية"، ص ص 43–44.

(3) كان الكتاب الحوريون الذين لا يتقنون اللغة الأكدية كثيراً ما يتعرضون في كتاباتهم إلى الأخطاء النحوية كعدم التفريق بين المفرد والجمع أو المؤنث والمذكر، أو يخلطون الكلمات الحورية مع الأكدية، أو حتى أصول رسم العلامة المسمارية. ينظر: ادوارد كييرا، المصدر السابق، ص 202؛ جون اوتس، بابل تاريخ مصور، ص 54.

(4) جبن بوترو، المصدر السابق، ص 201.

أربع لغات هي الأوغاريتية، والأكدية، والسومرية، والحورية[1]، وفي أوغاريت ذاتها وجد قاموس لمفردات حوري–سومري[2]. كذلك وجدت بضع نصوص ثنائية اللغة، هي نصوص حورية أكدية من بلاد الرافدين وسوريا، ونصوص حورية – حثية من حاتوشا ، وهذهِ الأخيرة في غالبيتها نصوص دينية[3]. وإذا كانت قوائم المترادفات تعطى معناً لكلمة واحدة وصوتاً لكل حرف، فإن النصوص الثنائية اللغة تعطى معناً بجملة كاملة وصوتاً لكل حرف. كما أن عدد أسماء الأشخاص الحورية التي بلغت الآلاف بفضل الوثائق المكتشفة في عدد كبير من المدن الحورية بدءاً من أواخر الألف الثالث ق.م، لاسيما نوزي وألالاخ وأوغاريت، قد ساعدت العلماء كثيراً في التعرف على أصوات العلامات المسمارية التي كتبت بها اللغة الحورية. وكانت أولى الكلمات الحورية التي تعرف عليها العلماء من خلال قوائم المرادفات الأكدية–الحورية، هي كلمة نامال Namall وتعني سرير، وبيتق أو فيتق Pita وتعني طفل[4].

ومن الجدير بالذكر أن نصوص حاتوشا (الحثية–الحورية) تعني أن هناك كتاب حيثيين تعلموا اللغة الحورية، ولعل سبب ذلك يعود لأجل التعرف على الحضارة الحورية والاستفادة منها. كذلك وردت بعض النصوص الإدارية العامة من مدينة قطنة مكتوبة باللغة الحورية تدل على أن أناس كانوا يتحدثون هذه اللغة[5]، ومن المرجح جداً هم تعلموها من الحوريين الساكنيين في قطنة، وكذلك الحال في أوغاريت وألالاخ. وعلى الرغم من كل هذه النصوص الحورية التي عثر عليها، إلا أنها لازالت قليلة جداً مقارنة مع عمر الحضارة الحورية ودرجة اتساعها، وهذا ما جعل الطريق صعباً أمام العلماء حتى الآن لفك طلاسم اللغة الحورية بالكامل، وبالتأكيد أن الكشف عن مزيد من النصوص سيسهل من تلك المهمة أمام العلماء.

المبحث الثالث

الديانـــة

لا تزال معلوماتنا عن الديانة الحورية ناقصة كبقية النواحي الحضارية الأخرى، لكن بشكل عام يمكن تتبع جوانب من الديانة الحورية بشكل أكثر سهولة من النواحي الحضارية الأخرى، وذلك لتوفر عدد من النصوص الدينية التي عثر عليها في مناطق

---

(1) Watson and Wyatt, Op. cit., P. 128; جبن بوترو، المصدر السابق، ص 216.
(2) Watson and Wyatt, Op. cit., PP. 127-129.
(3) Kalkan, Op. cit., PP. 43-44; Hoffner, Op. cit., P. 193.
(4) Wilhelm, Grundzuge der, P. 1.
(5) Margart, Op. cit., P. 421.

انتشار الحوريين المختلفة، فضلاً عن النصوص الدينية الحثية التي هي عبارة عن ترجمات لنصوص دينية حورية أصلية، والواقع أن هذه النصوص بمجملها وضحت جوانب من الديانة الحورية، لكن هناك جوانب أخرى مع أنه تم التطرق إليها لكنها لا زالت غير واضحة، وجوانب أخرى لم يتم التعرف عليها أصلاً ، ولا يمكن توقع غير ذلك ، بسبب قلة النصوص الحورية الأصلية المكتشفة بشكل عام، وكثير من المكتشف لا يزال ينتظر الترجمة، فضلاً عن أن جزء مهم من الديانة الحورية قد تم التعرف عليه من خلال النصوص الحثية التي هي عبارة عن ترجمات لنصوص حورية أصلية ، لاسيما الأساطير، وما يرافق ذلك أحياناً من زيادة أو اختزال أو تحوير، وبالتالي يفقد النص جزءاً من معلوماته الأصلية.

ومن المتفق عليه بأن الديانة الحورية هي ليست مجموعة متناسقة متجانسة، فهي كالتركيب العضوي ذات طبقات كثيرة[1]. ويمكن تعليل ذلك كون أن كل ما يتعلق بالديانة الحورية من عبادات، وشعائر دينية، وأساطير وغيرها هي ليست ذات أصل واحد بل مجموعة مختلفة من العناصر دخلت في تركيب تلك الديانة، ولم يكن ذلك التنوع إلا بسبب الاتساع الكبير لإطار استيطانهم الجغرافي ، وما فرضه ذلك من تأثر ديني ، بما تسرب إليهم من المناطق المتباعدة التي سكنوها عبر مئات السنين.

فضلاً عن الأمور الدينية التي جلبها الحوريون من موطنهم الأصلي، فقد خضعت الديانة الحورية للتأثيرات الدينية من بلاد الرافدين وبصورة أقل جداً من سوريا وآسيا الصغرى[2].

وسيتم عرض هذا الموضوع من خلال عدة جوانب.

أولاً: الآلهة الحورية

إن الديانة الحورية هي ديانة تقوم على مبدأ تعدد الآلهة على غرار ديانات سكان أقطار الشرق الأدنى القديم الأخرى. فقد عبد الحوريون عدداً من الآلهة منها الرئيسة التي شاعت عبادتها في كل مناطق الحوريين، ومنها الثانوية التي اقتصرت عبادتها في مناطق محددة، ومنها:

---

(1) انطون مورتكات، المصدر السابق، ص 210؛
Wilhelm, Grundzuge der, P. 82.

(2) انطون مورتكات، المصدر السابق، ص 210.

أ- الإله تيشوب Teššup: إله الجو (رياح، أمطار، أعاصير، رعد، برق) وفي مجمع الآلهة الحورية يعد تيشوب رئيس الآلهة الحورية[1]، ومركز عبادته الرئيس يقع في مدينة كوميا Kummiay التي لم يحدد مكانها بدقة، لكن يرجح أنها تقع في أعالي زاخو عند الحدود العراقية التركية[2]. أما سلاحه فهو الصواعق والمطر والرياح والبرق، ويمثل هذا الإله على الأختام[3]، أحياناً واقفاً على فهد وقابضاً في يده بلطة مزدوجة، ونراه أحياناً يحمل منشاراً في يد وفي الأخرى صاعقة وله لحية وشعر طويل، وفي زمن لاحق نراه واقفاً على ظهر ثور حاملاً في يده بلطة مزدوجة والأخرى صاعقة[4]. وحيوانه المقدس هو الثور، فتذكر الأساطير الحورية بأن للإله تيشوب ثورين مقدسين يرتبطان به، فهما يجران عربته الحربية ذات الأربع عجلات التي يركبها، وهذان الثوران يعرف أحدهما شيري ويعني النهار، والآخر خوري ويعني الليل [5]. وطالما ارتبطت مهمة هذين الثورين بجر عربة الإله تيشوب فقد اعتبرا إلهين مقدسين أيضاً[6].

يرمز هذان الإلهين المصوران في هيئة ثورين إلى ارتباط تيشوب دائماً بالخصب والنمو والازدياد، فكما كان يعتقد بأن الثور هو الحيوان الذكر المسؤول عن الخصب، فإن تيشوب باعتباره إله الجو هو المسؤول عن المطر الذي يسفر عن نزوله ازدياد الحاصلات الزراعية وتوفر المراعي الكثيرة. كما ارتبطت بهذا الإله الجبال المقدسة وهما جبل خازي[7]، وجبل نامني (الذي لم يحدد موقعه) في عبادة الحوريين

---

(1) G. Leick, A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology (London, 1991), P. 157; Herbert and Muller, Op. cit., P. 88.

(2) Wilhelm, Grundzuge der, P. 83

(3) تكاد تنفرد الأختام بحمل صور الآلهة الحورية ورموزها عن بقية المنحوتات الأخرى التي هي الواقع نادرة جداً، وبعض من هذه المنحوتات الأخرى وجدت في بلاد الحثيين وهي تصور الآلهة الحثية برموزها.

(4) سليم حسن، المصدر السابق، ص ص 632-633.

(5) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 296؛ تقي الدباغ، الفكر الديني القديم (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، 1992)، ص 169؛ موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، تر. يعقوب بكر (القاهرة، 1957) ، ص 346.

(6) تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ص 169.

(7) عرف هذا الجبل باسم خازي عند الحوريين والحثيين، والأصل هو حوري ومنهم أخذه الحثيون، وعرف عند اليونان باسم كاسيوس، وحالياً جبل الأقرع الذي يقع عند مصب نهر العاصي في البحر المتوسط. ينظر: Wilhelm, Grundzuge der, P 84.

للإلة تيشوب، ومنهم تعلم الحثيين هذه العبادة[1]، وربما جاء ربط الحوريين والحثيين للإله الجو مع الجبال هو الاعتقاد بأن الجبال هي مصدر الأنهار والأمطار، لذلك هي مرتبطة بإله الجو المسؤول عنها[2]. ومن الجدير بالذكر إن إله الجو الحثي كان يعرف باسم تارخونا، وإلى جانبه تبنى الحثيين إله الجو الحوري تيشوب كواحد من الآلهة الحورية التي دخلت هيكل الآلهة الحثية[3]، و كما ارتبط إله الجو الحوري بالثور والجبال فقد ارتبط إله الجو الحثي بهما، فقد صور الإله تيشوب في الفن الحثي على الأختام والجدران محمولاً من قبل ألهي الجبل خازي ونامني ، وفي منظر آخر يشاهد إله الجو تيشوب واقفاً محمولاً بين يدي إله الجبل المرفوعتين جانباً[4].

وقد حمل الإله تيشوب عدد من صفات الإله أدد إله البرق والرعد والفيضان عند سكان بلاد الرافدين[5]. وربما هو تأثر بهذا الإله الذي وجدت عبادته شائعة عند قدوم الحوريين[6]. هذا وتظهر أهمية هذا الإله من خلال اقترانه مع الكثير من الأسماء الشخصية الحورية، وقد جعل معظم ملوك بلاد ارابخا تيشوب جزءاً من أسمائهم الشخصية، مثل كيبي–تيشوب، اتخي–تيشوب، خيشمي–تيشوب، موش–تيشوب[7].

ب: الإلهة خيبات Hepat

عبدت خيبات كزوجة للإله تيشوب، وحيوانها المقدس هو الأسد الذي نرى خيبات واقفة عليه في كثير من الصور[8]، ويظهر اسم الإله تيشوب جنباً إلى جنب مع زوجته خيبات في الاحتفالات الدينية أو تقديم القرابين وغيرها من الشعائر الدينية الحورية، ولكن خيبات كانت في الاحتفالات الدينية الرسمية الحثية[9] تتقدم أحياناً

---

(1) تقي الدباغ، الفكر الديني القديم ، ص 169.

(2) انطون مورتكات، الفن في العراق القديم، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي (بغداد، 1975)، ص 329؛ سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 297،
Leick, Op. cit., P. 121.

(3) Bienkowski and Millard, Op. cit., P. 150; Leick, Op. cit., P. 121.

(4) R. Alexander, “The Storm God at Yazilikaya (Sources and Influences)”, In Aspects of Art and Iconography Anatolia and its Neighbors (Ankara, 1993), PP. 8-9.

(5) طه باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم (بغداد، 1980)، ج 2، ص 17.

(6) Kupper, “Northern Mesopotamia and Syria”, P. 42.

(7) E. Laroche, “Tessub, Hebat et Leur Cour”, in JCS, Vol. 2 (1998), PP. 116-118.

(8) موسكاتي، المصدر السابق، ص ص 346–347؛ Leick, Op. cit., P. 155.

(9) كثير من الدين الحوري اعتنقه الحثيون، ومنه عبادة الآلهة الحورية ومنها تيشوب وخيبات (سنوضح ذلك لاحقاً).

زوجها تيشوب، على أن هذا التقدم لا يوجد في العبادات الحورية[1]، لذلك هي كانت تضارعه المكانة في العبادات الحثية[2]. وكانت عبادتها شائعة بشكل أساس في المدن الحورية شمال سوريا، أما في المناطق الحورية الشرقية (بلاد الرافدين) فلم تحض بتلك الأهمية[3].

بشكل عام فإن خيبات لم تصنف ضمن الآلهة الحورية الكبرى[4]، فهي فقط زوجة للإله تيشوب ،ولم يكن لها تأثير مصيري على حياة الحوريين. ومع ذلك هي كانت تظهر أحياناً كجزء من الأسماء الشخصية، ومن ذلك اسم الأميرتين المتيانيتين التي أرسلتا إلى مصر كزوجات للفراعنة وهما كليو-خيبا، وتادو-خيبا، ومن نوزي نقرأ شور-خيبا، وشاتو-خيبا، القريبتين لأحد أمراء نوزي[5]. ويظهر من العبادات الحورية أن للإله تيشوب وخيبات ابناً يدعى شاروما أو شارما[6]. لكن لم تتوضح أهمية هذا الإله ودوره سوى منزلة الابن ، وقد شاعت عبادة هذه العائلة الحورية (تيشوب، خيبات، شاروما) بشكل خاص في مناطق سوريا الشمالية ذات الأغلبية الحورية، ومنطقة طوروس[7]. ومن الجدير بالذكر أن هذه العائلة نفسها كانت تقدس عند الحثيين[8]، ويظهر في إحدى المنحوتات من حاتوشا اثنان من آلهة الجبل يحملون عجلاً كرمز للإله شاروما [9].

ج- الآلهة شاوشكا Šawuška

---

(1) تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ص 170؛
Hicks and others, PP. 101-102; Klengel, 1968, P. 136.

(2) موسكاتي، المصدر السابق، ص 347.

(3) Laroche, Op. cit., P. 126.

(4) تقي الدباغ، المصدر السابق، ص 171.

(5) Wilhelm, Grundzuge der, PP. 91-92.

(6) H. A. Hoffner, Op. cit., P. 189; Alexander, Op. cit., P. 6; موسكاتي، المصدر السابق، ص 347.

(7) تقي الدباغ، الفكر الديني القديم ، ص 170.

(8) المصدر نفسه ، ص 170.

(9) Alexander, Op. cit., P. 6.

آلهة الحب (الخصب والجنس) والحرب، وأهم آلهة حورية[1]، هي نظيرة الآلهة عشتار (آلهة الحب والحرب في بلاد الرافدين) إذ تحمل عدد من صفاتها[2]. وهو لا شك تأثر بهذهِ الإلهة [3]، وهذا واضح من خلال الوثائق التي تعود إلى عصر أور الثالثة الآتية بين شمال بلاد الرافدين لاسيما مناطق شرقي دجلة (مركز انتشار الحوريين) حيث ذكرت اسم الإلهة شاوشكا بشكل ممتزج مع الإلهة عشتار التي كانت أصلاً تعبد هناك منذ القدم[4].

عدت شاوشكا في عبادات بلاد الأناضول أختاً للإله تيشوب[5]، أما في مجمع الآلهة الحوري فهذا غير واضح، لكن من الراجح إنها أيضاً كانت أخت للإله تيشوب في العبادة الحورية على اعتبار أن التقليد الحثي فيما يخص شاوشكا هو مقتبس من الحوريين وربما جعل شاوشكا أخت للإله تيشوب في مجمع الآلهة الحثية هو جزء من ذلك التقليد.وكان مركز عبادتها الرئيس في نينوى (إحدى مراكز انتشار الحوريين)[6]

وبقت شاوشكا محتفظة باسمها الحوري في نينوى حتى نهاية القرن الثامن ق.م[7]. وبوصفها إلهة حرب أيضاً فقد اتخذت الأسد رمزاً لها إذ صورت بأجنحة واقفة على أسد[8]، وفي مشاهد أخرى صورت بهيأة امرأة جميلة والأسلحة تبرز من كتفيها[9]، ولا شك أن هذا التصوير فيه تأثر واضح بالأشكال التي صورت فيها الإلهة عشتار عند فناني بلاد الرافدين على الأختام والمنحوتات، حيث صورت الآلهة عشتار

---

(1) تقي الدباغ، المصدر السابق، ص 172؛ .Leick, Op. cit., P. 150

(2) انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 211.

(3) تبنى الحثيون أيضاً عبادة الآلهة شاوشكا الحورية حيث دخلت هيكل الآلهة الحثية، وبما أنها نظيرة للإلهة عشتار فقد كانت تقرأ أحيانا في المراسيم الدينية الحثية باسمها الأكدي وهو عشتار، ومركز عبادتها في بلاد الأناضول هي مدينة ساموها جنوب شرق الأناضول. ينظر: تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ص 172.

(4) Wilhelm, Grundzuge der, P. 85.

(5) Hoffner, Op. cit., P. 184; سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 296.

(6) فولكت هاس، المصدر السابق، ص 395.

(7) Wilhelm, Grundzuge der, P. 85.

(8) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 296.

(9) Lieck, Op. cit., P. 86.

وهي تحمل في يديها أسلحتها ذات السيف المقوس والصولجان ذي الرأسين وتقف على أسد وأحياناً على أسدين(1).

وباعتبارها إلهة للجنس والحرب، فقد تم في إحدى الشعائر الدينية الحورية تقديم القرابين للخواص الرجولية (باعتبارها إلهة حرب)، والخواص الأنثوية (كونها إلهة للجنس)، إذ كان يعتقد أن بمقدورها بصفتها إلهة الجنس أن تعاقب الأعداء وناكثي العهود بأن تبدل تصرفاتهم الجنسية الخاصة من ذكرية إلى أنثوية أو بالعكس، وهذه المقدرة كانت أيضاً لدى الإلهة عشتار(2). كما كان يعتقد أن لشاوشكا الحورية القدرة على الشفاء، ويظهر ذلك واضحاً من خلال إرسال تمثالها مرتين إلى مصر من أجل شفاء الفرعون كما مر بنا(3). هذا وكانت هذه الإلهة قد قدست كإلاهة رئيسة في المناطق الحورية المختلفة، فقد شاعت عبادتها باعتبارها إلهة رئيسة في نوزي، وبني لها هناك معبد مزدوج كرس لعبادتها هي والالة تيشوب ، وفي العبادات الحورية في الالاخ وأوغاريت كانت تعبد كآلهة رئيسة أيضاً مع تيشوب، وفي مدينة لوازانتيا (أحد مدن بلاد كيزواتنا) كانت شاوشكا تعبد إلى جانب تيشوب وخيبات باعتبارها آلهة كبرى أيضاً(4). وتتضح أهميتها في مملكة ميتاني من خلال وصف الملك الميتاني توشراتا لها بالقول بأنها "سيدة بلادي" و"سيدة السماء"(5)، وتذكر النصوص الدينية الحورية من المناطق الغربية فقط (سوريا) بأن لشاوشكا خادمات مساعدات اشتهرت منهن نيناتا وكوليتا اللتان عدتا إلهتين أيضاً، وكانتا ملازمتين لها، ويعتقد بأن وجود هذه الخادمات في المناطق الحورية الغربية دون الشرقية سببه تقليد حثي(6).

---

(1) طه باقر، تاريخ العراق القديم، ج2، ص 16؛ صبحي انور رشيد، تاريخ الفن في العراق القديم (بيروت، 1969)، ج 1، ص 83.

(2) Wilhelm, Grundzuge der, P. 86.

(3) عندما أرسل الملك الميتاني شوترنا الثاني، ومن بعده توشراتا تمثال الالهة شاوشكا إلى بلاد الفرعون المصري امنحوتب الثالث من أجل شفائه، رافقت هذه الإلهة رسالة إلى الفرعون تم فيها ذكر هذه الإلهة، ولكن ليس باسمها الحوري بل الأكدي وهو عشتار، وهي حالة كان يستخدمها أحيانا الحوريون وبشكل أكثر الحثيون في المراسيم الدينية. ينظر: تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ص 166. ونعتقد فضلاً عن ذلك بأن السبب الرئيس باستخدام التسمية الأكدية في هاتين الرسالتين ، لأنهما قد كتبتا باللغة الأكدية، وبما أن شاوشكا هي نظيرة عشتار فقد استخدم اسمها الأكدي في الرسالتين.

(4) Laroche, Op. cit., P. 126

(5) Wilhelm, Grundzuge der., P. 85.

(6) Leick, Op. cit., P. 150; Hicks and others, Op. cit., P. 47;

تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ص 172.

ومن الخادمات الأخر اللاتي ورد ذكرهن في نصوص من حاتوشا (شنتال- ارتي) "ذات الأثداء السبعة" وهو اسم حوري[1]، كما تذكر النصوص الحورية أن لشاوشكا شياطين ، ابرزهم " اندوروما" وهو وزير الآلهة، وبيرا، ويعني خادم أو تابع[2].

د: الإله كوماربي Kumarbi

هو أبو الآلهة الحورية في البدء ومعروف في كل مناطق الحوريين[3]، أما صفته فهي غير واضحة، فيظهر مرة وكأن له علاقة بالطقس ويستنتج ذلك من خلال إحدى الأساطير الحورية التي تتحدث عن ذهاب كوماربي إلى مدينة نفر مدينة الإله السومري إنليل (إله الهواء)[4]. وفي نقوش يازيليكايا تظهر صورته وهو يحمل ساق نبات حبوب في يده، ولعل ذلك يمكن أن يكون دليلاً على إنه إله للحبوب كالإله داجان (إله الحبوب عند سكان سوريا)[5]. ونرى أن ذلك هو الاحتمال الأرجح طالما أننا نعرف بأن رسم رموز الأشياء مع الآلهة هي رمز لوظيفة ذلك الإله، وفي نقوش يازيليكايا تم تحديد بالرموز وظيفة معظم الآلهة وبضمنهم كوماربي.

لقد عبد الحثيون هذا الإله الحوري أيضاً[6]، ومن خلال النصوص الدينية الحثية الأصلية ، والنصوص الدينية الحثية التي هي عبارة عن تراجم لنصوص حورية يتضح أن كوماربي كان أبي الآلهة الحورية[7]، وحوله كانت تدور عدد من الأساطير الحورية التي كانت محور مواضيعها الأساس تبحث في محاولته بلوغ درجة السيادة على بقية الآلهة[8]، وعدا ذلك لم يكن له إلا دور ثانوي في العبادات الحورية ، وهذا واضح من النصوص الدينية المتوفرة، وعدم استخدامه كجزء من الأسماء الشخصية المركبة[9]، ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى عدم تأثيره في الحياة اليومية للحوريين [1]،

---

(1) فولكت هاس، المصدر السابق، ص 395.

(2) المصدر نفسه، ص 395.

(3) H. G. Guterbock, Kumarbi: Mythen Vom Churritischen Kronos (Zurich and New York, 1946), P. 1.

(4) فاضل عبد الواحد علي، من ألواح سومر إلى التوراة، ص 193.

(5) Hoffner, Op. cit., P. 184.

(6)Hoffner, Op. cit., P. 191.

(7) Guterbock, Op. cit., P. 1; Hoffner, Op. cit., P. 191;

انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص 211.

(8) Guterbock, Op. cit., P. 1.

(9) Wilhelm, Grundzuge der, P. 87.

فضلاً عن أن كوماربي قد فقد منزلته كأبو للآلهة الحورية في أثناء الصراع الذي حدث بينه وبين بقية الآلهة الحورية من أجل السيادة، كما وضحت ذلك الأساطير على ما سنبين لاحقاً. وتعين الأساطير الحورية مدنية اوركيش (مدينة الملك الحوري اتال-شين) موطناً له[2]. إذ جاء في إحدى الأساطير الحورية التي وجدت في حاتوشا، وهي مكتوبة باللغة الحثية ما نصه "**كوماربي خرج من مدينة اوركيش**"، وفي أخرى "**كوماربي أب مدينة اوركيش**"[3].

وإلى جانب ذلك الآلهة الرئيسة هناك آلهة حورية أخرى ثانوية في مركزها بالنسبة للآلهة السابقة، أو أن تعبد في مناطق حورية معينة دون الأخرى، ومنها إله الشمس شيميكي (Šimiki) الذي كان معروفاً في كل مناطق الحوريين[4]. ثم الإله كوشوخ (Kušuh)[5] إله القمر الذي انتشرت عبادته أيضاً في كل مناطق الحوريين[6]. وعلى العموم فإن النصوص المتوفرة تدل على أن هذين الإلهين لم يحتلا مكانة متميزة في العبادات الحورية، كما لم يكن لهما دور مفهوم في الأحداث الأسطورية.

وإلى جانب الآلهة العليا هناك مجموعة من آلهة العالم السفلي التي قدسها الحوريون، وتم التعرف على هذه الآلهة ليس من النصوص الحورية بل من نصوص حاتوشا التي هي عبارة عن ترجمات لنصوص دينية حورية أصلاً، ومن هذه الآلهة "نارا-نابشار"، و"مينكي-امونكي"، و"مونتارا-موهونتارا"، وزولكي، واربيتيكا[7]، وبما أن أسماء هذه الآلهة[8] لم تظهر واضحة في النصوص الدينية الحورية المتوفرة ، فهذا

---

(1) سادت عبادة هذا الإله كأحد الآلهة الرئيسة إلى جانب الإلهين ناباربي وسامانوخا في مدينة تائيد خلال العصر الآشوري الحديث (911-612ق.م) ينظر: Wilhelm, Grundzuge der, P. 87

(2) Hoffner, Op. cit., P. 190.

(3) H. G. Guterbock, "The Song of Ullikummi, Revised Text of the Hittite Version of a Hurrian Myth", in JCS, Vol. 5 (1951-1952), P. 135 ff; Hoffner, Op. cit., PP. 190-191.

(4) Lieck, Op. cit., P. 155; Hoffner, Op. cit., P. 184.

(5) ورد ذكر اسم هذا الإله في اسطورة حثية تحت اسم كاشكو. ينظر: Lieck, Op. cit., P. 118

(6) Lieck, Op. cit., P. 118., P. 155.

(7) Wilhelm, Grundzuge der,Ibid., PP. 92-93.

(8) يظهر من النصوص السحرية الحورية (سيأتي الكلام عن السحر لاحقاً) الخاصة بالطهارة والنجاسة أن آلهة العالم السفلي هي على النقيض من الآلهة السماوية العليا، فآلهة العالم السفلي بسبب ارتكابها خطايا دينية تم إبعادها من قبل إله الجو إلى العالم السفلي، لذلك فقدت صفة الطهارة التي هي شرط التأثير الإلهي، وإن النجاسة لا تؤثر فيها بل (النجاسة) عالمها الحقيقي، لذلك يتوسل إليها البشر لإبعاد النجاسات عنهم كالوباء

يعني أنها لم تحظى بمكانة مهمة في الديانة الحورية، كما يعني أنها لم تنتشر في كل مناطق الحوريين.

ومن الجدير بالذكر أن أسماء آلهة العالم السفلي هي ليست حورية الأصل، ولم يتمكن العلماء من إرجاعها بشكل أكيد إلى أي لغة معروفة، لذلك يعتقد بأنها موروث لأقوام كانت تقطن مناطق بلاد الرافدين العليا قبل الجزريين والحوريين[1]. وفي سياق العالم السفلي فقد إله الحوريين الحفرة التي تدعى في اللغة الحورية آبي (Api) بصفتها تمثل مدخلاً لذلك العالم، فكانت القرابين تنزل لها، ويراق لها دم الضحايا، وقد كان لها دور كبير في الشعائر السحرية عند الحوريين[2]، إذ أن ما يحل بالبشر من أذى يمكن معالجته بالطرق السحرية وإيداع ذلك الأذى في الحفر ليتم الخلاص منه إلى الأبد.

وإلى جانب كل تلك الآلهة عبد الحوريون بعض الأشياء غير المرتبطة باسم إله محدد، وفي أكثر الأحيان أن الأسماء التي تعطي معنى تلك الأشياء ربطت مع بعضها بشكل مزدوج، مثل (ايشي حاوورني) أي السماء والأرض، (بايانا شينا) أي الجبال والأنهار[3]، كما قدس الحوريون الأشياء الخاصة بالآلهة، كالألقاب والأسلحة وأدوات العبادة، فنجد في نص نذري شعائر تقديم النذور إلى عرش الإلهة خبات، وفي آخر لسرير الإلهة شاوشكا[4].

وتجدر الإشارة إلى أن الآلهة ذات الأصل الهندواري وهي (ميثرا، فارونا، اندرا، ناساتيا) كانت فقط آلهة شخصية وإلهة قسم لملوك ميتاني[5]، ولم تدخل ضمن العبادة الحورية.

أما فيما يخص الآلهة الغريبة التي دخلت المجمع الديني الحوري وقدسها الحوريون، فهي الآلهة التي دخلت من بلاد الرافدين وسوريا، وهو أمر متوقع طالما أن الحوريين يقطنون هناك، وإذا ما قارنا المدة التي سكن فيها الحوريون في هاتين

أو الاغتيال أو حلول موسم حصاد غير وفير الإنتاج وغيرها ثم ايداع تلك النجاسات في العالم السفلي.

ينظر: Wilhelm, Grundzuge der, P. 92.

(1) Wilhelm, Grundzuge der, P. 93.
(2) Hoffner, Op. cit., P. 93.
(3) Wilhelm, Gundzuge der, P. 93.
(4) Ibid., P. 93.

(5) انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 215.

المنطقتين والتي استغرقت مئات السنين مع الآلهة المستعارة، فتكون الأخيرة في الواقع قليلة، ومع ذلك فإن العديد من صفات الآلهة الحورية الأصلية كانت متأثرة في صفاتها بنظيراتها من بلاد الرافدين.

ومن الآلهة المستعارة.

أ- الإله نركال: إله العالم السفلي، سومري الاصل [1]، ويعود أقدم شاهد على عبادته عند الحوريين من خلال النقشين التأسيسيين لملكي مدينة اوركيش (اتال-شين، وتيش-اتال) ثم استمرت عبادته فيما بعد لكن ليس في كل المدن الحورية[2].

ب- الإله ايا (إله الأرض والمياه والحكمة عند سكان بلاد الرافدين) كان يعرف عند السومريين (انكي)، وعند الأكديين (ايا)[3]. لقد قدس من قبل الحوريين منذ نهاية العصر الأكدي، واستمرت عبادته في مناطق حورية متفرقة، ونرى الملك الميتاني شاتيوازا في المعاهدة التي أبرمها مع الملك الحثي شوبيلوليوما ينعت الإله أيا في قائمة الآلهة التي أقسم بها في تلك المعاهدة بأنه "سيد الحكمة" [4].

ج- كما قدس الحوريون في أوغاريت إلهة تدعى (نيكال) كزوجة لإله القمر الحوري كوشوخ، ومن المرجح جداً هي نفسها ننكال زوجة إله القمر ننا (سين) في بلاد الرافدين[5]. ولا بد أن عبادة هذه الآلهة قد انتقلت إلى الحثيين طالما أننا نعرف بأن أميرتين حثيتين كانتا تحملان اسم هذه الآلهة جزءاً من اسميهما المركبة وهما (نيكال-ماتي)، و(اشمو-نيكال) المارتي الذكر[6].

د- الإله انو والإله الالو اللذين ورد اسميهما في الأساطير الحورية كونها من الآلهة بالغة القدم، حيث كان الإله الالو سيد الآلهة ، ثم أصبح فيما بعد الإله انو هو زعيم الآلهة الحورية، وبعد ذلك انتهت سيادتها فيما بعد لصالح الإله تيشوب، وبما أن الإله انو هو زعيم الآلهة في بلاد الرافدين ومصدر الألوهية البالغة القدم، فلا شك أن الأسطورة الحورية التي تتحدث عن التعاقب الإلهي قد عدت الإلة الالو، وانو هما أقدم الآلهة في الكون.

---

(1) طه باقر، تاريخ العراق القديم، ج 2، ص 17.

(2) Salvini, Op. cit., P. 107.

(3) طه باقر، تاريخ العراق القديم، ج2، ص 13.

(4) Wilhelm, Grundzuge der, P. 88.

(5)Wilhelm, Grundzuge der., P. 88.

(6) Guterbock, “The Hurrian Element”, P. 383.

وفضلا عن آلهة بلاد الرافدين فقد وجد عدد من آلهة شمالي سوريا، التي تعود عبادتها إلى زمن قديم سبق الأموريين، طريقها إلى مجمع الآلهة الحوري، وقد تمت معرفة ذلك من خلال قوائم النذور الحثية والحورية التي عثر عليها في بلاد كيزواتنا[1]، كذلك من خلال المعبد الصخري الحثي الذي يقع في منطقة يازيليكايا[2]، ولقد ساور الشك في البداية في أن يكون أصل هذه الآلهة من شمالي سوريا، نظراً لعدم وجود شواهد نصية حورية من داخل سوريا تدعم ذلك، لكن تم التأكد من ذلك بعد قراءة النصوص المكتشفة في مملكة ابيلا[3] إذ تم التعرف من خلالها على مجمع الآلهة في شمالي سوريا الذي يعود الى اقدم العصور التاريخية ، إذ ذكرت تلك الآلهة الموجودة في قوائم النذور المارة الذكر. ومن هذه الآلهة:

أ- الإله اشتابي (Aštabi) إله الحرب عند الحوريين. ب- الإله ادامـا Adamma. ج الإلهه إشخارا Išhara، ولم تعرف صفة هذين الإلهين الأخيرين، غير أن الإلهه إشخارا عرفت في بلاد آسيا الصغرى فيما بعد بأنها إلهة للقسم والمرض[4]. وعلى العموم فإن الإلهة المستعارة سواء من بلاد الرافدين أو سوريا انتشرت في مناطق دون مناطق حورية أخرى.

ثانياً: الأساطير الحورية

إن دراسة الأساطير الحورية اعتمدت بشكل أساس على قراءة نصوص الأساطير الحثية، إذ أن كثيراً من الأساطير الحثية عبارة عن ترجمات لأصل حوري[5]، وبالتالي فإن أغلب الأساطير الحورية التي تم التعرف عليها مدونة باللغة الحثية، والواقع أن هناك بعض الأساطير حورية اللغة، لكن لم يتمكن من ترجمتها بشكل دقيق وواضح[6].

---

(1) Ibid., P. 88.

(2) تقع هذه المنطقة على بعد حوالي 3 كم من مدينة بوغازكوي. ينظر: سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 295.

(3) ابيلا : من ممالك سوريا القديمة ، تقع جنوب غرب حلب بنحو 70 كم ، ويعرف موقعها في الوقت الحاضر باسم تل مرديخ ، وكان لهذه المملكة دور مهم جداً في الكشف عن حضارة سوريا خلال الالف الثالث قبل الميلاد بماقدمته من نصوص كتابية بلغت نحو سبعة عشر الف لوح . لمزيد من التفاصيل ينظر : اسراء عباس جاسم ، مملكة أبيلا وعلاقاتها ببلاد وادي الرافدين ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد : كلية الآداب ، 2003) ، ص 9 وما بعدها .

(4) Wilhelm, Grundzuge der, P. 91.

(5) تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ص 177؛ Hoffner, Op. cit., P. 178.

(6) Guterbock, Kumarbi, PP. 1-2.

أن معظم الأساطير الحورية تدور أحداثها بشكل رئيس حول عملية توراث الأجيال الإلهية عبر دهور أسطورية، وبعضها لم يخلوها الصراع من أجل السيادة الإلهية[1]، ويصل ذلك الصراع ذروته ببلوغ إله الطقس (تيشوب) السيادة، وهذه الأساطير لم تتحدث عن أصول الآلهة، كما انها لم تتطرق إلى مسألة نشأة الكون[2]، ولا نعرف السبب الحقيقي لذلك، هل هو عدم استطاعة رجال الدين الحوريين من وضع تفسير لمسألة خلق الكون، أم أن الموضوع لا يتعدى النقص الحاصل في النصوص الدينية الحورية المكتشفة، ومنها أسطورة خلق الكون، ونرى أن السبب الثاني هو الأرجح.

ومن تلك الأساطير الحورية المكتشفة في بلاد الحثيين، أسطورة كوماربي ومحاولته بلوغ درجة السيادة الإلهية، ومما جاء فيها: "**كان الإله ألالو Alalu جالساً على العرش، وكان انو العظيم أول الآلهة، يقف أمامه، وينحني عند قدميه، ثم يضع كؤوس الشراب في يده، ولتسع سنوات معدودات كان ألالو ملكاً في السماء، وفي السنة التاسعة شن انو حرباً ضد ألالو، وانهزم أمامه، ذاهباً إلى الأسفل، إلى الأرض المظلمة، فجلس انو على العرش مكانه، لقد كان انو جالساً على عرشه، وكان كوماربي العظيم يقدم له الشراب، وينحني عند قدميه، ثم يضع كؤوس الشراب في يده، ولتسع سنوات معدودات كان انو ملكاً في السماء، وفي السنة التاسعة كان على انو أن يشن حرباً ضد كوماربي، فقام كوماربي، سليل ألالو، بشن حرب ضد انو، غير أن انو لم يعد قادراً على الصمود أمام عين كوماربي فانسل من بين يديه وهرب، أجل لقد انسل انو وذهب إلى السماء، فانطلق كوماربي خلفه، وأمسك بانو من قدمه، وجره إلى الأسفل**"[3].

ويظهر من نهاية النص أن إله الجو قد تمكن من بلوغ درجة السيادة، غير أن الجزء الذي يتحدث عن هذا الأمر من النص مخروم[4]، وعلى اية حال فقد تبين من خلال نص إحدى الشعائر الدينية الحثية أن إله الجو او الطقس (تيشوب) تمكن من

---

(1) Wilhelm, Grundzuge der, P. 94.

(2) Hoffner, Op. cit., P. 191; Wilhelm, Grundzuge der, P. 95.

(3) فاضل عبد الواحد علي، من ألواح سومر، ص ص 194-195.

(4) Guterbock, "The Song of Ulltikummi", P. 138.

طرد كل الآلهة السابقة بضمنهم كوماربي إلى الأرض السفلى[1]، وأصبح هو سيد الآلهة وملكها في السماء[2].

وعلى الرغم من أن هذه الأسطورة حورية الأصل، لكن تأثير المعتقدات الدينية البابلية واضحة فيها أيضاً، إذ أن الآلهة التي تدور حولها الأسطورة باستثناء كوماربي هي بابلية الأصل، كما جاء في الأسطورة بأن كوماربي قد ذهب إلى مدينة نفر السومرية، وهذا يعني أن كوماربي كان يطابق أحياناً مع الإله انليل الذي كان مركز عبادته في نفر، وفضلاً عن ذلك يظهر التأثير البابلي واضحاً من خلال فكرة الصراع على العرش بين الآلهة السماوية على غرار أساطير الخليقة في بلاد الرافدين، ولاسيما قصة الخليقة البابلية[3].

ثمة أسطورة أخرى تصور محاولة التنين أو الأفعى الويانكا أو ايلويانكاس القضاء على إله الجو. وملخص هذه الأسطورة هو أن معركة حدثت بين التنين الويانكا وبين إله الجو، وفي الجولة الأولى من المعركة انتصر التنين على إله الجو وتمكن من انتزاع قلبه وعينيه، وكان إله الجو قد تزوج في السابق بامرأة من البشر فولدت له ولداً، وعندما كبر تزوج بنت التنين، ثم طلب إله الجو من ابنه أن يفتش عن قلبه وعينيه ،وفعلاً تمكن من العثور عليها وأرجعها إلى أبيه ، فاستعاد قوته في الحال، ثم بعد ذلك نازل التنين في جولة ثانية، وهنا وقف الابن إلى جانب التنين والد زوجته، ولكن في النهاية تمكن إله الجو من قتل التنين ، ثم بعد ذلك قتل ابنه أيضاً[4].

لا شك أن هذه الأسطورة لا تخرج في موضوعها عن نطاق الصراع من أجل السيادة الإلهية التي كانت دائماً تحسم في النهاية لصالح إله الجو او الطقس وفق الأساطير الحورية.

---

(1) Guterbock, Kumarbi., PP. 2-3.

(2) فاضل عبد الواحد علي، المصدر السابق، ص 193؛
Guterbock, “The Song of Ulltikummi”, PP. 135-138.

(3) فاضل عبد الواحد علي، المصدر السابق، ص 193.
عن قصة الخليقة البابلية ينظر: فاضل عبد الواحد علي، سومر أسطورة وملحمة، ط2 (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2000)، ص ص 118–124.

(4) تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ص 177؛ سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 303.

وهناك أسطورة أخرى تدعى أسطورة "خيدامو" تدور أحداثها حول محاولة كوماربي لبلوغ السيادة الإلهية مرة أخرى، وخيدامو هذا هو الثعبان الكبير ابن الإله كوماربي الذي رزق به من شيرتب شورخي الابنة العملاقة لإله البحر، وكان الثعبان الكبير خيدامو يعيش ويتربى في مكان لا يعلمه أحد، ونتيجة لهذه العزلة تظهر لديه شهية وحشية للأكل سوف تبيد البشر. غير أن الآلهة عشتار (شاوشكا الحورية) تكتشف بالصدفة مخبأ خيدامو، فارتعبت مما رأت فذهبت مسرعة إلى أخيها إله الجو تيشوب ، وعندما أبلغته بالأمر أخذ يبكي حتى غرق بدموعه، ثم يذهب الإله أيا شاكياً إلى الإلهة الحورية السماوية من صنيع كوماربي، وفي النهاية تمكنت الآلهة السماوية من السيطرة على خيدامو ،وذلك عن طريق الإلهة عشتار التي أغوته بجسدها العاري، حيث خرج من البحر سائراً خلفها، وعندما خرج من البحر انتهت قوته التي كان يستمدها من البحر ، فقضت عليه الآلهة[1].

يلاحظ من هذه الأسطورة أن كوماربي هذه المرة حاول بلوغ السيادة عن طريق إبادة البشرية التي تقدم النذور والعطايا للآلهة، وهذه الفكرة قد وجدناها في قصة الطوفان التي جاءت في الرقيم الحادي عشر من ملحمة كلكامش، فبعد حدوث الطوفان وجهت آلهة بلاد الرافدين السماوية اللوم إلى الإله انليل الذي كان السبب الأول في أحداث الطوفان[2]، وبذلك يظهر التأثر الحوري بهذه القصة التي سبقت أسطورة خيدامو بزمن طويل[3]. ثم أن المساعدة التي قدمه الإله ايا (إله الحكمة) هنا لا تبدو غريبة عن المساعدات التي كان يقدمها من أجل إنقاذ البشر في أساطير بلاد الرافدين، ولعل أهمها قصة الطوفان، فعندما قررت الآلهة إحداث الطوفان في الأرض أوعز إلى (اتونابشتم) ببناء سفينة لإنقاذ الحياة على الأرض.

ومسألة مهمة يمكن استنتاجها من هذه الأسطورة، وهي أن الحوريين كانت لديهم معرفة بأن الآلهة هي التي خلقت البشر من أجل خدمتها، ورفع الأعباء الاقتصادية التي كانت مفروضة عليها في البداية، وتقدم لها القرابين، وبالمقابل فإن

---

(1) Wilhelm, Grundzuge der, PP. 97-98.

(2) للإطلاع على قصة الطوفان، ينظر: طه باقر، تاريخ العراق القديم، ج 2، ص 178 وما بعدها.

(3) لقد وجدت أجزاء من ملحمة كلكامش في سوريا مترجمة باللغة الحورية، وهذا يعني التأثر الحوري بهذه الملحمة، ومن المعروف أن هذه الملحمة انتشرت في مناطق مختلفة من الشرق الأدنى كجزء من انتشار الأدب الرافدي في تلك البقاع. ينظر: فاضل عبد الواحد علي، سومر أسطورة وملحمة، ص 64؛ ادوارد كييرا، المصدر السابق، ص 274.

علـى الآلهـة أن تعطـي البشـر مـا يطلبـه منهـا. ونـرى ذلـك واضـحاً فـي ثنايـا أسـطورة خيدامو حيث تقول الآلهة "**إن تفنوا البشرية فإنها لن تحتفل بالآلهة بعد ذلك، ولا أحد سيقدم للآلهـة الخبـز والشراب، وسيمسـك إلـه الجـو ملـك مدينـة كوميا** (مركـز عبـادة تيشوب)، **بعد ذلك بالمحراث بنفسه، وبعده ستقوم الإلهـة عشتار**[1] **وخيبات بطحن الحبوب علـى حجـر الرحـى بنفسيهما**"[2]. وتجـدر الإشـارة أخيـراً إلـى القـول بأنـه علـى الرغم من المحاولات الفاشلة لكوماربي لنيل الزعامـة الإلهيـة، إلا أنـه كـان يوصـف بأنـه إله ذكي وماكر وداهية، إنه يدعى (سيد/ملك الحكمة)[3]، في الأسلوب ذاته الذي كـان يدعى به الإله السومري انكي بأنه (سيد الحكمة)[4].

ثالثاً: العبادات الحورية:

الواقـع أنـه بسـبب قلـة النصـوص الدينيـة الحوريـة، فـإن الإطـلاع علـى أمـور العبادات الحورية أو الشعائر الدينية بشكل عام اعتمد على جمع معلومات متفرقة من بعض منـاطق الحـوريين التـي وردت منهـا نصـوص تخـص العبـادات، وهـذا يعنـي أنـه ليس هناك مسح شامل لكل مناطق الحضارة الحورية، ومع إمكانية القول بأن كثير من العبادات الحورية لا تختلف بين منطقة حورية واخرى ، لكن بالمقابل هناك وبكل تأكيد عبـادات مختلفـة جـاءت نتيجـة تـأثر هـذه المنطقـة الحوريـة أو تلـك بعبـادات الأقـوام الأخرى المحيطة بهم أو المختلطة معهم. ومن قراءة النصوص الدينية الحورية المتوفرة الخاصة بالشعائر الدينية لا يظهر شيء في تلك الشعائر يميزها عن تلك التي كانت سـائدة فـي الشـرق الادنـى القـديم. هـذا وقـد تعرفنـا أيضـاً علـى بعـض الشـعائر الدينيـة الحوريـة مـن خـلال نصـوص تعبديـة فـي حاتوشـا هـي عبـارة عـن ترجمـات لأصـل حوري[5].

---

(1) من المفترض أن اسم الآلهـة هو شاوشاكا طبقاً للروايـة الحوريـة، ولكـن الحثيين كـانوا يكتبـون أحيانـاً إلهـة الحـب والجمـال باسـمها الأكـدي وهـو عشـتار، وحتـى الحـوريين كـانوا يسـتخدمون هـذا الاسـم أحيانـاً فـي نصوصهم الدينية على اعتبار أن عشتار هي نظيرة لشاوشكا. ينظر: تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ص 172.

(2) Wilhelm, Grundzuge der, PP. 101-102.

(3) Hoffner, Op. cit., P. 192.

(4) J. Black and A. Green, Gods Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia (London, 1998), P. 75.

(5) Guterbock, “The Song of Ullikummi”, PP. 135-136; Hoffner, Op. cit., PP. 189-190.

كان المعبد (يسمى في الحورية بورلي) المكان الرئيس للعبادة ، فهو بيت الإله وفيه يقيم الكهنة الذين تنحصر واجباتهم في خدمة الرب، وتلبية حاجاته، وتعليم الناس كيفية أداء الصلوات وتقديم القرابين وغيرها من أمور العبادة، والمعابد الحورية القليلة التي تم الكشف عنها لا تظهر أية خصوصية معمارية تختلف عما كان سائداً في بلاد الرافدين وسوريا. ومنها على سبيل المثال ما وجد في نوزي ويعرف بالمعبد ذي المحور المحني الذي كان شائعاً في بلاد الرافدين خلال الألف الثالث، ويظهر نموذج آخر من المعابد الحورية في الالاخ (الطبقة الرابعة) يشبه تلك المعابد التي كانت شائعة في سوريا الشمالية قبل قدوم الحوريين، والتي كان بناءها عبارة عن قاعة أمامية رئيسة مستطيلة مغلقة من جهة ومفتوحة من الجهة الأخرى بمدخل يسبقه رواق يرتكز على عمودين وفي داخل القاعة يوجد المذبح، ثم ساحة رئيسة، ومحراب يوجد في الجدار يتصدر الساحة، وهناك ممر رئيس يربط بين تلك الأجزاء[1].

كان الطعام (النذر) الأساسي الذي يقدم للإله في نوزي هو الخبر، ففي قائمة من نوزي تضمنت تعداداً لمواد وضعت في المعبد نجد من بينها كمية من الطحين قدمت الى إلهة المدينة عشتار كانت تكفي ليومين[2]. وفي حلب نجد ضمن الشعائر الخاصة بعبادة الآلهة الحورية لاسيما الإله تيشوب والآلهة خبات قوائم تعدد أصناف الطعام والشراب الذي يقدم للآلهة في المعابد[3]. ولم يقتصر الأمر على نذور الطعام والشراب في المعابد، بل كانت هناك أعمال أخرى، فتماثيل الآلهة التي تنتصب في ساحة المعبد الرئيسة كانت تدهن بين وقت وآخر بالزيت، وهذا واضح من خلال قوائم استهلاك الزيت المقدم للمعابد في مدن ارابخا[4].

وبحسب المعلومات المتوفرة من الآثار المادية والكتابية فإنه كان يوجد داخل المعبد مجموعة من الأدوات ذات العلاقة بتأدية الطقوس الدينية، فهناك الأثاث التي وضعت من أجل راحة الآلهة ، مثل كرسي العرش، والسرير والكرسي الواطئ، والكرسي العادي، ومن معبد وجد في اعالي الخابور استخرج عدد من الجرار الفضية التي يعتقد أنها كانت تستخدم للتطهير، فبحسب المعتقدات الحورية أن الفضة كانت

---

(1) Wilhelm, Grundzuge der, P. 105.
(2)Wilhelm, Grundzuge der, P. 102.
(3) Ibid., P. 104.
(4) Ibid., P. 105.

لها فاعلية قوية في هذا الأمر[1]. وفي معبد الإلهة شاوشكا في نوزي وجدت تماثيل لأسود، وأواني على هيئة أسود كانت تستخدم لسكب السائل المقدس على الأضاحي المنذورة، كما وجد في معبد شاوشكا تماثيل لنساء عاريات بولغ في إبراز ملامحهن الجنسية. وهذه الأدوات الشعائرية (تماثيل الأسود والنساء) لا شك كانت تمثل صفتي شاوشكا كإلهة للحرب والجنس [2]. ومن قطنا (تل المشرفه) وصلتنا مجموعة نصوص عبارة عن قوائم جرد بموجودات المعبد بضمنها الأثاث، وكثير من تلك الموجودات تحمل أسماء حورية، ومن ثم فإن المعبد لابد ان يعود للحوريين، فكما نعلم بأن الوجود الحوري في قطنا كان قوياً[3].

ومثل غيرهم من الشعوب القديمة الاخرى فإن الحوريين كانوا يقيمون عدد من الاحتفالات الدينية في أوقات معينة من السنة[4]. ففي ارابخا كان هناك عيد ديني يمارس في أول يوم من كل شهر ، ويسمى نسبة إلى اسم الشهر الذي يقع فيه ، مثل عيد كينونو، وعيد ميتيروني وغيرها. والأعياد هذه نفسها كانت تمارس في الالاخ، وفي نص حوري ورد من ارابخا يفهم منه أنه كان هناك عيد ديني يحتفل به في منتصف الشهر ، لمناسبة تطهير معبد الآلهة عشتار في ارابخا[5].

ومن خلال عدد من النصوص عثر عليها في حاتوشا يستخلص منها أن الأعياد الدينية كانت تقام في كل مناطق الحوريين، ومن ذلك رقيمان دون جزء منهما باللغة الحورية كانا يصفان شعائر عيد الشتاء، الذي يستمر أربعة أيام، وقد كرس هذا العيد للآلهة عشتار إلهة نينوى، وفي نص من حاتوشا أيضاً نعرف بأن هناك عيد حوري كبير أعيد تدوين شعائره باللغة الحثية من جديد بأمر من الملكة الحثية بودو–

(1) Ibid., P. 105.
(2) Ibid., PP. 107-108.
(3) Ibid., P. 108.
(4) Hoffner, Op. cit., P. 185.
(5) Wilhelm, Grundzuge der, P. 102.

خيبا[1] (1250 ق.م) يعرف باسم عيد خيشوا، علماً أن النسخة الأصلية الحورية قد جلبت من بلاد كيزواتنا[2] إحدى مواطن استقرار الحوريين.

وكان للفأل والتنبؤ الذي له صلة وثيقة بالدين مكانة عند الحوريين لمعرفة المستقبل، وقد تعلم الحوريون معظم الأمور المتعلقة بهذا الجانب من سكان بلاد الرافدين، ثم قاموا بدور الوسيط في نقل ذلك إلى الحثيين[3]. ونعرف ان العرافة الحوريون اعتمدوا في قضايا الفأل والتنبؤ على وسائل عدة للحصول على الجواب ، أهمها فحص أحشاء حيوان مذبوح (شاة أو كبش) لاسيما كبده، أو مراقبة طيران طير ، وهذا ما كان سائداً في بلاد الرافدين[4]، فأما الطريقة التي يحصل بها العراف على معلوماته من فحص أحشاء الحيوان ومنها الكبد مثلاً هو النظر إلى شكل الكبد ولونه، تضخمه أو ضموره، أو هل عليه تشققات وغيرها، وهكذا بالنسبة لبقية أعضاء الحيوان المذبوح، وعن طريق تلك الظواهر التي تظهر على العضو يستنبط العراف نبوءاته وفأله[5]. ولا يختلف الحال كثيراً مع الطير فمن خلال حركة الطير واتجاهه يستنبط العرافة إجاباتهم[6]. ويستنتج من نصوص العرافة المكتشفة في مدينة ايمار (تل مسكنه حالياً في سوريا) إن هذه المدينة كانت مركزاً لممارسة العرافة الحورية بواسطة فحص

---

(1) بودو-خيبا هي زوجة الملك الحثي حاتوشيلي الثالث (1267-1237 ق.م) من المرجح أنها حورية الأصل استناداً إلى اسمها وبلادها، ويعتقد أنه كان لها تأثير كبير على زوجها في نقل كثير من مظاهر الدين الحوري إلى الدين الحثي خلال العصر المتأخر للملكة الحثية. ينظر:
Klengel, Op. cit., P. 136; McMahon, Op. cit., P. 70;
سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 297.

(2) Wilhelm, Grundzuge der, P. 103.

(3) Hoffner, Op. cit., P. 188.

(4) Wilhelm, Grundzuge der, P. 109.

(5) فاضل عبد الواحد علي، "العرافة والسحر"، ضمن كتاب حضارة العراق، تأليف مجموعة من الباحثين العراقيين (بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، 1985)، ج1، ص 210.

(6) المصدر نفسه، ص 199.

الأحشاء[1]. ووصلتنا من حاتوشا مجموعة من النصوص تتحدث عن عرافة بواسطة الطير[2] يرجح أنها ذات أصل حوري[3].

ويتضح من ذلك بأن الحوريين كان لهم اهتمام بهذه المسألة التي لها مساس بالفرد والدولة بمفهوم المعتقد القديم، فالفرد العادي عندما تواجهه مشاكل في حياته يلجأ إلى العراف ليعرف سبب ذلك وكيفية الخلاص منه، وبعض من الناس عندما يريد أن يقدم على عمل ما يلجأ إلى العراف أيضاً ليأخذ له فأل في ذلك، وهكذا بالنسبة للدولة عندما تواجهها الأزمات كالحروب أو الأوبئة، أو عندما تنوي على القيام بحرب ضد دولة أخرى وغيرها من الأمور تأخذ الفأل والنبوءات من العراف، علماً أن الدولة وعلى رأسها الملك كان له عرافيه الخاصين.

أما فيما يتعلق بالسحر[4]، فإنه في الواقع ظاهرة شائعة لدى كافة الشعوب القديمة، والحقيقة أن جزء كبير من ممارسات الحوريين الدينية كانت طقوساً سحرية ترافقها التعاويذ[5]، وكان اهتمام الحوريين بالسحر قوياً إلى درجة أن بلاد كيزواتنا تأثرت بطرق هذا السحر تأثراً قوياً للغاية، ومن كيزواتنا وفد عدد من السحرة إلى بلاد الحثيين حيث علموهم الكثير من طرق ذلك السحر[6]، ولا يخفى أن الحثيين أيضاً قد أخذوا معلومات خاصة بالسحر من بلاد الرافدين وحوروها بما يتلاءم وعقيدتهم[7].

يقسم السحر إلى نوعين، سحر يهدف إلى اللعن وجلب الأذى والشرور إلى الفرد والجماعة، وقد أطلق عليه السحر الأسود، وسحر مبارك يهدف إلى منفعة الناس

---

(1) Wilhelm, Grundzuge der, P. 110;
جان كلود مارغرون، "ايمار"، ترجمة لوريس شهلا، مجلة الحوليات الآثارية العربية السورية، م33، ج2 (دمشق، 1983)، ص ص 269-271.

(2) كان الأكديون يسمون العراف المختص باستنباط الفأل من حركة الطيور بـ(داكل اصوري) أي مراقب الطير، وهي كلمة ذات اصل سومري . ينظر: فاضل عبد الواحد، "العرافة والسحر"، ص 199.

(3) Wilhelm, Grundzuge der, P. 110.

(4) تهدف العرافة إلى الاتصال بالآلهة لمعرفة ما تقدره من خير أو شر سواء للفرد أو المجتمع، بينما السحر فإن القائم بالعملية (الساحر) يهدف من سحره تحقيق أغراض أما أن تكون جيدة ومباركة مثل شفاء المرضى أو جلب السعادة والخير، أو سحر مضر مثل إلحاق الأذى بفرد أو أكثر. ينظر: فاضل عبد الواحد، "العرافة والسحر"، ص 197.

(5) Bienkowski and Millard, Op. cit., P. 150.

(6) سامي سعيد ورضا جواد، المصدر السابق، ص 301.

(7) تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ص 175.

سواء شفائهم من الأمراض أو إبعاد أي أذى أو شر لحق بهم (السحر الأبيض)[1]. وكان السحرة الحوريين عند القيام بالأعمال السحرية يقرأون التعويذات[2] التي هي مظهر من مظاهر الدعاء للآلهة العظيمة من أجل تلبية صاحب الحاجة[3]. وقد وصلتنا من جنوب بلاد الرافدين مجموعة من نصوص التعويذات الحورية التي ترجع في زمنها إلى العصر البابلي القديم، ودونت باللغة الحورية، وفي حواشيها شروح باللغة السومرية، وكانت ذات أغراض مختلفة مثل تعويذة ضد لدغة الأفعى، أو ضد شيطان وما إلى ذلك من أمور[4]. ويعتقد أن هذه التعويذات انتقلت إلى جنوب بلاد الرافدين من المناطق الحورية شمالي بلاد الرافدين خلال عصر أور الثالثة السومرية. ومثل هذه التعويذات عثر عليها في أوغاريت وماري والالاخ وغيرها من المدن الحورية[5]، وعثر في حاتوشا على عدد كبير من الشعائر السحرية الحورية التي كانت شائعة في مناطق الحضارة الحورية المختلفة، وعلى الرغم من هذه الشعائر السحرية كانت مدونة باللغة الحثية، إلا أنه يمكن ملاحظة أصولها الحورية بسهولة وذلك من خلال المصطلحات الحورية المستخدمة، وعملية تطبيق تلك الشعائر التي تماثل إلى حد كبير الحورية[6]، ويصبح الأمر مؤكداً وبشكل لا يقبل الشك من خلال أن بعض من تلك الشعائر السحرية المدونة بالحثية كانت ترافقها تعويذات حورية مكتوبة باللغة الحورية[7].

إن الغرض من استخدام السحر الأبيض بالمفهوم الحوري هو التطهر من النجاسة سواء النجاسة بمعناها الاعتيادي، أو النجاسة التي تعني المرض ، أو خطر الشيطان والأرواح الشريرة، وبذلك فإن النجاسة هي مرادفة للسحر الأسود[8]. ويتم التطهر بالسحر الأبيض من خلال طرق عديدة، ومنها استخدام الماء، واستخدام الحيوانات والطيور، ثم تطبق شعائر وتعويذات معينة تتلاءم والطرق المستخدمة للتطهر[9]، ومن طقس سحري استخدم فيه الماء، نقرأ التعويذة الآتية:

---

(1) فاضل عبد الواحد، "العرافة والسحر"، ص 202؛ Wilhelm, Grundzuge der, P. 111.

(2) كان السحرة في بلاد الرافدين يقرأون التعويذة أيضاً عند ممارسة السحر. ينظر: فاضل عبد الواحد، "العرافة والسحر"، ص 203.

(3) Wilhelm, Grundzuge der, P. 112.
(4) Ibid., P. 112.
(5) Ibid., P. 112.
(6) Hoffner, Op. cit., PP. 189-190.
(7)Ibid., P. 189.
(8) Wilhelm, Grundzuge der, P. 111.
(9) Hoffner, Op. cit., PP. 187-188.

"كما أن الماء هذه طاهرة...، هكذا ليت يكون فلان [أو فلانة] صاحب النجاسة طاهر أمام الإله والبشر". ونقرأ من ضمن ما جاء في شعائر هذا الطقس **"هو صاحب النجاسة يغسل نفسه، وعندما يتهيأ للاغتسال يحضر كاهن التعويذ الذي يحفظ المياه الطاهرة ... وما أن ينتهي صاحب النجاسة من الاغتسال حتى يقوم أحدهم بسكب ذلك [أي الماء] في إناء غسيل مصنوع من النحاس أو البرونز"**[1].

ومن طرق التطهير بالحيوانات هو ان يذبح الحيوان أو الطير بطريقة شعائرية معينة، ويقرأ تعويذة يطلب فيها من آلهة العالم السفلي أن تأخذ دم الحيوان أو الطير إلى العالم السفلي، وبذلك تنتقل مع هذا الدم الشر والنجاسة، وطريقة أخرى يدفن الطير أو الحيوان فتختفي بدفنهما النجاسة، وطبعاً تطبق الشعائر والتعويذات عند الدفن، أو يساق حيوان إلى مسافة بعيدة لينقل معه النجاسة بعد أن تقرأ عليه التعويذة[2].

وفيما يتعلق بالشعائر الدينية الخاصة بالموتى وعادات الدفن، فلم يعرف عنها شيء بعد، ولكن من خلال بعض الأدلة يظهر أن الحوريين كان لهم اهتمام بالموتى، فالملك الميتاني توشراتا بعث برسالة إلى الفرعون المصري من ضمن ما جاء فيها طلب مزيد من الأموال لبناء ضريح من الحجر لجده[3]. كذلك من نوزي ورد نص فيه ذكر لتماثيل صغيرة تمثل أرواح الموتى. أيضاً من بعض المواضيع التي نقشت على الأختام (سنبين ذلك لاحقاً)، وهي تعبر عن بعث الحياة أو الموت يستنتج بأن الحوريين كانوا يؤمنون بحياة ما بعد الموت، وبالتالي من المفترض أنهم يعتنون بجثث الموتى بشكل يوفر لها طيب الحياة في العالم الثاني.

ومن ضمن وثائق نوزي عثر على وثيقة تذكر ملك يدعى باراتارنا قد توفي وأحرقت جثته[4]، وبما أن اسم هذا الملك هو هندواري، فيظهر أن الهندواريين قادة الدولة الميتانية كانوا يمارسون هذه العادة التي أتوا بها من مناطقهم الأصلية[5]، لكن ليس لدينا دليل واحد على أن الحوريين مارسوا هذه الحالة.

---

(1) Wilhelm, Grundzuge der, P. 114.
(2) Hoffner, Op. cit., PP. 187-188.
(3) Wilhelm, Grundzuge der, P. 119.

(4) عبد الله الحلو، المصدر السابق، ص 530.

(5) سيف الدين الكاتب، أطلس التاريخ القديم (حلب : دار الشرق العربي للطباعة والنشر ،2005)، ص

المبحث الرابع

الفـن (نحت، أختام، فخار، عمارة)

في الحقيقة أنـه باستثناء فن صناعة الفخار والأختام الاسطوانية، فإن ما تم الكشف عنه من فنون تشكيلية أخرى تكاد لا تشكل شيء يذكر مقارنة مع ما قدمته الحضارات القديمة الأخرى في هذا المجال ، وابرزها حضارة بلاد الرافدين وبلاد الشام مركز استيطان الحوريين، وكحال عناصر الحضارة الحورية الأخرى فإن سبب ذلك لا يتعدى قلة التنقيب في مواقع الحضارة الحورية، فضلاً عن أن العاصمة الميتانية الكبرى التي يمكن أن تكشف لنا الكثير عن أسرار ذلك الفن ، لاسيما فن النحت والعمارة لا تزال مفقودة. ولا بد من القول أن معظم ما عثر عليه من الفنون التشكيلية الحورية يعود إلى زمن عصر الدولة الميتانية.

سوف نبدأ أولاً بالفخار الذي كان أكثر عناصر هذا الفن انتشاراً، حيث شاع استعماله في جميع أنحاء المناطق الحورية الممتدة من زاكروس شرقاً حتى البحر المتوسط غرباً، كما انتشر في مناطق أخرى من الشرق القديم[1]، وامتاز هذا الفخار بألوانه وزخارفه الخاصة التي ميزته عن الفخار المستخدم عند أقوام الشرق الأدنى القديم الأخرى.

لقد امتازت الأدوات الفخارية المستعلمة بشؤون الطبخ، والخدمات المنزلية الأخرى بجمالها ودقة صنعها، وتشكيلاتها المختلفة، كانت ألوانها في الغالب غامقة (بني، أسود، مائل إلى الصفرة)، على ظهرها حلقات سوداء غير لامعة، ورسمت عليها أشكال نباتية وحيوانية (طيور، ماعز، سعف النخيل) وباللون الأبيض[2]. كذلك رسمت أشكال هندسية مختلفة أحياناً لوحدها على الفخار، وأحياناً أخرى توضع إلى جانب أشكال النباتات والحيوانات لتشكل منظراً متناسقاً، وكانت هذه الأشكال الهندسية ترسم باللون الأبيض أيضاً[3].

16؛ March, Cultural Atlas, P.133

(1) انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى، ص ص 208–209.

(2) المصدر نفسه، ص 209؛ Wilhelm, Grundzuge der, P. 126.

(3) أحمد بهجت ابراهيم، المصدر السابق، ص 25.

وظهر هذا النوع من الفخار في نوزي وألالاخ وتل براك وغيرها من المدن الحورية المنتشرة في شمالي بلاد الرافدين وسوريا [1]،ينظر شكل (1)، ومثل هذا الفخار استعمله الحوريون الموجودون في فلسطين، إذ عثر عليه في الطبقة الأثرية التاسعة بمدينة مجدو التي يعود تاريخها إلى النصف الثاني من القرن السابع عشر وهو وقت الانتشار الحوري[2]. ويبدو أن لجمالية هذا الفخار أثره في أن يقلد من قبل الآشوريين، كذلك الأموريين في سوريا[3]. كما ظهر في العصر البابلي القديم جنوب بلاد الرافدين فخار مميز عبارة عن أقداح للشرب ذات أشكال ورسوم تظهر تأثيرات بالفخار الحوري، وتختلف عنها فقط بعدم وجود الحلقات السوداء[4].

وإذا ما ثبت عدم دخول الحوريين إلى مصر مع الهكسوس، فإن الفخار الحوري قد انتشر في بعض مدن مصر القديمة ، بدلالة الفخار الذي عثر عليه في مصر خلال العهد الهكسوسي المتأخر، والذي يماثل تماماً الفخار الحوري في بلاد الرافدين وسوريا وفلسطين.

أما فن صناعة الأختام والنقش عليها فهو الآخر كان مميزاً بطريقة النقش والتصوير، وهذه الأختام وجدت منتشرة في مناطق حورية مختلفة وبأعداد كثيرة، نقشت عليها أشكال حيوانية ونباتية مختلفة، كما صورت عليها الآلهة الحورية، ومجالس الشراب، وتقديم النذور، أو تصوير المواضيع ذات المغزى الديني وغيرها. وكل الأختام الحورية المكتشفة هي من النوع الاسطواني[5]، ويمكن تصنيفها إلى صنفين صنف بسيط يصنع من مواد ليست صلدة ، وهذا النوع غالباً ما يستخدم من قبل الناس العاديين،ثم صنف مصنوع بدقة ومن مواد صلدة مثل حجر الستياتيت أو حجر الهيماتيت، وهذا الصنف استخدم من قبل الملوك وكبار رجال الدولة، والأغنياء[6]. وقد استخدم مثقب غليظ خشن للنقش في الصنف الأول، أما الصنف الثاني فقد نقشت

---

(1) انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى، ص ص 208-209.

(2) سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين، ص 122؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص 182.

(3) انطون مورتكات، المصدر السابق، ص ص 208-209.

(4) مؤيد سعيد، "الفخار من عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي القديم"، كتاب حضارة العراق، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين (بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، 1985)، ج3، ص 42.

(5) انطون مورتكات، المصدر السابق، ص 212.

(6) علي أبو عساف، آثار الممالك القديمة في سوريا، ص 405.

عليه الأشكال بواسطة مثقب دقيق ناعم[1]. وفي كل الأحوال فإن الصنف الثاني كان الأكثر شيوعاً[2].

أما أهم الأشكال أو المواضيع التي نقشت على الأختام فهي متنوعة ، منها الصراع بين البطل العادي والأسد ، أو الأسد والثور[3]، وهذا المشهد فيه تأثر بالأختام البابلية التي تحمل هذا الموضوع، لكن ما يميز الأختام الحورية هو طريقة تركيب الأشكال في المساحة المخصصة للصور[4]. أيضاً هناك مشهد شجرة الحياة وفوقها الشمس المجنحة ويحيط بهما حيوانين أليفين أو حيوان وإنسان، وهو رمز يدل على تجدد الحياة أو بعثها بعد الموت[5]. ونشاهد على ختم الملك الميتاني ساوشتاتار منظر الشجرة المقدسة فوقها قرص الشمس المجنح وعلى جانبيها ليست حيوانات أليفة كالمعتاد، بل أعداؤها التقليديين وهي الأسود التي تعد رمزاً للفناء والموت، وفي جانب آخر من الختم نرى منظر البطل مع الأسد[6].

نرى أيضاً في أختام أخرى مناظر الكائنات المركبة (إنسان زائد حيوان أو طير) ومناظر الحيوانات الخرافية كالأسد المجنح أو الطير الخرافي[7]، ومناظر الآلهة وإلى جانبها الإنسان بهيئة تعبدية، ومن ذلك مثلاً ختم نقشت عليه صورة إلهة جالسة تلبس إزاراً طويلاً ويدها اليمنى ممتدة مع انحناءة بسيطة نحو الأعلى كأنها ترفع كأساً أو تعطي إشارة تحية ، وإلى يسارها رجل يرتدي ثوباً طويلاً واليدان مرفوعتان بهيئة تعبدية[8]. وتجدر الإشارة إلى أن أغلب الأختام كانت تحمل أكثر من شكل واحد بالنسبة للأشكال التي ذكرت، وغالباً هذه الأشكال ما توزع على الختم بصورة مبعثرة

---

(1) علي أبو عساف، آثار الممالك القديمة في سوريا، ص 405.

(2) Wilhelm, Grundzuge der, P. 127.

(3) B. Teissier, Sealing and Seals on Texts from Kultepe, Karuml Leve. 2 (Istanbul, 1994), PP. 68 -69.

(4) انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى، ص 212؛ على أبو عساف، المصدر السابق، ص 405.

(5) انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى، ص 213؛ علي أبو عساف، المصدر السابق، ص 405.

(6) انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى، ص 213.

(7) يعتقد أن التأثير المصري كان حاضراً في أشكال الحيوانات الخرافية وذيلها الملفوف. ينظر: ثروت عكاشة، الفن العراقي القديم: سومر، بابل، آشور (بيروت، د.ت)، ص 411.

(8) محمد الخولي، "اكتشاف مدينة ازو الميتانية"، مجلة البحث التاريخي، ع 3 (حمص، 1984)، ص ص 73-75.

دون خطوط تفصل بينها، ومع ذلك توجد أختام تفصل الخطوط بين مناظرها المختلفة لكنها قليلة[1]. (ينظر شكل2)

إن هذه الأختام وجدت في مناطق حورية مختلفة، مثل ارابخا ونوزي[2]، والالاخ[3]، وازو[4]، واوركيش[5]، ومدينة مجدو بفلسطين[6]. وفي خارج المناطق الحورية تظهر الأختام الاسطوانية الآشورية من العصر الآشوري الوسيط تأثيرات بالأختام الحورية من ناحية المواضيع المصورة وحشو أكثر من موضوع على سطح الختم[7].

وبالانتقال إلى موضوع النحت فإنه بغض النظر عن ما نحت على الأختام فإن ما عثر عليه من أعمال نحتية حورية سواء بالنحت البارز أو المجسم هي قليلة جداً ، وكل الذي عثر عليه مجموعة من تماثيل صغيرة على هيئة أسود ونساء عاريات في معبد الآلهة شاوشكا في مدينة نوزي ،كذلك تمثال لأمير ميتاني وجد في مدينة قطنه، حيث يجلس الأمير على عرش وملتحف برداء مغطى بالفرو[8] (ينظر الشكل 4)، ومنحوتة حورية من حجر الجبس على شكل رأس كبش وجدت في نوزي وهي مشابهة لمنحوتة رأس أخرى وجدت في الالاخ، ولعل هذا التشابه بين هاتين المنحوتتين في منطقتين حوريتين متباعدتين ما يدل على وجود فن حوري موحد[9]، (ينظر شكل 5) كما عثر على منحوتة دينية مهشمة في بئر ضمن معبد الإله آشور في مدينة آشور، ومن خلال الأشكال المصورة في هذا النحت البارز والزمن الذي يعود إليه (القرن الخامس عشر ق.م) عد عملاً حورياً[10]. فعلى لوح من الحجر صور

---

(1) ثروت عكاشة، المصدر السابق، ص 413.

(2)(أروع أختام نوزي هو ختم أحد حكامها المدعو اتخي–تيشوب (1410 ق.م) (شكل3).

(3) علي أبو عساف، المصدر السابق، ص 405.

(4) محمد الخولي، المصدر السابق، ص ص 73–75.

(5) Buccellati, Urkesh and Tell Mozan, PP. 11-12.

(6) سليم حسن، مصر القديمة، ج4، ص 158.

(7) لمزيد من التفاصيل ينظر: انطون مورتكات، الفن في العراق القديم، ص ص 325–330؛ هاري ساكز، قوة آشور، ص 342؛ ثروت عكاشة، المصدر السابق، ص ص 410–411.

(8) عيسى اسعد الخوري، تاريخ حمص، ص 108.

(9) انطون مورتكات، الفن في العراق القديم، ص 325.

(10) المصدر نفسه ، ص 331؛ Wilhelm, Grundzuge der, P. 125.

بالنحت البارز وبصفات بشرية إله جبلي ينظر إلى الأمام وإلى جانبيه إلهتان صغيرتان، وهذه الآلهة الثلاثة ترتدي رداءاً طويلاً على الأرداف وعلى رأسها قبعة على شكل قلنسوة، وزين ثوب الإله الجبلي وقبعته بنقشة تشبه قشور السمك، وهذه النقشة هي رمز للجبل. أما ثوب الإلهتين فقد زين بخطوط متموجة من الماء، وكلا الإلهتين تمسكان بإناء على شكل مزهرية يفور منه الماء، بينما يمسك إله الجبل بغصنين في كل منها ثلاث عقد مثمرة[1]. (ينظر شكل6)، وبما أن تصوير آلهة الجبال بمظاهرها النباتية هي ليست فكرة سومرية أو أكدية، وإنما تعود إلى الأقوام الشمالية من الشرق الأدنى وبما أن الآلهة الحورية العظمى تسكن قمم الجبال[2]، وإن آشور كانت تحت السيطرة الميتانية في القرن الخامس عشر فقد عد هذا العمل حورياً، ويعتقد أنه عندما طرحت آشور النير الميتاني فإن الآشوريين حطموا تلك المنحوتة ورموا بها في بئر معبد الإله آشور [3].

وعثر في المدينة الملكية الحورية اوركيش على تمثالين لأسدين من البرونز وضعا في أساس معبد الإله نيركال الذي بناه الملك الحوري تيش-اتال ملك اوركيش في أواخر الألف الثالث ق.م، وسجل على كل من الأسدين نقش كتابي يوضح أن تيش-اتال هو من قام ببناء هذا المعبد[4]، وبغض النظر عن القضايا التاريخية، فإن صناعة هذين التمثالين بدقة متناهية يدلان على براعة الفن التشكيلي الحوري، وإن كان هنا تحديداً تأثراً بالأسلوب السومري الأكدي.

والواقع أنه على الرغم من هذه النتف البسيطة من الشواهد على فن النحت الحوري، إلا أن تدقيق النظر في المنحوتة الحورية التي وجدت في معبد آشور وما تحويه من أشكال بالنحت البارز، ثم صناعة تمثالي الأسد البرونزيين يؤكدان دون أدنى شك قدرة الحوريين على النحت بطريقة بارعة جداً، ومن جانب آخر فإنهم طالما استخدموا فن التماثيل التذكارية منذ دخولهم بلاد الرافدين وسوريا ، فمن المعقول جداً أن أعمالهم النحتية سواء التماثيل أو النحت على الجدران ، والألواح الحجرية قد

---

(1) انطون مورتكات، الفن في العراق القديم، ص 329.

(2) Lieck, Op. cit., P. 121.

(3) انطون مورتكات، الفن في العراق القديم، ص 331.

(4) Salvini, Op. cit., P. 106; Wilhelm, “Die Inschriff”, P. 120.

ازدادت فيما بعد بازدياد توسعهم، غير أن أمر العثور على شواهد أخرى ينتظر التنقيب.

أما فيما يتعلق بالعمارة الحورية فإن كل ما عثر عليه من بقايا الأبنية لا يمكن عده عملاً حورياً خالصاً، إذ أن البناء الحوري سار في معظم مخططاته على التقاليد القديمة لاسيما الأكدية والآشورية، ولعل أحسن ما عثر عليه من نماذج معمارية عائدة للحوريين، هما المعبدين والقصر اللذين عثر عليها في نوزي والالاخ. ويرجع تاريخ كلاهما إلى عصر الدولة الميتانية، فالمعبد الذي وجدت بقاياه في نوزي لا يختلف الا قليلاً عن المعابد ذات المحور المنحني التي كانت سائدة في بلاد الرافدين قبل قدوم الحوريين، ومنها في الطبقات السكنية الدنيا من نوزي التي يمتد زمنها إلى العصر الأكدي أيام ما كانت نوزي تعرف باسم كاسور[1]. ومعبد الالاخ هو الآخر مشابه إلى حد كبير في بنائه للمعابد التي كانت موجودة في سوريا الشمالية قبل قدوم الحوريين[2]. أما القصر الذي لم يتبقى من بنائه سوى المخطط الأساس وبعض الأجزاء المرتفعة قليلاً هنا وهناك، فقد عثر عليه في نوزي وشيده أحد حكامها الحوريين في عهد الملك الميتاني ساوشتاتار[3]، ويتضح من مخطط هذا القصر أن قسماً كبيراً من بنائه مشابه للقصور التي كانت موجودة في ماري (قصر زمري–ليم)[4]، والالاخ وآشور، لاسيما فيما يتعلق بوجود باحة رئيسة تحيط بها الأجنحة من كل الاتجاهات[5]، ومع ذلك فإن البصمات الحورية في جزء من بناء هذا القصر كانت واضحة، حيث كانت تختلف عما ألفناه في قصور بلاد الرافدين وسوريا، ومن ذلك وجود غرفة رئيسة تتميز بشكلها المستطيل والعريض[6]، مع وجود موقد على عرضها، وهذه الغرفة تستخدم كذلك كممر إلى ساحة داخلية كبيرة، وعند النهاية الجنوبية الغربية

---

(1) انطون مورتكات، تاريخ الفن في العراق القديم، ص 318؛ علي أبو عساف، المصدر السابق، ص 405.

(2) Wilhelm, Grundzuge der, P 105.

(3) ما يؤكد هذا التحديد الآثاري هو العثور على ختم اسطواني داخل قصر نوزي يحمل اسم الملك ساوشتاتار. ينظر: انطون مورتكات، الفن في العراق القديم، ص 320؛ جورج رو، المصدر السابق، ص 344.

(4) زمري–ليم: (1779–1761ق.م) أحد ملوك ماري الذي تمكن من استعادة عرش ماري المفقود على اثر موت الملك الآشوري شمشي ادد الأول التي كانت ماري جزء من أملاكه. ينظر: تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا، المصدر السابق، ص 212.

(5) علي أبو عساف، المصدر السابق، ص 405.

(6) سيف الدين الكاتب، أطلس التاريخ القديم، ص 15.

لهذه الساحة توجد غرفة مستطيلة يتقدمها رواق ذو أعمدة يبدو أنه كان مكاناً للانتظار، وتأتي بعد هذه الغرفة غرف مستطيلة أخرى ذات موقد ومنصة، والقصر كله محاط بسور خارجي(1).

والحقيقة أنه على الرغم من قلة الشواهد المعمارية فإن ما عرضناه من وصف للمعبدين والقصر في نوزي وإن كانا مشابهين إلى حد بعيد لفن العمارة في بلاد الرافدين وسوريا، إلا أن ذلك يدل على اهتمام الحوريين بهذه الناحية، ولعل وصف النصوص الحورية أو الحثية الدينية للعبادات الحورية وطريق تقديم النذور في المعابد، ما يؤكد أن المعابد كان منتشرة في معظم المناطق الحورية، كما أن الدولة الميتانية المترامية الأطراف، والتي استمر حكمها لحوالي ثلاثة قرون، لا شك أن لملوكها القصور الفخمة، في الأقل في العاصمة واشوكاني، لاسيما أن بناء تلك القصور الفخمة لا يمكن أن يشكل عبئاً ثقيلاً على دولة سيطرت على جزء مهم من المقدرات الاقتصادية لشمالي بلاد الرافدين وشمالي سوريا، وبالتأكيد أن العثور على تلك العاصمة سيبرهن ذلك. ونرى من خلال الحضارة الحورية المتطورة أن للحوريين أيضاً طرزهم المعمارية الخاصة غير تلك التي قلدوها عن بلاد الرافدين وسوريا.

المبحث الخامس

تأثيرات الحضارة الحورية على الحضارات القديمة

من خلال ما تم عرضه من جوانب حضارية ، رأينا كيف تأثرت الحضارة الحورية في جوانب عديدة بالحضارات المجاورة، لاسيما حضارة بلاد الرافدين التي

---

(1) للتفاصيل ينظر: انطون مورتكات، تاريخ الفن في العراق القديم، ص ص 320–321.

كانت الأكثر تأثيراً. أما الآن فيجدر بنا أن نتحدث عن تأثيرات الحضارة الحورية على الحضارات القديمة الأخرى، لاسيما ان تأثيرها كان واسعاً في مجالات عديدة، وقد لا يبدو ذلك غريباً من حضارة تمتلك الأصالة والتنوع، والقدرة على التأثير.

لقد ظهر ذلك التأثير واضحاً على الحضارة الحثية والسورية بشكل خاص، أما درجة تأثيرها على حضارة بلاد الرافدين فلم يكن إلا في حالات قليلة جداً.

وسنحاول هنا عرض مجموعة من التأثيرات الحورية الواضحة بحسب ما أثبتت الأدلة الكتابية والمادية المكتشفة.

ففي بلاد الرافدين يظهر التأثير الحوري على الأغلب في المنطقة الشمالية، ومن ذلك التأثر بأسماء الأعلام إذ حمل عدد من الأشخاص الآشوريين أسماء حورية، وهذا ما أثبتته الوثائق الآشورية. ولدور الحوريين البارز بالقضايا الاقتصادية في نوزي فقد أخذ الآشوريين منهم بعض طرق المعاملات التجارية (بيع، شراء)[1]، وكان للتأثيرات الدينية نصيب أيضاً، ومنها نجد أن عبادة الآلهة شاوشكا شائعة في بلاد آشور[2]، وبقيت معروفة باسمها الحوري حتى نهاية القرن الثامن ق.م، ويبدو أن الإله تيشوب قد لاقى تقديساً أيضاً عند الآشوريين، فإحدى بوابات مدينة ارابخا كانت تحمل اسم تيشوب، كما أن اسم شهرين في التقويم السنوي لمدينة ارابخا ينسبان إلى تيشوب[3]، وفي موضوع الأختام نجد أن أختام العصر الآشوري الوسيط قد تأثرت بالأختام الحورية من ناحية المواضيع المصورة، وأقحام أكثر من موضوع على سطح الختم بصورة ممزوجة دون وضع خطوط فاصلة واضحة بين المواضيع، وكان ذلك يتم بالنحت على الختم أو الرسم[4]. كما ظهر هذا التأثير حتى على الأختام الخاصة لملوك العصر الآشوري الوسيط، فختم الملك آشور-نيراري الثاني (1424-1418 ق.م) الخاضع للسيادة الميتانية، كان التأثير الحوري واضحاً عليه تماماً، فالأشكال التصويرية تملأ سطحه (بشر، حيوانات، مخلوقات مركبة)، والخطوط الفاصلة بين الأشكال غائبة، فقط الشيء المميز في هذا الختم أن الأشكال لم تكن مبعثرة أو

---

(1) Laessge, Op. cit., PP. 87-88; عامر سليمان، "العصر الآشوري"، ص 130.

(2) فولكت هاس، المصدر السابق، ص ص 395-396.

(3) Wilhelm, Grundzuge der, P. 89.

(4) ثروت عكاشة، المصدر السابق، ص 410؛ انطون مورتكات، تاريخ الفن في العراق القديم، ص 324.

ممزوجة كالمعتاد، وإنما مرتبة بشكل يميل إلى التقسيم[1]، وفي السياق ذاته عثر في مدينة نمرود (كالح)[2]، على إناء للشراب محطم وعند تجميعه ظهرت عليه زخرفة في الحافة العليا من الإناء كانت مادة موضوعها وأسلوبها تتماثل تماماً مع الأشكال المنحوتة على الأختام الحورية في نوزي وارابخا، ومحتوى الزخرفة هي حيوانات مضطجعة (أسود، ماعز، طيور)، طوى البعض منها سيقانها تحتها، والرأس انحنى إلى الخلف[3] (ينظر الشكل7).

كما يبدو أن الآشوريين قد تأثروا بفن العمارة الحوري، فعلى الرغم من أن ما عثر عليه من أبنية حورية هي قليلة جداً ومتأثرة إلى حد بعيد بعمارة بلاد الرافدين، إلا أن ما استجد من تخطيط حوري في قصر نوزي، نشاهده قد طبق في القصر الملك الآشوري ادد–نيراري الأول (1295–1264 ق.م) لاسيما فيما يتعلق ببناء الغرف المستطيلة العرضانية المنفردة التي زودت بمذبح ومنصة، ومثل هذه الغرف قد استخدمت في القصور الآشورية خلال العصر الآشوري الحديث[4]. كما أن معبد سن–شمش الذي شيده الملك آشور–نيراري الأول (1516–1491 ق.م)، لا يشبه في بنائه لأي معبد أقدم منه أو معاصراً له في الشرق الأدنى، لذلك يرجع أنه تقليد حوري مازال مجهولاً[5].

وبالانتقال إلى سوريا نجد أن التأثير الحوري كان واضحاً جداً، وهو أمر يعود لسببين، الأول أن الانتشار الحوري في سوريا كان قوياً ، وشمل مناطق عديدة منها، اما السبب الثاني هو أن سوريا معروف أنها كانت تستقبل المؤثرات الحضارية بسهولة، وهو أمر مرتبط بعدم امتلاكها لحضارة أصيلة.

والمهم أننا نجد بأن التأثيرات الحضارية الحورية بدأت منذ عصر ماري (نحو 2700–1757 ق.م) حيث عثر في هذه المدينة على ستة ألواح دينية، خمسة منها

---

(1) انطون مورتكات، تاريخ الفن، ص 332.

(2) كالح: تعرف أطلالها اليوم باسم نمرود، وتقع على الضفة الشرقية من نهر دجلة على بعد 37 كم جنوب شرق مدينة الموصل. ينظر: عبد الله أمين أغا وميسر سعيد العراقي، نمرود (كالح) (بغداد، 1976)، ص ص 8–9.

(3) انطون مورتكات، تاريخ الفن في العراق القديم، ص 329.

(4) المصدر نفسه، ص 321.

(5) ثروت عكاشة، المصدر السابق، ص 409.

نصوص تعويذة مكتوبة باللغة الحورية[1]، ونلاحظ هنا أنه على الرغم من الوضع الاجتماعي المتدني للأشخاص الحوريين القليلي العدد في ماري كونهم على أغلب الاحتمالات من أسرى الحروب الذين جاء بهم الملك الآشوري شمشي–ادد الأول للاستفادة منهم كعمال أو جنود حرب، إلا أنهم مارسوا تأثيراً دينياً في ماري. وفي ألالاخ نجد تطبيقات لشعائر دينية حورية من قبل سكانها الأموريون وحكامهم، ومنها نصوص الفأل والسحر[2]، ونجد أن تأثير اللغة الحورية حاضراً في ألالاخ بدليل أن أسماء الأشهر في التقويم السنوي لمدينة ألالاخ (الطبقة الرابعة) كانت باللغة الحورية[3]، أيضاً شاعت عبادة الإله تيشوب وزوجته خيبات في عدد من مدن شمال سوريا وأبرزها حلب، كما يظهر أن الآلهة شاوشكا قد حظيت بمكانة مهمة في أوغاريت، حيث عثر على عدد من النصوص الأكدية هناك تشير إلى مكانة شاوشكا في المجتمع الأوغاريتي[4]. وكان تأثير أسطورة الصراع بين إله البحر وإله الطقس تيشوب واضحة في شمال سوريا، ففي الأساطير الأوغاريتية نجد أن ما يربط بين إله البحر الذي يدعى (يم)[5] والإله (ايل)[6] المطابق لكوماربي، هما عداوتهما لإله الطقس بعل[7]، وهذا ما قرأنها في أسطورة (خيدامو) التي تدور أحداثها حول محاولة كوماربي لبلوغ درجة السيادة الإلهية، وفي هذه الأسطورة الأوغاريتية الاختلاف فقط بأسماء الآلهة[8].

وكان الفن التشكيلي الحوري حاضراً في تأثيره على الفن السوري، ففي كركميش نشاهد فن النحت الحوري بمواضيعه المختلفة المركبة والمتداخلة يزين أجزاء من بوابات القصور، ومن ضمنها لوحة على واجهة إحدى البوابات التي تعرف باسم بوابة الماء في الجزء الشرقي من كركميش ، نقش عليها بالنحت صورة لمجلس الشراب

---

(1) Salvini, Op. cit., P. 113.

(2) جيرنوت فيلهلم، المصدر السابق، ص 234.

(3) Kupper, “The Hurrians”, P. 23.

(4) Wilhelm, Grundzuge der, PP. 84-85.

(5) يم: هو إله البحار والأنهار عند الكنعانيين، ويظهر في النقوش على شكل تنين يسمى الثعبان الملتوي. ينظر: تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ص 112.

(6) ايل: هو إله السماء عند الكنعانيين، ويعبد أحياناً باسم بعل. ينظر: طه باقر، المقدمة، ج2، ص 265.

(7) بعل: هو إله الطقس (مطر، غيوم، برق، صواعق)، عند الكنعانيين. ينظر: المصدر نفسه، ص237.

(8) Wilhelm, Grundzuge der, P. 99.

من النوع الذي كان سائداً على الأختام الحورية[1]. ومن أوغاريت وصلنا طبق ذهبي نقش على الإفريز المستدير له منظر صيد الثور بالعربة الحربية الخفيفة ذات العجلتين التي يجرها حصان، ولاشك أن الفنان في هذا المنظر استلهم فكرته من العالم الحوري المحيط به، فمثل هذا المنظر وهذه العربات وجد هناك[2]، (انظر شكل8).

أما تأثير الحضارة الحورية على الحثية فيبقى هو الأقوى والأبرز، حيث شمل مظاهر عديدة لعل أبرزها الناحية الدينية، وقد أثبتت الأدلة المادية والكتابية بأن معظم التأثيرات الحورية، حصلت خلال العصر الإمبراطوري الحثي[3]. كما أثبتت تلك الأدلة بأن جزء كبير من تلك التأثيرات انتقلت من بلاد كيزواتنا الخاضعة لنفوذ الحضارة الحورية إلى الحثيين ، لاسيما بعد أن فرض الحثيون سيطرتهم على كيزواتنا خلال العصر الإمبراطوري[4]، فضلاً عن المؤثرات التي انتقلت عبر مدن شمالي سوريا التي خضعت للسيطرة الحثية في هذا العصر، بعد أن كانت تحت سيطرة النفوذ الحوري. ولا يمكن إغفال أن بعض من تلك المؤثرات انتقلت بطرق أخرى كالتجارة، والحروب التي كانت قائمة بين الطرفين.

وسوف نحاول هنا عرض أبرز تلك التأثيرات، ولنبدأ أولاً بجيش الإمبراطورية الحثية، فهذا الجيش الذي امتاز بسلاح المركبات ذات العجلتين التي تجرها الخيول اعتمد في تدريب الخيول المعدة لهذا الغرض على كتاب عبارة عن تعليمات حول كيفية تربية الخيول ، ثم إعدادها للمعارك، ومؤلف هذا الكتاب هو شخص حوري اسمه كيكولي Kikuli[5]، وقد استخدم هذا المؤلف في ثنايا الكتاب مصطلحات هندوارية[6]، وهو ما يعني ارتباط تربية الخيول وإعدادها لغرض القتال بالفئة الهندوارية التي قادت الدولة الميتانية، وبالتالي فإن الحوريين تعلموا هذه التقنية عن الهندواريين ونقلوها إلى الحثيين.

---

(1) تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا، المصدر السابق، ص 257.

(2) ثروت عكاشة، المصدر السابق، ص 411.

(3) H. G. Guterbock, "The Hurrian Element in the Hittite Empire", P. 383.

(4) Hoffner, Op. cit., P. 186; Gelb, Op. cit., P. 68; Klengel, 1968, Op. cit, P. 136.

(5) E. Wasilewska, "In Search of Parallels: The Second Millennium vock Sanctuaries of Yazilikaya (Anotolia) and Tamgoly (Kazakhstan)", in Languages and Cultures in Contact (Leuven, 1999), P. 488; Goetze, "Warfare in Asia Minor", P. 125;
أحمد أمين سليم، المصدر السابق، ص 358.

(6) Goetze, Op. cit., P. 125.

ايضاً كان التأثير الحوري قد تغلغل في العائلة الحثية المالكة، فعدد من ملوك وأمراء وأميرات الحثيين قد اتخذوا أسماء حورية، فزوجة الملك تودخلياش الأول تحمل اسماً حورياً، وهو نيكال-ماتي(1). كذلك الملك اورخي-تيشوب (1272-1267ق.م) اسمه حوري، والملك مرواتالي الأول كان لديه اسم حوري هو سارري-تيشوب(2).

ويلاحظ أنه حينما يعين أحد أولئك ملكاً فإنه يستبدل اسمه الحوري بآخر حثي، فاورخي-تيشوب عند استلامه العرش غير اسمه إلى مورسيلي الثالث نسبة إلى جده، وسارري تيشوب إلى مرواتالي الأول، وقد وجد لهذا الأخير ختم يحمل في الجهة اليسرى اسمه الحثي، والجهة اليمنى اسمه الحوري(3)، والحقيقة أن هذا الحال دفع بضع الباحثين إلى الاعتقاد بالأصول الحورية للسلالة الحثية الحاكمة في وقت من الأوقات(4)، ونرى أن هذا افتراض مبهم، لأن هذا يعني أن الملك الحثي الحاكم الذي كان يحمل اسماً حورياً هو حوري خالص من جهة الأب والأم، وبالتالي فإن السلالة الحاكمة هي سلالة حورية، وهذا لم يحصل في التاريخ الحثي. لذلك نرى أن التفسير الأصح لهذا التأثير الحوري هو أن ملوك حثيون قد تزوجوا من نساء حوريات، وعندما أنجبن كان لهن تأثير في تسمية أبنائهن بأسماء حورية، على أن تلك الزوجة الحورية لم تكن هي الزوجة الرئيسة بل من الزوجات الثانويات، أو حتى العشيقات، وهذا ما أشارت إليه الوثائق الحثية عن حالة أم اورخي-تيشوب الحورية، حيث وصفتها تلك الوثائق بأنها عشيقة للملك مرواتالي الثاني والد اورخي-تيشوب(5).

---

(1) Guterbock, "The Hurrian Element", P. 383.

عبد الحميد زايد، الشرق الخالد، ص 473؛ سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي،المصدر السابق ، ص 250.

(2) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص ص 345-348.

(3) المصدر نفسه، ص ص 345-348.

(4) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 251؛ عبد الله الحلو، تاريخ سوريا القديمة، ص 536.

(5) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 347.

وفي مجال آخر نرى تأثير اللباس الحوري على حثيي الطبقة العليا، إذ نقرأ في عدد من النصوص عن رداء يدعى "السترة الحورية الضيقة"[1]، وهذا الرداء يمكن تزيينه بالذهب، فنقرأ مثلاً في نص من عهد الملك تودخلياش الرابع (1237-1228ق.م) أن زوجة الملك تعطي وعداً بإعداد سترة عسكرية حورية مزينة بالذهب وتهبها إلى الآلهة إذا ما انتصر الملك على أعدائه[2]. ويظهر من عبارة الستر الحورية العسكرية والاهتمام بها أنها كانت مكلفة وخاصة فقط بالنخبة العسكرية ذات المراتب العليا، ولاشك أنها كانت ذات مواصفات عالية في الدفاع عن الجسم، أما كيف يتم الحصول عليها، فهي إما بالاستيراد، أو من ضمن غنائم الحروب القائمة بين الطرفين، أو حتى تصنيع تقليدي محلي، فمن ضمن ما يذكر نص جرد حثي لغنائم من الحوريين "**ثمانية رداء خفيف وستر عسكرية حورية**"[3]. وترد إشارة في نص حثي يؤكد أنه كان في بلاد الحثيين من يعمل على صناعة ستر على غرار الستر الحورية، وإن لم تكن بالمواصفات نفسها، حيث جاء في تلك الإشارة بأن منحت أرضه لشخص حثي يوصف بأنه "**صانع ستر حوري**"[4].

وفي مجال التأثير اللغوي فمن الواضح أن اللغة الحورية قد استخدمت في بلاد الحثيين ويكاد ينحصر استخدامها فقط في المظاهر الحضارية، ونرى أن استخدام هذه اللغة كان أمراً ضرورياً للاستفادة من الحضارة الحورية التي دونت معظمها باللغة الحورية ، ولو كان الأمر غير ذلك لأصبحت اللغة الحورية لغة متداولة إلى جانب الحثية تدون بها الوثائق المختلفة، وربما استخدمت حتى على الجانب الرسمي فيما يخص البلاط الحثي.

والواقع أنه عثر في حاتوشا على نماذج مختلفة لاستخدامات اللغة الحورية، منها ألواح مكتوبة كاملة باللغة الحورية، وألواح ثنائية اللغة (حورية + حثية)، ومصطلحات حورية ضمن النص الحثي أحياناً على شكل كلمة واحدة وهي الأكثر، وأحياناً أخرى على شكل عبارة كاملة[5]. ويعد استخدام المصطلحات الحورية هو الأكثر استعمالاً.

---

(1) Johon Roos, Hittische Geloften, Een Teksteditie van Hettitische Geloften met Inleiding (Amsterdam, 1984), P. 250.
(2) Ibid., PP. 250-251.
(3) Hoffner, Op. cit., P. 77; E. Laroche, Les Noms des Hittites (Paris, 1966), P. 324.
(4)Laroche, Op. cit., PP. 324-325.
(5) Gelb, Op. cit., P. 68; Hoffner, Op. cit., PP. 189-190.

والحقيقة أن استعمال اللغة الحورية كان على الأغلب في المجال الديني، ففي الطقوس والاحتفالات الدينية، والأساطير، والسحر ذات الخلفية الحورية نجد تكراراً لكلمات أو عبارات حورية ينطق بها ضمن النص الحثي من دون ترجمتها للحثية[1]. ويبدو أن سبب بقاء تلك الكلمات والعبارات على أصلها الحوري، هو أنه عندما يترجم النص الحوري إلى الحثي تبقى الكلمات والعبارات المؤثرة في النص على حالها لاسيما أسماء الآلهة، أو اسم مكان أو حيوان، أو اسم مادة مستخدمة في طقس سحري وغيرها.

ويبقى التأثير الديني بمعظم جوانبه يمثل أبرز التأثيرات الحورية على الحضارة الحثية، فعدد كبير من الأرباب الحورية كانت ضمن البانثيون الحثي كإحدى الآلهة التي قدسها الحثيون[2]، ومن الشواهد الممتازة على هذا التأثير [3] هو النقوش البارزة على جدران المصلى الصخري المكشوف في منطقة يازيليكايا Yazilikaya (قريبة من حاتوشا) التي تصور نوعاً من طقس ديني، حيث نشاهد موكبين من الآلهة يلتقيان نحو نقطة مركزية في الجدار المواجه للمدخل، يتضمن الموكب الأيسر منها أشكال الآلهة المذكرة، والأيمن الآلهة المؤنثة[4]، مع ذكر اسم كل إله[5]، وتدل أعداد الآلهة المصورة في هذا النقش على كثرة الآلهة الحثية[6]، وما يهمنا من تلك الآلهة هي الآلهة الحورية إلى تحتل مكاناً بارزاً في هذا النقش، حيث يظهر الإله تيشوب على الجانب الأيسر ويتبعه 24 إله ذكر، وعلى الجانب الأيمن تظهر الآلهة خيبات وتسير خلفها 21 إلهة[7]. ومن الآلهة الحورية الاخرى التي تظهر خلف تيشوب وخيبات، الإله كوماربي، وإله القمر كوشوخ، وإله الشمس شيميكي، والإلهة شاوشكا وخادمتيها الإلهتين نيناتا وكوليتا، والإله شاروما ابن خيبات[8]. وكل إله من الآلهة الحورية رسم

---

(1) Hoffner, Op. cit., P. 189.

(2) Wasilewska, Op. cit., P. 482; Gelb, Op. cit., P. 68.

(3) إن الكثير من الآلهة الحثية هي ذات أصول حورية أو محلية قديمة أو أكدية أو سومرية.

ينظر: صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص667.

(4) Hicks, Op. cit., P. 48; Alexander, Op. cit., P. 2.

(5) Hoffner, Op. cit., P. 184; Wasilewska, Op. cit., PP. 482-485; E. O. James, The Ancient Gods (New York, 1960), P. 94.

(6) James, Op. cit., P. 94.

(7) لمزيد من التفاصيل، ينظر: اوسام بحرك جرك، تأثير فنون بلاد الرافدين على الفنون الحثية، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد: كلية الآداب، 2004)، ص ص 38–42.

(8) Hoffner, Op. cit., P. 184; James, Op. cit., PP. 94-96;

اوسام بحر جرك، المصدر السابق، ص 40.

إلى جانبه أو فوقه رمز ديني خاص به[1]. ونلاحظ هنا أن اجتماع الآلهة الحورية مع الآلهة الحثية في هذا المشهد الديني داخل مصلى حثي خالص، ووقوف الآلهة خيبات، والإله تيشوب في مقدمة الآلهة الحثية ما يدل على مكانة الآلهة الحورية في العبادة الحثية. وعلى أغلب الاحتمالات أن هذا الطقس يمثل احتفالاً دينياً برأس السنة الجديدة[2]، ونظراً للدور المتميز للآلهة الحورية في هذا الطقس فمن المحتمل جداً أن هذا الطقس هو تقليد حوري أيضاً.

ولم تقتصر عبادة الآلهة الحورية على المستوى الشعبي فقط، بل أن العائلة الحثية المالكة كانت تعبد بعض الآلهة الحورية، ويظهر ذلك واضحاً في التبرك بهذه الآلهة، أو القسم بها أثناء عقد المعاهدات الدولية[3]. فنقرأ مثلاً في أحد حوليات الملك الحثي مورسيلي الثاني وهي تتحدث عن إحدى معاركه "**بقوة إله العاصفة العظيم [تيشوب] والآلهة شاوشكا سيدة ميدان المعركة ... أنا قهرت العدو**"[4]. وفي نص حثي آخر يعود للملك حاتوشيلي الثالث نقرأ "**وضعت شاوشكا سيدتي حسادي وخصومي وأعدائي في يدي. البعض مات بالسلاح، والبعض مات في عهدي، تخلصت منهم جميعاً، شاوشكا سيدتي[5] أعطتني ملكية حاتي**"[6].

ومن ضمن المؤثرات الدينية الأخرى نرى أن الحثيين قد أخذوا عن الحوريين تقديس الحفرة (آبي) حيث طبقوا الشعائر الحورية التي كانت تؤدى للحفرة بصفتها مدخلاً إلى العالم السفلي، حيث كانت تنزل إليها القرابين، ويراق لها دم الضحايا، كما تنزل المعادن الثمينة[7]، وكان الغرض من ذلك التودد إلى آلهة العالم السفلي من أجل إبعاد المصائب التي تحل بالبشر وإيداعها في العالم السفلي إلى الأبد.

---

(1) إله الشمس شيميكي مثلاً رسم فوق مستوى رأسه قرص الشمس المجنح ، والإله تيشوب صور بهيئة رجل ملتحي يقف على كتف اثنين من آلهة ، الجبل والإلهة خيبات واقفة على لبوة. ينظر: اوسام بجر جرك، المصدر السابق، ص ص 39–40.

(2)المصدر نفسه ، ص 41.

(3) Gelb, Op. cit., P. 68; Laroche, Op. cit., P. 327.

(4) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 628.

(5) تظهر شاوشكا في موكب يازيليكا بصفتها الذكرية كآلهة للحرب مع موكب الآلهة الذكور وبصفتها الأنثوية كآلهة للخصب والحب مع موكب الآلهة الإناث، وتبدو الآلهة المزدوجة الجنس غير معروفة في العبادة الحثية حتى وصول شاوشكا الحورية. ينظر: Hoffner, Op. cit., P. 187.

(6) صلاح رشيد الصالحي، المصدر السابق، ص 650.

(7) Hoffner. Op. cit., P. 187.

كذلك كان التأثير الحوري في مجال السحر، والكهانة، والأساطير، بل أحياناً حتى في أسماء الأدوات والأماكن المستخدمة في العبادة، ومن أمثلة ذلك أن المبخرة التي كانت تستخدم لحرق مواد التبخير في بعض من المعابد الحثية، كانت تحمل اسماً حورياً هو اخروشي Ahrushi[1]. وتجدر الإشارة إلى أن إحدى مواد التبخير التي استعملها الحثيون هو زيت خشب الأرز الذي كان قد استخدمه الحوريون أيضاً[2]. وفي الأساطير الحثية التي تدور حول كوماربي سميت أماكن الآلهة في السماء كونتاري Kuntari وهو مصطلح حوري يعني (ضريح)[3].

إن استخدام الحثيين حتى للمصطلحات الحورية الخاصة بأدوات وأماكن العبادة يعطينا دليلاً واضحاً عن مدى التأثر الحثي الكبير بالحضارة الحورية. ولعله يضاف إلى فضل الحضارة الحورية على الحضارة الحثية فضل آخر، يتمثل بوصفهم وسطاء في نقل جوانب من حضارة بلاد الرافدين إلى الحثيين[4]، ومن ذلك نقل عبادة عدد من آلهة بلاد الرافدين، كالإله آنو وإنليل وأيا وعشتار[5]. كذلك نقل عدد من الأعمال الأدبية الرافدية[6]، ومنها ملحمة كلكامش، وملحمة سرجون، وملحمة نرام-سين[7]، ويظهر ذلك واضحاً من خلال الآثار اللغوية الحورية ضمن الترجمات الحثية لهذه الملاحم[8]، وهو ما يعني أن الحثيين ترجموا تلك الملاحم من الحورية إلى الحثية.

---

(1) Ibid., P. 188.
(2) Ibid., P. 188.
(3) Ibid., P. 189.

(4) جون اوتس، المصدر السابق، ص 133.

(5) تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ص ص 169-170. هذه الآلهة ظلت معروفة بأصلها الأجنبي لذلك لم تصل إلى مكانة مميزة في العبادة الحثية، لأنهم عدوها غريبة عن بلادهم. ينظر: سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، المصدر السابق، ص 296.

(6) ف دياكوف وس كوفاليف، المصدر السابق، ص 163.

(7) يقصد بملحمة سرجون هي تلك الملحمة القصيرة التي عرفت (ملك المعركة) وهي تتحدث عن الحملة العسكرية التي قادها سرجون الأكدي من أجل نجدة التجار الأكديين الذين استغاثوا به ضد حاكم مدينة بورشخندا (تقع في الأناضول) التي كانوا يقيمون فيها، فاستجاب لهم. أما ملحمة نرام سين الأكدي فيقصد بها المعركة التي حدثت بين الجيش الأكدي بقيادة نرام سين والأقوام البربرية التي عرفت بالكوتيين، فلم تستطع جيوش نرام سين صدهم فاجتاحوا البلاد. لمزيد من التفاصيل ينظر: طه باقر، المقدمة، ج1، ص ص 365-373.

(8) Hoffner, Op. cit., P. 178.

في النهاية يمكن القول أن تأثير الحضارة الحورية، وجد طريقه بعيداً إلى بلاد الإغريق، وبصورة غير مباشرة ربما عن طريق الحثيين، ويتمثل ذلك في الأسطورة اليونانية التي تتحدث عن قصة المخلوق الضخم (تيفون) الذي خلقه الإله كرونوس (إله الزمن)[1]، للقضاء على الإله زيوس (إله السماء والكون)[2] من أجل أن ينفرد بزعامة الآلهة، إلا أن زيوس يتمكن من القضاء على هذا المخلوق، ويبقى هو سيد الآلهة[3].

نلاحظ بوضوح أن هذه الأسطورة تتشابه إلى حد كبير مع الأسطورة الحورية التي تتحدث عن المخلوق الضخم خيدامو الذي انجبه كوماربي للقضاء على البشرية، من أجل السيادة الإلهية، إلا أن هذا المخلوق هزم أمام الإرادة الإلهية كما هزم تيفون، وظل زيوس سيد الآلهة اليونانية، كما بقي تيشوب سيد الآلهة الحورية. كما يعتقد أن الشاعر اليوناني هسيود[4]، قد تأثر في جزء من كتاباته بأسطورة كوماربي الحورية، فكما أن هذه الأسطورة تتحدث عن فكرة التعاقب الإلهية حيث يقضي الإله (آن) على الإله لالو، ثم يقضي الإله (كوماربي) على الإله (آن) ثم يتمكن تيشوب في الأخير من إقصاء كوماربي. كذلك نجد لدى هسيود أن الإله كرونوس يبلغ السيادة الإلهية بعد أن يقصي أباه أورانوس (إله السماء) ثم يتمكن أخيراً زيوس من إقصاء أباه كرونوس بعد أن قضى على كل محاولاته لزعامة الآلهة، وليصبح هو سيد الآلهة[5].

في الختام نقول أن كل ما عرضناه من جوانب حضارية حورية هو لم يقدم بعد التصور الكامل عن حضارة ذلك الشعب، إذ أن كل جانب من جوانب تلك الحضارة لايزال تنقصه المعلومات، فمعظم ما بني من معلومات حضارية عبارة عن نتف صغيرة من نصوص وجدت في مناطق حورية مختلفة، وبالمقابل فإن تلك النصوص على قلتها بما قدمته من معلومات حضارية، قد أعطت دليلاً قاطعاً على قوة وحيوية

---

(1) تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ص 215.

(2) حسب الأساطير اليونانية فإن زيوس إله السماء والكون ومجري السحاب والرياح هو ابن كرونوس. ينظر: تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ص ص 217–218.

(3) Wilhelm, Grundzuge der, P. 100.

(4) هسيود: شاعر يوناني من جزيرة ايوبيا عاش في أواخر القرن التاسع ق.م وكان له عدة كتابات، منها مجموعة من الحكم الأخلاقية والدينية، كما كتب عن سلالات الآلهة وانسابهم. ينظر: عادل نجم عبو وعبد المنعم رشاد محمد، اليونان والرومان دراسة في التاريخ والحضارة (الموصل، 1993)، ص 174 هامش 2.

(5) Wilhelm,Grundzuge der., P. 97.

الشعب الحوري بما يمتلكه من حضارة أصلية وقوية كان لها القدرة على التأثير في الحضارات المجاورة لاسيما الحثية. وعلى الرغم من أن تلك الحضارة قد وقعت تحت تأثير حضارة بلاد الرافدين وسوريا، إلا أنها حافظت على أصالتها، والحقيقة تكاد لا تخلو أي حضارة من أن تتأثر وتؤثر بالحضارات المجاورة.

ولعل قوة وأصالة هذه الحضارة تعطي برهاناً لا يقبل الشك بأن جزء كبير من تلك الحضارة لازال مطموراً تحت الأرض ينتظر التنقيب ، لاسيما من قلب الدولة الميتانية ونعني به العاصمة واشوكاني.

مسألة مهمة أخرى هي هل جاءت الفئة الهندوآرية التي قادت الدولة الميتانية بحضارة خاصة بها فرضتها أو أثرت بها على الحضارة الحورية؟

من خلال عرضنا لجوانب الحضارة الحورية لم نلحظ أن هذه الفئة جاءت بشيء جديد في حقل الحضارة يمكن فرزه بصورة واضحة، فهذه الفئة سرعان ما اندمجت مع الشعب الحوري وقلدت حضارته، والشيئين الوحيدين الذي تم تمييزهما، هما الآلهة التي عبدوها، وكانت خاصة بهم فقط كآلهة للقسم (اندرا، ميثرا، فارونا، ناسيتا) وطبعاً إلى جانبها عبدوا الآلهة الحورية. والشيء الآخر هو ما كان لهم من علم وخبرة في القتال وتربية الخيول[1]، والمجيء بطراز جديد من المركبات الخفيفة التي يجرها جوادان ، وما كان لذلك من دور كبير في توحيد الدويلات الحورية، وفي العمليات العسكرية للدولة الميتانية. لكن مع ذلك فإن التاريخ الحوري يشهد لهؤلاء بالذكاء السياسي، والخبرة العسكرية التي أدت إلى توحيد البلاد، ومن ثم التوسع الخارجي وصولاً إلى العصر الإمبراطوري، وما رافق ذلك من ازدياد في التوسع الحوري ووانتشار حضارتهم.

---

(1) عن الحصان وكيفية دخوله منطقة الشرق الأدنى القديم، ودور الهندواريين في تربيته. ينظر:
Vyacheslav Vs. Ivanov, "Horse Symbols and the Name of the Horse in Hurrian", in U.H.S.H.L.C.vol.26,Part.3 (Malibo, 1998), P. 145 ff. (

من بعد دراستنا لموضوع الاطروحة (الدولة الميتانية دراسة في التاريخ السياسي والحضاري) توصلنا إلى جملة من النتائج المهمة، ندرجها كالآتي:

1- عرفت الدولة الميتانية بثلاثة أسماء مترادفة هي (ميتاني، وحوري أو الحوريون ، وخانيجلبات)، ولكل من هذه الأسماء استخدامه الخاص، فالحوريون هي تسمية الشعب، أما ميتاني فهو اصطلاح سياسي استخدم في وقت معين من التاريخ الحوري بشكل عام (القرنين الخامس عشر وجزء كبير من القرن الرابع عشر ق.م)، أما خانيجلبات هي اصطلاح جغرافي وتعني الأرض الممتدة بين دجلة والفرات أعالي سوريا ، وعليها قامت دولة ميتاني، ثم برزت خانيجلبات بشكل واضح عندما انهارت ميتاني ، وقامت هي على انقاضها .

2- يمثل الشعب الحوري الغالبية العظمى من سكان دولة ميتاني، أما الفئة الهندوآرية التي اختلطت بالحوريين بعد مدة طويلة من استقرار الحوريين فلم تمثل إلا نسبة بسيطة ضمن سكان دولة ميتاني، فالحوريون استقروا منذ الالف الثالث قبل الميلاد ، أما الهندوآريين فقد استقروا مع بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد .

3- الحوريون من الأقوام التي اندفعت من مواطنها الأصلية على شكل هجرات سلمية، واستقرت في المناطق الشمالية لكل من بلاد الرافدين وسوريا بشكل رئيس.

4- جاء الحوريون من المناطق الجبلية التي تقع في الجهات الشمالية الشرقية من بلاد الرافدين وأن موطنهم الأصلي ينحصر في المناطق الجبلية الممتدة ما بين بحيرة وان شرق تركيا وبحيرة اورمية التي تقع في منطقة اذربيجان في الأقسام الشمالية الغربية من ايران.

أما الأصول العرقية لهذا الشعب، فهي غير معروفة، فلغتهم التي تكلموا بها لا صلة لها تربطها باللغات الهندواوربية أو الجزيرية أو أية لغة معروفة أخرى، باستثناء ذلك التقارب البسيط بينها وبني اللغة الاورارتية التي تكلم بها شعب اورارتو الذي يسكن المناطق الجبلية المحيطة ببحيرة وان، وهذا واضح من خلال استخدام عدد من المصطلحات المتشابهة بين اللغتين، ومن المرجح جداً أن هذا التشابه يعود إلى كون أن هاتين اللغتين، كانتا فرعين منفصلين من لغة أم، هي اللغة الحورية-الاورارتية المبكرة، وقد انفصلتا الواحدة عن الأخرى خلال الألف الثالث ق.م، ولعل ما يؤيد ذلك أن الأورارتيين، كانوا يسكنون المنطقة نفسها التي هاجر منها الحوريون، ودليل آخر أن اللغة الأورارتية التي تكلم بها سكان شعب اوراوتو خلال القرنين التاسع والسابع ق.م هي لغة غير معروفة الأصل أيضاً، ومن ثم احتمالية كون اللغتين كانتا فرع واحد.

5- إن الطبيعة الجبلية القاسية لموطن الحوريين الأصلي كانت السبب الرئيس وراء هجرتهم من ذلك الموطن الذي لم يوفر لهم العيش الآمن، مما دفعهم للبحث عن أراضي أخرى توفر لهم طيب العيش والاستقرار، وهذا ما وجدوه في بلاد الرافدين وسوريا، وما يؤكد ذلك أن هجرتهم كانت ذات طابع سلمي وليس غزو مسلح قائم على السلب والنهب، كما كانت تفعل الأقوام الجبلية التي تقع مواطنها في الجهات الشمالية الشرقية من بلاد الرافدين، كالكوتيين واللولوبيين.

6- إن الهجرة الحورية لم تأت بدفعة واحدة، وإنما عبر هجرات متقطعة وبأزمان تاريخية متباعدة بعض الشيء، وبداية الهجرات الحورية كانت في أواخر العصر الأكدي، حيث ترد أولى الأدلة الكتابية عنهم منذ عصر الملك الأكدي نرام-سين (2290-2255 ق.م)، ومن خلال تلك الأدلة يتضح أن هناك قرى من الحوريين، وإنهم مارسوا التجارة، لذلك نرى وفقاً لهذه الأدلة أن الحوريين كانوا موجودين قبل عصر نرام سين بما لا يقل عن عقدين من الزمن. وتعد المناطق العليا من شمال شرق بلاد الرافدين ومناطق شمال شرق دجلة باتجاه جبال زاكروس من أولى المناطق التي استقر فيها الحوريون.

7- جاءت الهجرة الحورية الأخرى بعد سقوط الدولة الأكدية على يد الكوتيين، وهذه المرة كانت أكثر من الأولى، ومع أنه ليست لدينا أدلة عن الحوريين خلال فترة حكم الكوتيين المظلمة، لكن بالتأكيد كانت هناك هجرات حورية خلال عصر الاحتلال الكوتي الذي دام حوالي القرن، بدليل أنه مع أواخر العصر الكوتي، أو مطلع حكم سلالة أور الثالثة كانت هناك إمارة حورية حاكمة تدعى إمارة اوركيش، التي تقع في منطقة مثلث الخابور في الجهات الشمالية الشرقية العليا من سوريا، وهذا يعني أن الانتشار الحوري تجاوز منطقة شمال شرق دجلة لينتشر في المناطق الشمالية العليا من بلاد الرافدين حتى وصل إلى شمال شرق سوريا. وخلال عصر سلالة أور الثالثة السومرية استمرت الهجرة الحورية وكانت في تزايد بدلالة الأسماء الحورية الكثيرة التي وردت في نصوص أور الثالثة، ومع وجود الحوريين في مناطق أخرى من أعالي بلاد الرافدين، إلا أن استيطانهم الرئيس في عصر أور الثالثة انحصر في مناطق شمال شرقي دجلة أيضاً، والبعض من الحوريين وجد في جنوب بلاد الرافدين ، وهؤلاء جزء منهم جاء عن طريق التسرب الآمن، والجزء الآخر من أسرى الحروب التي خاضها ملوك سلالة أور الثالثة في مناطق شمالي بلاد الرافدين.

وبعد سقوط أور الثالثة وبحلول الألف الثاني ازدادت الهجرة الحورية بشكل أكثر من السابق إلى مناطق شمالي بلاد الرافدين العليا وشمالي سوريا، ثم استمرت خلال القرون الأولى من الألف الثاني، حتى غدا الحوريون ينتشرون على منطقة عريضة امتدت من جبال زاكروس شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً، وكان شمالي سوريا خلال هذا الوقت هو الأكثر استقطاباً للحوريين. أما وجودهم في فلسطين فجاء عن طريق تدفق مجاميع حورية إلى جنوب سوريا، ثم إلى فلسطين، ومن شمالي سوريا تدفقت مجاميع أخرى إلى جنوب شرق الأناضول.

8- يستخلص من تاريخ الهجرات الحورية المتقطعة أن سبب ذلك يعود إلى أن الحوريين كانوا يندفعون بموجات كبيرة كلما ضعفت سيطرة الحكومة المركزية في جنوب بلاد الرافدين على المنطقة الشمالية من البلاد، لاسيما وأن الآشوريين لم يكونوا من القوة بعد ليتمكنوا من صد تلك الموجات البشرية، وكذلك الحال مع شمال سوريا التي كانت عبارة عن ممالك متفرقة.

9- على الرغم من ذلك الانتشار الواسع للحوريين، إلا أن جميع الوثائق العائدة إلى سكان بلاد الرافدين لم تسمي الحوريين باسمهم صراحة، وتبين أن سكان المنطقة الجنوبية من بلاد الرافدين كانوا يسمون المنطقة الشمالية التي استقر فيها الحوريين باسم بلاد سوبارتو، والحوريين باسم أقوام سوبارتو نسبة إلى الأقوام السوبارتية التي كانت تسكن المنطقة الشمالية قبل الحوريين. أما الآشوريون من سكان المنطقة الشمالية فهم أيضاً لم يظهر في وثائقهم المتوفرة، ما يشير إلى اسم الحوريين صراحة، ونرى أن سبب ذلك يعود إلى قلة الوثائق الآشورية من العصر البابلي القديم، وفي مرحلة متقدمة من العصر الآشوري الوسيط كان يطلق على الحوريين تسمية سكان خانيجلبات في الوثائق الآشورية.

10- ظهر اسم الحوريين أولاً في وثائق العاصمة الحثية حاتوشا التي تعود إلى عصر المملكة الحثية القديمة (1650-1400ق.م) حيث أشارت إلى أن هناك بلاد تدعى بلاد حوري وسكان يدعون بالحوريين، وإن من ضمن تلك الوثائق نصوص كتبت بلغة ليست حثية عرف أنها تعود لهؤلاء السكان، وأتضح أن أسماء الأعلام الحورية الواردة في نصوص حاتوشا أنها على صلة تامة مع أسماء الأعلام الحورية الواردة في وثائق بلاد الرافدين، أو الوثائق الحورية ذاتها الواردة من المدن التي سكنها الحوريين في كل من بلاد الرافدين وسوريا، كما أن النصوص الغريبة التي وجدت في حاتوشا كتب بلغة مشابهة تماماً

للنصوص التي عثر عليها في مدن الحوريين في كل من بلاد الرافدين وسوريا، كذلك هي على صلة تامة بلغة الرسالة التي بعثها الملك الميتاني توشراتا إلى الفرعون امنحوتب الثالث، وبذلك تبين أن هناك شعب يعرف بالشعب الحوري.

11- أولى الشواهد على تسمية الحوريين تحديداً كانت في وثائق حاتوشا التي تعود إلى بداية عصر المملكة الحثية القديمة خلال المدة (1650-1590 ق.م) ثم بعد هذا التاريخ ازداد استخدام هذا الاسم بكثرة في الوثائق الحورية التي وجدت في المدن الحورية ، لاسيما نوزي والالاخ.

12- تبين من خلال سير الأحداث أن الحوريين منذ هجرتهم في أواخر الألف الثالث، وحتى أواخر القرن السادس عشر ق.م، كانوا يعيشون في دويلات متفرقة ما بين شمالي سوريا، والمناطق الشمالية العليا من بلاد الرافدين، ومناطق شمال شرقي دجلة.

13- في أواخر القرن السادس عشر ق.م توحدت تلك الدويلات الحورية في مملكة واحدة عرفت بمملكة ميتاني، وأمكن معرفة بأن من وحد الدويلات الحورية هم ليس الحوريين، وإنما فئة هندوارية كانت قد هاجرت إلى بلاد الرافدين وسوريا في أوائل القرن السادس عشر ، واختلطت مع الحوريين، وبسبب تفوقها في أساليب القتال وركوب الخيل، وامتلاكها لطراز جديد من العربات الخفيفة التي يجرها جوادان فقد تمكنوا في النهاية من فرض أنفسهم على جموع الحوريين ، وتوحيد البلاد الحورية تحت قيادتهم. واستنتج من هذه الأحداث أن الحوريين كانت لديهم رغبة في هذه الوحدة ، التي ستكون سداً منيعاً لمن يحاول الاعتداء عليهم.

14- على الرغم من أن الفئة الهندوارية هي صاحبة الامتياز في توحيد الدويلات الحورية ، وملوكها هم قادة الدولة الميتانية، إلا أن تاريخ ما بعد عام 1500 ق.م ، وهو تاريخ التوسع والنفوذ لا يعني تاريخ هذه الفئة وحدها، إذ ثبت من خلال سير الأحداث أن هذه الفئة هي قليلة جداً مقارنة بالشعب الحوري ، وإن جيش الدولة الميتانية بمعظمه حوري، والأهم من ذلك كله أن هذه الفئة الهندوارية بعد هجرتها سرعان ما اندمجت مع الشعب الحوري ، وانصهرت فيه ، إلى درجة حتى أنا هجرت لغتها وتكلمت الحورية ، وقلدت الحضارة الحورية، لذلك أصبحت جزءاً من تكوينة الشعب الحوري، ولهذا فإن مصطلح ميتاني يدل على الحالة السياسية لبلاد حوري في وقت معين، وما شاع من أن ميتاني وبلاد حوري هما دولتان منفصلتان ، ثم اتحدتا رأي غير صحيح.

15- يشمل مركز دولة ميتاني الأراضي الممتدة من منعطف نهر الفرات الكبير إلى أعالي دجلة، وتمتد شمالاً حتى مناطق طور عابدين وديار بكر، وإنما سميت بهذا الاسم على الأغلب الاحتمالات نسبة إلى مدينة تدعى متن التي تقع ضمن هذه الأراضي، أما عاصمة ميتاني ، فتبين من خلال الوثائق الحورية والحثية، أنها تدعى واشوكاني التي لم تكتشف بعد، وتقع ضمن مناطق أعالي الخابور.

16- أدركت ميتاني بأن الحفاظ على كيانها يكمن في مد نفوذها وسيطرتها على شمالي سوريا ، من أجل الوقوف بوجه مصر والحثيين الساعين للسيطرة على هذه المنطقة ذات الموقع الستراتيجي الهام، ومن ثم زعزعة وجود دولة ميتاني. وفعلاً تمكنت ميتاني بعد مدة وجيزة من تحقيق هذه المهمة، ومع قوة متياني، إلا أنه تبين أن هناك ظروف دولية قد ساعدتها على تحقيق ذلك، فالدولة الحثية منافستها على شمال سوريا، كانت تعرضت لأزمة داخلية من بعد عام (1590 ق.م) منعتها من التوجه إلى سوريا في العقود التالية ،ومصر المنافس الخطير الثاني للميتانيين على شمال سوريا بعد طرد الهكسوس عام 1580 ق.م قد توقفت سياستهم التوسعية في عهد الملك تحوتمس الثاني (1492-1480ق.م) والملكة حتشبسوت (1479-1458ق.م) اللذان لم يعيرا أهمية لهذا الموضوع.

17- استطاعت دولة متياني أن تتحول إلى إمبراطورية واسعة وقوية امتدت من جبال زاكروس شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً، وذلك بعد أن فرضت سيطرتها على بلاد آشور وشماليها، ومعظم شمالي سوريا ، رغم الصراع المرير الذي خاضته ضد مصر والحثيين الساعين لإزالة دولة ميتاني ، والسيطرة على شمال سوريا. وأتضح أن قوة ميتاني تلك قد جاءت من قوة تماسك الدويلات الحورية ، وارتباطها بالحكومة المركزية (ميتاني)، فضلاً عن التسليح الجيد، كما كان لانتشار هذه الدويلات في شمالي بلاد الرافدين وشمالي سوريا دوراً كبيراً في صمود وانتصار ميتاني، إذ أن الانتشار الواسع كان بمثابة عيون تراقب كل التحركات المعادية لميتاني.

18- على الرغم من الجهد الكبير الذي بذلته ميتاني لبناء تلك الإمبراطورية الواسعة ، إلا أنها لم تعمر أكثر من قرن ونصف، إذ انهارت على يد القوات الحثية بقيادة الملك شوبيلوليوما (1355-1320ق.م)، ويستخلص من سير أحداث المعارك الأخيرة بين ميتاني بقيادة توشراتا ، والحثيين بقيادة شوبيلوليوما أن ميتاني لم تكن لتنهار أمام القوات الحثية لولا أن أسباب أخرى أدت إلى أن تفقد ميتاني جزء كبير من قوتها وتماسكها قبل أن تصل

القوات الحثية، أهمها التمرد الكبير الذي قاده أحد أفراد العائلة الميتانية الحاكمة، رغبة منه في تولي العرش وإقصاء توشراتا، وجاء توقيته في وقت غير مناسب، إذ أن شوبيلوليوما كان قد حشد كل طاقاته للقضاء على ميتاني، وقد استغل هذا الأمر أحسن استغلال. كما أن نظام سيطرة ميتاني على المدن والممالك السورية الشمالية وبلاد آشور خلال عهد توشراتا فقد جزء كبير من سطوته، وهذا ما أدى إلى اختراق شمال سوريا بسهولة من قبل القوات الحثية. كما يمكن أن نستنتج أن توشراتا كان ينتظر وصول قوات مصرية لمساعدته في المواجه مع القوات الحثية، لاسيما أن مصر قد أصبحت حليفة لميتاني منذ عهد تحوتمس الرابع (1397–1387 ق.م)، إلا أن تلك المساعدة لم تصل، إذ أن الفرعون المصري في هذه الأثناء وهو امنحوتب الثالث كان كبير السن، ولم يهتم في أواخر حياته ببلاد الشام، كما أن خليفته امنحوتب الرابع هو الآخر لم يستجب لنداء توشراتا ، حيث لم يهتم بالسياسة الخارجية. وأمام هذه التطورات التي تنم عن سياسة فاشلة لتوشراتا انهزم بسهولة أمام القوات الحثية ، لتنهار كل أركان دولة ميتاني أمام الضربات الحثية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ق.م.

19– أفرز انهيار دولة ميتاني تفرق الدويلات الحورية من جديد، بعضها أصبح تحت سيطرة آشور، وتلك التي في شمال سوريا وجنوب شرق الأناضول، أصبحت تحت سيطرة المملكة الحثية. ولم تستطع مملكة خانيجلبات الحورية التي قامت على أرض مركز دولة ميتاني من إعادة الوحدة الحورية ، بسبب الضربات العسكرية المتتالية التي تلقتها على يد القوات الآشورية ، حتى ذابت أخيراً ضمن أملاك آشور في نهاية القرن الثالث عشر ق.م. ومما ساعد آشور على ذلك ، أن خانيجلبات لم تمتلك القوة الكافية لمواجهة آشور، كما أن خانيجلبات قد فقدت حليفتها المملكة الحثية باعتبار أن الأخيرة هي صاحبة النفوذ عليها، لاسيما وأن المملكة الحثية تعرضت لنكسة داخلية بعد وفاة شوبيلوليوما.

20– على الرغم من كل هذه الظروف، إلا أن الشعب الحوري ظل موجوداً في شمال سوريا وأعالي الرافدين، حتى نهاية القرن الثالث عشر ق.م، غير أن الضغط الآشوري المتواصل، وهجرة أقوام شعوب البحر التي اكتسحت بلاد الأناضول ، وقضت على الدولة الحثية حوالي عام 1200 ق.م، ثم أصبحت تمثل خطراً كبيراً على الحوريين في جنوب شرق الأناضول وشمال سوريا، كذلك ضغط الأقوام الآرامية التي اجتاحت شمالي سوريا في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وبدأت تقتل وتشرد الأقوام الحورية، كلها كانت عوامل رئيسة أدت إلى

هجرة الحوريين ، والعودة إلى موطنهم الأصلي بدءاً من النصف الأول من القرن الثاني عشر ق.م، ويستنتج من أسماء الأعلام الواردة في النصوص الآرامية والآشورية ، أن أعداد من الحوريين قد مكثت وانصهرت ضمن المجتمع الآشوري والآرامي.

21- في ضوء ما خلفه الحوريون من آثار حضارية سواء كتابية أم مادية، تعد حضارتهم من الحضارات الأصيلة التي هي من صنع الحوريين أنفسهم، وقد امتازت بخصوصيتها وحيويتها في مختلف جوانب الحياة، لاسيما الدينية منها. وكان من أصالتها وبراعتها أن تأثرت بها عدد من حضارات الشرق الأدنى القديم، حتى أنها وصلت في تأثيرها بشكل غير مباشر إلى بلاد اليونان.

ملحق (1)

جدول لملوك ميتاني وخانيجلبات

الملاحظات	اسم الملك	سنوات الحكم
	باراتارنا	1480 ق.م
لـم يعثـر علـى أي شـيء مـن فتـرة حكمهما سوى ورود اسميهما على الختم الذي استخدمه الملك التالي ساوشتاتار على اعتبار انهما سلفيه في الحكم، فجاء على الختم عبارة "شوتارنا ابن كيرتا".	كيرتا (ديرتا)	
	شوتارنا الأول (ابن)	
لـم يعثـر علـى أي شـيء مـن فتـرة حكمه، لكن يعرف أنه والد الملك ساوشتاتار وسابقه في الحكم، وذلك من خلال ختم عثر في نوزي.	بارساشاتار	1440 ق.م
	ساوشتاتار (ابن)	1430 ق.م
زوج ابنتـه مـن الفرعـون تحـوتمس الرابع، ولم يعرف اسمها لكن الاسم المصري الذي اتخذته بعد وصولها مصر هو (موت-ام-ويا)	ارتاتاما الأول	1400 ق.م
زوج ابنته (جيلو-خيبا) من الفرعون امنحوتب الثالث.	شوتارنا الثاني (ابن)	1380 ق.م
	ارتاشومارا (ابن)	
زوج ابنته (تادو-خيبا) من الفرعون امنحوتب الثالث، وبعد موته تزوجت من امنحوتب الرابع.	توشراتا (أخ)	1335-1365 ق.م
	ارتاتاما الثاني (على الأرجح هو أخ توشراتا)	
	شوتارنا الثالث (ابن ارتاتاما الثاني)	
	شاتيوزا (ابن توشراتا)	
ملوك خانيجلبات	شاتوارا الأول	1290 ق.م-1240 ق.م
	واساشاتا	
	شاتوارا الثاني	

الجدول من عمل الباحث بالاعتماد على المعلومات التاريخية عن ميتاني الواردة في كل من :

1. Wilhelm, Grundzuge der, PP 43-65
2. Gelb, Op. cit., P. 76.

ملاحظة: سنوات حكم الملوك المثبتة في الجدول ليست مضبوطة على وجه الدقة وإنما وضعت بشكل تقريبي استناداً إلى معاصريهم من الحكام الحثيين والمصريين والآشوريين.

ملحق (2)

جدول تعاصر ملوك ميتاني مع ملوك بلاد مصر و حيثي وآشور

<table>
<tr><th>ميتاني</th><th>مصر</th><th colspan="2">حيثي</th><th colspan="2">آشور</th></tr>
<tr><td></td><td>السلالة الثامنة عشر (1570 – 1306 ق.م.)</td><td>خانتيلي الثاني</td><td rowspan="4">1400-1500 ق.م</td><td colspan="2">العصر الآشوري الوسيط (1521 – 911 ق.م)</td></tr>
<tr><td></td><td>تحوتمس الاول (1504 – 1492 ق.م.)</td><td>زيدانتاش الثاني</td><td colspan="2">بوزر اشور الثالث (1521 – 1498 ق.م.)</td></tr>
<tr><td>1. باراتارنا 1480 ق.م.</td><td>تحوتمس الثاني (1492- 1480 ق.م.)</td><td>خوزّيا الثاني</td><td colspan="2">انليل ناصر</td></tr>
<tr><td></td><td>حتشبسوت (1479 – 1458 ق.م.)</td><td>مو واتالي الاول</td><td colspan="2">نور ايلي</td></tr>
<tr><td>2. كيرتا</td><td></td><td colspan="2"></td><td colspan="2"></td></tr>
<tr><td>3. شوتارنا الأول</td><td></td><td colspan="2"></td><td colspan="2"></td></tr>
<tr><td>4. بارساشاتار 1440 – 1430 ق.م.</td><td>تحوتمس الثالث (1458 – 1425 ق.م)</td><td colspan="2"></td><td>آشور شدوني</td><td rowspan="8">الهيمنة الميتانية</td></tr>
<tr><td></td><td></td><td colspan="2"></td><td>آشور رابي</td></tr>
<tr><td>5. ساوشتاتار 1430-1400 ق.م.</td><td></td><td>تودخلياش الثاني</td><td rowspan="3">1400 – 1360 ق.م.</td><td>آشور نادن أخي</td></tr>
<tr><td></td><td>امنحوتب الثاني 1425- 1397 ق.م.</td><td>ارنوواندا الاول</td><td>أنليل ناصر الثاني</td></tr>
<tr><td>6. أرتاتاما الاول 1400-1380 ق.م.</td><td></td><td>حاتوشيلي الثاني</td><td>آشور –نيراري الثاني</td></tr>
<tr><td></td><td>تحوتمس الرابع 1397 – 1387 ق.م.</td><td colspan="2"></td><td>آشور بيل – نشيشو</td></tr>
<tr><td>7. شوتارنا الثاني 1380 - 1365 ق.م.</td><td></td><td colspan="2"></td><td>آشور ريم – نشيشو</td></tr>
<tr><td></td><td></td><td colspan="2">تود خلياش الثالث</td><td>اريبا – أدد الاول</td></tr>
<tr><td></td><td>امنحوتب الثالث 1387 – 1350 ق.م.</td><td colspan="2">شوبيلو ليوما الاول 1355-1320 ق.م.</td><td colspan="2"></td></tr>
<tr><td>8. ارتا شومارا (مدة حكمه قصيرة جداً ربما اقل من سنة)</td><td></td><td colspan="2"></td><td colspan="2"></td></tr>
<tr><td>9. توشراتا (1365 –</td><td></td><td colspan="2"></td><td colspan="2">آشور اوبالط الاول 1353 –</td></tr>
</table>

ميتاني		مصر	حيثي	آشور
1335 ق.م.)				1318 ق.م.
		امنحوتب الرابع (أخناتون) 1334-1350 ق.م.		أنليل نيراري 1317 –1308 ق.م.
			ارنوواندا الثاني 1320 ق.م.	ارك – دين – ايلي 1307 - 1296 ق.م.
10. ارتاتاما الثاني	1335-1290 ق.م.	توت عنخ آمون 1333-1324 ق.م.		
11. شوتارانا الثالث		حور محب	مورسيلي الثاني 1320-1295 ق.م.	
12. شاتيوازا				
		السلالة التاسعة عشر		
		رعمسيس الاول		
		سيتي الاول	مرواتالي الثاني 1295-1272 ق.م.	أدد- نيراري الاول 1295-1264 ق.م.
ملوك خانيجلبات 13. شاتوارا الأول	1290-1240 ق.م.	رعمسيس الثاني 1279- 1212 ق.م	اورخي – تيشوب 1272 – 1267 ق.م.	شلمنصر الاول 1263 – 1234 ق.م.
14. واساشاتا			حاتوشيلي الثالث 1267- 1237 ق.م.	توكلتي – ننورتا الاول 1234- 1197 ق.م.
15. شاتوارا الثاني			تود خلياش الرابع 1237- 1228 ق.م.	

الجدول من عمل الباحث بالإعتماد على :

1. المعلومات التاريخية عن التاريخ السياسي لميتاني الواردة في كتاب Wilhelm , Grundzuge,p43-65 .
2. المعلومات التاريخية المتعلقة بالاحداث السياسية لمنطقة الشرق الادنى القديم منذ بداية القرن السادس عشر الى منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد والواردة في كتاب هورست كلينغل ، مصدر سابق ، ص ص 100- 133 .
3. هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص ص 606 -607 .
4. جورج رو ، العراق القديم ، ص 668 .

ملحق (3)

الصور والاشكال



شكل (1) نماذج فخارية من نوزي وتل براك وألالاخ

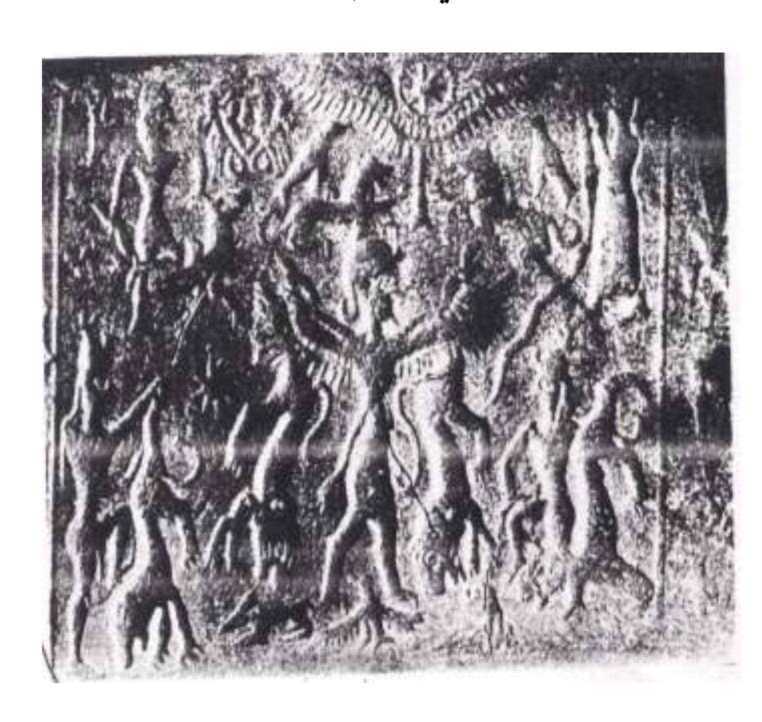
المصدر : .126. Gernot Wilhelm, Grundzuge der0

شكل (2) نماذج من اختام حورية



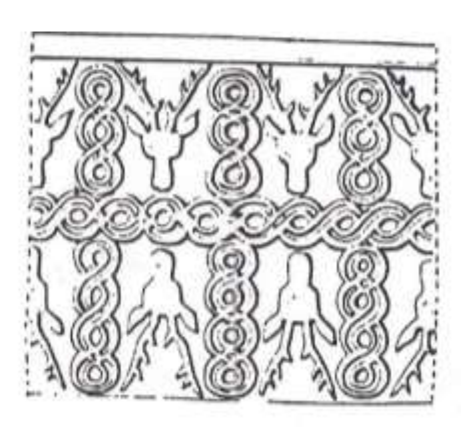
شكل (2–أ)

المصدر : ثروة عكاشة ، الفن العراقي القديم ص411



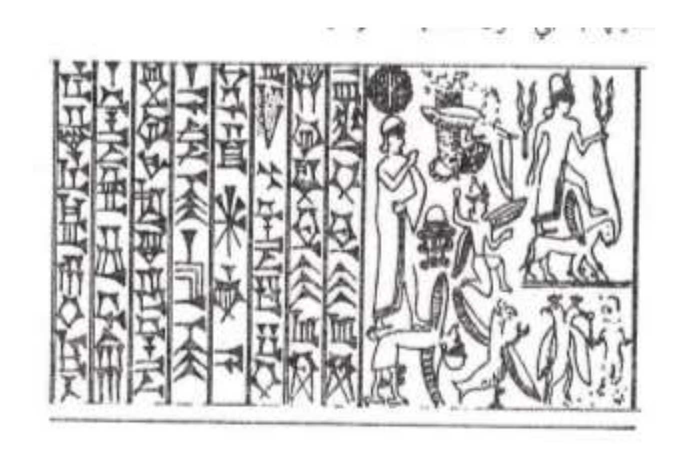
شكل (2 –ب)

المصدر : أنطون مورتكات ، تاريخ الفن في العراق القديم ، ص333 .



شكل (2–ت)

المصدر : أنطون مورتكات ، تاريخ الفن في العراق القديم ،ص 324.



شكل (3)

المصدرGernot Wilhelm, Grundzuge der. P.128. :



شكل (4)

المصدر : أسعد الخوري ، تاريخ حمص ، ص180 .



شكل (5)

المصدر : أنطون مورتكات تاريخ الفن في العراق القديم ،ص325 .



شكل (6)

المصدر : أنطون مورتكات ، تاريخ الفن في العراق القديم ، ص 330



الشكل (7)

المصدر : أنطون مورتكات ، تاريخ الفن في العراق القديم ، ص 329



شكل (8)

المصدر : أنطون مورتكات ، تاريخ الفن في العراق القديم ، ص 326

أولاً : الكتب المقدسة

1. التوراة .

ثانياً : الكتب العربية والمترجمة

- ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم (مصر، 1958).
- أبو عساف، علي، أثار الممالك القديمة في سورية (دمشق، 1988).
- الأحمد ، سامي سعيد والهاشمي ، رضا جواد ، تاريخ الشرق الادنى القديم (ايران والأناضول) (بغداد، د.ت).
- الأحمد ، سامي سعيد، "العصر البابلي القديم"، بحث ضمن كتاب العراق في التاريخ، تأليف مجموعة من الباحثين العراقيين (بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، 1983).
- الأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم (بغداد، 1979).
- أرمان ، أدولف ورانكه، هرمان، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال (القاهرة: 1961).
- إسماعيل، احمد علي، تاريخ بلاد الشام القديم، ط1 (دمشق، 1988).
- أغا، عبد الله أمين و العراقي، ميسر سعيد ، نمرود (كالح) (بغداد، 1976).
- الأمين، محمود، الكشيون (بغداد: مطبعة العاني، 1963).
- اوتس، جون، بابل تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1990).
- ايمار، اندريه وابوايه، جانين ، تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديم)، ترجمة فريد م واغرو فؤاد (بيروت، 1964).
- باقر، طه وآخرون، تاريخ العراق القديم (بغداد، 1980) ،ج2.
- ـــ، تاريخ ايران القديم (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1980).
- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986) ، ج1 + ج2 .
- برستد ، جيمس هنري تاريخ مصر من اقدم العصور الى الفتح الفارسي ، ترجمة الدكتور حسن كمال ، ط2 (القاهرة ، 1996).
- بوترو، جبن، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان (الموصل: مديرية الكتب للطباعة والنشر، 1985).
- بوتشلاتي، جيورجيو، "موزان اوركيش"، وثائق الآثار السورية، ترجمة ميشيل المقدسي وآخرون، ع 1 (دمشق، 1996).

- جاردنر، سيرالن، مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم (القاهرة، 1973).
- جرني، أ.ر.، الحثيون، ترجمة محمد عبد القادر (بيروت، 1963).
- حتي ، فيليب ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق (بيروت، 1982)، ج1 .
- حجل، بدري، سوريا وتاريخها الحضاري (دمشق، 2004).
- حسن، سليم، مصر القديمة (القاهرة، 1948) ، ج4 + ج5.
- الحلو، عبد الله، سوريا القديمة، ط1 (دمشق، 2004).
- الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، م4 (بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، 1995) .
- الخطيب، محمد، مصر أيام الفراعنة، ط 6 (دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع، 2007).
- الخوري، عيسى أسعد، تاريخ حمص من أقدم أدوارها إلى الآن (حمص، 1939).
- داود أحمد ، تاريخ سوريا القديم، ط 1 (دمشق، 1986).
- داود، اسكندر، الجزيرة السورية بين الماضي والحاضر (دمشق، 1959).
- دالي، ستيفاني، ماري وكرانا مدينتان بابليتان قديمتان، ترجمة كاظم سعد الدين، ط 1 (بغداد: بيت الحكمة، 2008).
- الدباغ، تقي، الفكر الديني القديم (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، 1992).
- دياكوف، ف وكوفاليف، س.، الحضارات القديمة، ترجمة نسيم واكيم اليازجي، ط2 (دمشق: دار علاء الدين للنشر، 2006).
- ديوارنت، ول، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، م 1 (القاهرة، 1976).
- رزقانه، ابراهيم أحمد وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم (القاهرة، د.ت).
- رو ، جورج ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين (بغداد : دار الحرية للطباعة والنشر ، 1984) .
- رشيد ، فوزي ، حمورابي مجدد وحدة البلاد ، الموسوعة الذهبية ، العدد 5 ، ط1 (بغداد :1991) .
- ـــ، "المعتقدات الدينية"، بحث ضمن كتاب حضارة العراق، تأليف مجموعة من الباحثين العراقيين (بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، 1985).
- ـــ ، الشرائع العراقية القديمة (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1987).
- ـــ ، نرام–سين، سلسلة الموسوعة الذهبية الثانية (بغداد: شركة المنصور للطباعة، 1990) ج1.
- رشيد، صبحي انور، تاريخ الفن في العراق القديم (بيروت، 1969).
- زايد، عبد الحميد، الشرق الخالد (القاهرة، 1966).
- زودن، فولفرام فون، مدخل إلى حضارات الشرق الأدنى القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، ط1 (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2003).

- ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان (الموصل، 1979)،
- ــ، قوة آشور، ترجمة عامر سليمان (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، 1999).
- سعادة، جبرائيل، رأس شمرة (آثار أوغاريت) (دمشق، 1954).
- سعادة، صفية، أوغاريت، ط1(بيروت، 1982).
- سعيد، مؤيد، "الفخار من عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي القديم"، ضمن كتاب حضارة العراق، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين (بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، 1985) ج3.
- سليم، أحمد أمين ، تاريخ الشرق الأدنى القديم (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1990).
- سليمان، عامر، "العصر الآشوري"، ضمن كتاب العراق في التاريخ، تأليف مجموعة من الباحثين العراقيين (بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، 1983).
- ــ، العراق في التاريخ القديم (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، 1992).
- ــ ، "الجيش والسلاح في العصر الآشوري " ، كتاب الجيش والسلاح ، تاليف مجموعة من الباحثين العراقيين (بغداد : دار الحرية للطباعة والنشر ، 1987) ، ج1 .
- السواح، فراس، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ط 4(دمشق، 2000).
- شاهين، علاء الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة (القاهرة، 2006).
- الشهابي، قتيبة، هنا بدأت الحضارة، ط1 (دمشق، 1988).
- صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ط 4 (القاهرة، 1990).
- الصالحي ، صلاح رشيد ، المملكة الحثية، ط 1 (بغداد، 2007).
- الصفدي، هشام، تاريخ سوريا القديم (دمشق: 1982).
- صواف، صبحي، أقدم ما عرف عن تاريخ حلب منذ الألف الثالثة حتى العهد السلوقي (دمشق، 1952).
- طوير، قاسم، ارتحال المدن ومواطن الاستقرار في حوض الفرات عبر العصور (دمشق، 1989).
- عبو، عادل نجم ومحمد، عبد المنعم رشاد ، اليونان والرومان دراسة في التاريخ والحضارة (الموصل، 1993).
- عثمان، عبد العزيز، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (دمشق، ب.ت).
- عصفور، محمد أبو المحاسن، تاريخ الشرق الأدنى القديم (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1984).
- عكاشة، ثروت، الفن العراقي القديم: سومر، بابل، آشور (بيروت، د.ت).

- علي، فاضل عبد الواحد، "العرافة والسحر"، ضمن كتاب حضارة العراق، تأليف مجموعة من الباحثين العراقيين (بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، 1985) ج1.
- علي، فاضل عبد الواحد، سومر أسطورة وملحمة، ط2 (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2000).
- ـــ ، من ألواح سومر إلى التوراة (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1989).
- فرحات، أديب، سوريا ولبنان (بيروت، 1923).
- فرزات، محمد حرب و مرعي ، عيد ، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، ط2 (دمشق، 1994).
- فرزات، محمد حرب، تاريخ سوريا القديم (دمشق، 1982).
- فيلهلم ،جيرنوت ، "النفوذ الحوري في حضارة سوريا خلال عصر البرونز"، بحث ضمن سلسلة وثائق الآثار السورية، ترجمة ميشيل المقدسي وآخرون (دمشق، 1996).
- قابلو، جباغ، تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، ط3 (دمشق، 2003).
- الكاتب ، سيف الدين ، اطلس التاريخ القديم (حلب ، دار الشرق العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، 2005)
- كلينغل، هورست، تاريخ سوريا السياسي 3000-300 ق.م، ترجمة سيف الدين دياب، ط1 (دمشق: دار المتنبي للطباعة والنشر، 1998).
- كريمر ، صموئيل نوح ، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة فيصل الوائلي (الكويت: دار غريب للطباعة، 1973).
- كييرا، ادوار، كتبوا على الطين، ترجمة محمود حسين الأمين (بغداد، 1962).
- مارغون ، جان كلود ، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسوريا الشمالية، ترجمة سالم سليمان عيسى، ط 2 (دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع، 2006).
- مجموعة من الباحثين الأوربيين والعرب، "الالاخ"، ضمن كتاب الآثار السورية، ترجمة نايف بللوز (فينا، 1982).
- مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539،ط1 (دمشق ،1991).
- مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم (الاسكندرية، 1988) ، ج3 .
- مورتكات، انطون ، الفن في العراق القديم، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي (بغداد، 1975).
- ـــ ، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان وآخرون (دمشق، 1967).
- موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة يعقوب بكر (القاهرة ، 1957)

- الهاشمي، تغريد جعفر و عكلا ، حسن حسين، الإنسان تجليات الأزمنة، تاريخ وحضارة بلاد الرافدين (الجزيرة السورية)، ط 1 (دمشق: دار الطليعة الجديدة، 2001).
- هبو، أحمد رحيم، تاريخ الشرق القديم (صنعاء: دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر، 1996).
- يانكوفسكا ،" المجتمع العائلي الموسع والحكم الذاتي في اربخا " ،كتاب العراق القديم دراسة تحليلية لاحواله الاقتصادية والاجتماعية ، تأليف مجموعة من علماء الآثار السوفيت ، ترجمة سليم طه التكريتي ، ط2 (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، 1986) .
- يويوت ، جان، مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران (القاهرة، 1966).

ثالثاً: المجلات

- ابراهيم، أحمد بهجت، "أبحاث عن تاريخ كركوك"، مجلة أوراق تركمانية، ع 3 (بغداد: مركز بابا كوركر للدراسات والبحوث، 2006).
- الأبي، جوزيت، "تلك الكزل"، ترجمة عدنان البني، مجلة الحوليات الآثارية السورية، م 36 (1986–1987).
- الأحمد، سامي سعيد، "المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى"، مجلة سومر، 1987.
- الأحمد، سامي سعيد، "فترة العصر الكاشي"، مجلة سومر، م 39 ، ج 1–2، (1983).
- إسماعيل، بهيجة خليل، "نبذة عن الكتابات المكتشفة في نوزي"، مجلة سومر، م 34، ج 1–2 (1987).
- الآلوسي، سالم، "خزائن وثائق يورغان تبة المعروف آثارياً بأرشيف نوزي"، مجلة دراسات تاريخية، ع 1 (بغداد، 1996).
- باولوبيكوريلا، "التنقيبات الإيطالية في تل بري (كحت)"، ترجمة قاسم طوير، مجلة الحوليات الآثارية السورية، ع 34 (دمشق، 1984).
- الخولي، محمد، "اكتشاف مدينة ازو الميتانية"، مجلة البحث التاريخي، ع 3 (حمص، 1984).
- ديونت، سومير، "الآراميون"، ترجمة البيرابونا، سومر، م 19 (1963).
- زودن ، فولفرام فون ، "لغة آشور في الإمبراطورية الميتانية (حوالي 1450–1350ق.م)"، مجلة سومر ، مج42 ،ج1–2 (1986) .
- سالفيني، ماريو، "قضية الحوريين بعلاقتهم مع مدينة كحت (تل بري)، ترجمة بشير زهدي، مجلة الحوليات الآثارية السورية، ع 34 (دمشق، 1984).
- سبايزر، ي. أ.، "العراق القديم نور لن ينطفئ"، بحث نشرته مديرية الفنون والثقافة الشعبية (بغداد، د.ت).

- عبد الله، فيصل "الأرض والإنسان في الالاخ في القرنين الثامن عشر والخامس عشر ق.م"، مجلة دراسات تاريخية، ع 35 – 36 (دمشق، 1990).
- علي، فاضل عبد الواحد، "الأكديون دورهم في المنطقة"، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع 24، (1979).
- علي، فاضل عبد الواحد، "الخط المسماري واللغة الأكدية"، مجلة مابين النهرين، ع 36 (الموصل، 1981).
- فان لير، و.ج.، "اوركيش المركز الديني الحوري"، ترجمة عدنان البني، مجلة الحوليات الآثارية العربية السورية، مجلد 7، ع 1–2 (دمشق، 1957).
- فرحان، وليد محمد صالح، "الصراع الدولي في الشرق الأدنى بين القرنين الخامس عشر والثالث ق.م"، مجلة آداب الرافدين، العدد 11، (الموصل، 1979).
- قابلو، جباغ سيف الدين، "العلاقات الأسرية بين البلاطين الحوري–الميتاني والمصري"، مجلة دراسات تاريخية، ع 79–80 (دمشق، 2002).
- مارغرون، جان كلود، "ايمار"، ترجمة لوريس شهلا، مجلة الحوليات الآثارية العربية السورية، م33، ج 2 (دمشق، 1983).
- محمود، ياسين، "تل الفخار"، مجلة سومر، م 26، ج 1–2 (1970).
- مرعي، عيد، "ادريمي ملك الالاخ"، مجلة دراسات تاريخية، العدد 29–30 (دمشق، 1988).
- مرعي، عيد، "مملكة الالاخ"، مجلة دراسات تاريخية، ع 71 – 72 (دمشق، 2000).
- ميناس ، روفائيل، "ارابخا ونوزي في التاريخ"، مجلة ما بين النهرين، ع 36 (الموصل، 1981).
- هاس، فولكت، "ملاحظات حول عشتار شاوشكا الحورية في نينوى في الألف الثاني ق.م"، سومر، م 35، ج1–2 (1979).

رابعاً: الرسائل والأطاريح الجامعية

- جاسم ، إسراء عباس ، مملكة أيبلا وعلاقتها ببلاد وادي الرافدين ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد : كلية الآداب ،2003) .
- جرك، اوسام بحرك، تأثير فنون بلاد الرافدين على الفنون الحثية، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد: كلية الآداب، 2004).
- السعدون، عبد الغني غالي فارس، التنافس الحثي–المصري على بلاد الشام إبان العهد الإمبراطوري المصري (1570–1080 ق.م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد: كلية الآداب، 2005).

- فرحان، وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد: كلية الآداب، 1976).
- محمد أحمد ، كوزاد، توكلتي ننورتا منجزاته في ضوء الكتابات المسمارية المنشورة وغير المنشورة، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد: كلية الآداب، 1993).
- المحمدي ، زياد عويد سويدان ، التطورات السياسية في بلاد الرافدين (العهد الآشوري الوسيط (1365–911 ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد : كلية الآداب ، 2003) .
- نور الله، معزز محمد علي، حضارة أوغاريت، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة دمشق، كلية الآداب، 2005).

خامساً :المصادر الأجنبية:

أ. الكتب :

- Alexander, R., “The Storm God at Yazilikaya (Sources and Influences)”, In Aspects of Art and Iconography Anatolia and its Neighbors (Ankara, 1993).
- Astour, Michael C., “Semites and Hurrians in Northern Transtigris”, in S.C.C.N.H, Vol. 2 (USA, 1987).
- Balkan, K., “Peoples and Languages of Anatolia”, in Hittite Art and the Antiquities of Anatolia (London, 1964).
- Barnett,R.D., “The Sea People”, in CAH, Vol. II, Part 2 (1975).
- Bienknowski, Pioter and Millard Alan, Dictionary of Ancient Near East (Philadelphia, 2000).
- Black, J. and Green. A., Gods Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia (London, 1998).
- Bottero, J., “Syria and Palestine 2160 -1780 B.C”, in CAH, Vol. 1, Part. 2 (1971).
- Brinkman, J.A., “Hurrians in Babylonia in the Late Second Millennium BC”, in S.C.C.N.H, Vol. (USA, 1981).
- Buccellati, Giorgo, “Urkesh as Tell Mozan, Profiles of the Ancient City”, in U.H.S.H.L.C, Vol. 26, Part. 3 (Malibu, 1998).
- A.Fadhil, studien zur topographie und prosopographie der provinz Stadte des Konigreichs Arraphe (Berlin,1983).
- Frankfort, H., Stratified Cylinder Seal from the Diylaveglon (Chicago, 1955).
- Gadd, G. J., “Assyrian and Babylon 1370-1300 B.C”., in CAH, Vol. 11, Ch. XVIII, 1965.
- Gelb, I. J., Hurrians and Subarians (Chicago, 1944).
- Gianto, A., “Amarna Akkadian As Contact Language”, in Languages and Cultures in Contact (Leuven, 1999).

- Goetze, A., “Mitannians and Hittites –Tushratta and shuppiluliumash“ in C. A. H. , vol.11 , part .2 (1975) .
- Goodnick, J., “Emar the City and its God”, in Languages and Cultures in Contact (Leuven, 1999).
- Grayson, A. k., Assyrian Royal Inscription (Wiesbaden, 1972).
- Gurney, O. R., “The Old Hittite Kingdom”, in CAH, Vol. I, Part. 2, (1973).
- Guterbock, H. G., Kumarbi: Mythen Vom Churritischen Kronos (Zurich and New York, 1946).
- Hallo, W., and Simpson, W., The Ancient Near East (USA, 1998).
- Harrak, Amir, Assyria and Hanigalbat (Zurich, 1987).
- Hins, W., The Lost Word of Elam (London, 1974).
- Hoffner, Harry A., “Hurrian Civilization from a Hittite Perspective”, in U.H.S.H.L.C. (Malibo, 1998).
- Ivanov, Vyacheslav Vs., “Horse Symbols and the Name of the Horse in Hurrian”, in U.H.S.H.L.C.Vol.26, Part.3 (Malibo, 1998).
- James, E. O., The Ancient Gods (New York, 1960).
- Kuhne, C., “Imperial Mittani: an Attempt at Historical Reconstruction”, in S.C.C.N.H., Vol. 10 (USA, 1999).
- Kuhne, H., “Short Account of the Thirteen Excavation at Tell Sheikh Hamad”, in Chronique Archeologique in Syria, Vol. I (Syria, 1992).
- Kuhrt, Amli, The Ancient Near East, 3000-300 B.C, Vol .1 (London, 1998).
- Kupper, J. R., “The Hurrians 1800 B.C”, in CAH, Vol. II, Part. 1 (Cambridge, 1973).
- Klengel .H, Syria 3000 to 300 B.C (Berlin, 1992).
- Laessqe, Jorgen, People of Ancient Assyria (London, 1963).
- Laroche,E., les Noms des Hittites (Paris, 1966).
- Leick, G., A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology (London, 1991).
- Leik, G., Who’s Who in the Ancient Near East (London, 1999).
- Looyd, S., Early Anatolia (London, 1956).
- Luckenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. 1 (Chicago, 1926).
- MaQueen. J. G., The Hittiets and their Contemporaries in Asia Minor (London, 1975).
- March, Michael, Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near East (London, 2003).
- Margret, L., “Syria 1550-1400 B.C,” in CAH, Vol. I, Part. 2 (1973).
- Mercer, S. A., The Tell El-Amarna Tablets (Toronto, 1939).
- Miroop, Marc van De, A History of the Ancient Near East 3000-323 B.C, (USA, 2004).

- Muller, H. J. C., Freedom in Ancient World (London, 1962).
- Rankin, J. M., "Shalmneser I and the Conquest of Khanigalbat", in CAH, Vol. II, Part .2 (1975).
- Roos, Johon, Hittische Geloften, Een Teksteditie van Hettitische Geloften met Inleiding (Amsterdam, 1984).
- Salvini, Mirjo, "The Earliest Evidences of Hurrians Before the Formation of the Reign of Mittanni" INU. H. S. H. L. C. Vol, 26. Part. 3 (Malibo, 1998).
- Smith, George, History of Babylon (London , No D).
- Sidny smith , History of Assyria to 1000 B.C(London,1928).
- Stenkleller, Pioter, "The Historical of Background of Urkesh and the Hurrian Beginnings in Northern Mesopotamia" in U.H.S.H.L.C.Vol.26 , Part .3 (Malibo, 1998).
- Teissier, B. Sealing and Seals on Texts from Kultepe, Karuml Leve. 2 (Istanbul, 1994).
- Warburton, David, Love and War in the Late Bronze Age: Egypt and Hatti, (London, 2003).
- Wasilewska, E,. "In Search of Parallels: The Second Millennium vock Sanctuaries of Yazilikaya (Anotolia) and Tamgoly (Kazakhstan)", in Languages and Cultures in Contanct (Leuven, 1999).
- Watson, W., and Wyatt, N., Hand Book of Ugaritic Studies (Leiden, 1999).
- Wilhelm, Gernot, "Die Inschrift des Tis – atal Von Urkis", in U.H.S.H.C, Vol. 26, Part. 2 (Malibu, 1998).
- Wilhelm, Gernot, Grundzuge der Geschichte und Kulture der Hurriter (Darmstadt, 1982).

ب. المجلات

- Astour, Michael C., "Hattusilis Halab and Hanigalbat", in JNes, Vol. 31, Part. 2 (1972).
- Beal, R.H., "The History of Kizzuwatna and the Date of the Šunašura Treaty", in OR, Vol. 55 (1986).
- Diakonoff, I. M., "Nachmals Mattiwazza-Kurtiwazza- Šattiwazza", in AOF, Vol. I (1974).
- Easton, D. F., "Hittite Land Donation and Tabarn Seals", in JCS, Vol. 33 (1981).
- Finkelstein, J.J., "Mesopotamia", in JNES, Vol. 21 (1962).
- Goetze, A., "On the Chronology of the Second Millennium B.C" in JCS, Vol. II (1957).
- Goetze, A., "The Predecessors of Suppiluliumas of Hatti and the Chronology of the Ancient Near East", in JCS, Vol. 22 (1968).
- Goetze, A., "Warfare in Asia Minor" in Iraq, Vol. XXV, part 2, (1963).

- Guterbock, H. G., “The Hurrian Element in the Hittite Empire”, in J.W.H., Part . 2 (1954).
- Guterbock, H. G., “The Song of Ullikummi, Revised Text of the Hittite Version of a Hurrian Myth”, in JCS, Vol. 5 (1951-1952).
- Guterbook, H. C., “The Deeds of Shuppiluliuma as Told by his Son Mursilis II”, In JCS, Vol. X,Part. 3 (1956).
- Hallo, W., “Simurrum and the Hurrian Frontier”, in RHA, Vol. XXXVI (1978).
- Klengel, H., “Zum Brief Eines Konigs Von Hanigalbat”, in OR, Vol. 32 (1963).
- Klengel, H., “Der Wettergott von Halab”, in JCS, Vol. 19 (1965).
- Klengel, H., “Mittanni”, in RHA, Vol. 36 (1978).
- Kovoses, V., “The Warfare of the Hittites from the Legal Point of View”, in Iraq, Vol. XXV, Part. 2 (1963).
- Laroche, E., “Tessub, Hebat et Leur Cour”, in JCS, Vol. 2 (1998).
- Mallowan, M. E., “The Excavations at Tall Chagar – Bazar and an Archaeological Survey of the Khabur Region”, in Iraq, Vol. III, Part. 1 (1936).
- Maxwell, K. R., “Assyrian Sources of Iron”, In Iraq, Vol. 36. Part. 1-2 (1974).
- McMahon, G., “The History of Hittites”, in BA, Vol. 52,part. 2-3 (1989).
- Nougayrol, J., “Guerre et Paix Augarit”, in Iraq. Vol. XXV. Part. 2 (1963), P. 112.
- Otten, H., “Ein al Thethitischen Vertrag Mit Kizzwatna”, in JCS, Vol. 5 (1951).
- Rowton, M. B., “The Background of the Treaty Between Ramsses II and Hattusili III , in JCS , Vol. 13 (1959) .
- Singer, I., “The Battle of Nihrira and the End of the Hittite Empire”, in ZA, Vol. 75 (1985).
- Speiser ,E. , “Hurrian and Subarian”, in JAOS, Vol. 68 (1948).
- Tadmor, H., “Historical Implication of the Correct Reading of Akkdion Daku”, in JNES, Vol. 17 (1958).
- Weidner, E, “Die Inschriften Tukulti-Ninurta I, und Seiner Nachfolger”, in AFO, Vol. 12 (1959).
- Weidner, E., “Die Kampfe Adadniraris Igegen Hanigalbat”, in AFO, Vol. 5 (1928-1929).
- Weidner, E., “Hanigalbat”, in RA, Vol. 4 (1972-1975).
- Weidner, E., “wasasatta konig von Hanigalbat” in AFO, Vol.6 (1930-1931) .
- Wilhelm, “Mittani, Mitanni, Maitani”, in RLA, Vol. 8, Part. 3-4 (1999).

- Wilhelm, G., and Eiden, J., “A Hurrian Letter from Tell Barak”, in Iraq, Vol. 53 (1991).
- Wiseman, D., “Supplementary Copies of Alalakh Tablets”, in JCS, Vol. 8 (1954).

ABSTRACT

Mittani State is one of the major powers, which had played a leading politician role in the Ancient Near East during the fifteenth and the fourteenth century BC, was a serious contender for both the Egyptian the Hittite and Assyrian to control the Levant. The history of this country was part of a larger history, which is the history of a people knew with people of Houri. Hourian began their history when they traveled from their native homeland to Mesopotamia and Syria in the late third millennium BC. Despite the fact that a large part of the history of Hurien was a separate mini-states, but with the beginning of the fifteenth century BC all of these mini-states united under the leadership of non-Hurrian group of people, but Hondo-Arian in one Kingdom, was known as Kingdom of Mitanni, which its center was the northern Syria.

Mitani entered competition phase and military conflict with the forces existing at the time, represented by Hittite, Egyptians and Assyrians for control of the Levant, and was able to establish a vast empire stretching from the Zagros Mountains as its east borders, to the Mediterranean Sea as its utmost west borders. However, that empire did not last long, as it broke down after less than two centuries (fifteenth and fourteenth centuries BC.) due to blows received at the hands of the Hittites, Egyptians and Assyrians. Mittani State then dispersed into small numerous Hurrian mini-states, and its influence has shrunk so much that became known as the Kingdom Khanijelbat, relative to the geographical area, which was the headquarters of the State of Mitanni in high Syria.

At this stage Khanijelbat try to restore power of Mitani, but it could not, have quickly cordoned by the Assyrian force which was finally able to swallow Khanijelbat after nearly two centuries of its existence (the thirteenth century BC). By the end

of Khanijelbat, any role for the Mittani state ends in the Ancient Near East at all.

The prosperous civilization of the Mitanni State had characterized by its originality and ability to influence in various fields to the extent that it moved to different parts of the ancient world, and its influence continued even after the demise of Mittanj.

There is no doubt that the above gives an impression of how the political and cultural role Mtiyanj practiced in the Ancient Near East. From this point the thesis topic was chosen, and I have gotten a genuine desire to reveal pages of this state history and its Hourian people in terms of its origins, immigration, daily life and what did create of civilization.

Thesis included five chapters and preface as well as introduction and conclusion. We reviewed in the preface the historical and geographic background of Hurien, Chapter I deals with the history of Hurrien migration, while we listed in Chapter II the political developments between 1650-1500 BC. and the formation of state of Mitanni. Chapter III addresses of the Imperial relations of Mittani with the countries of the Ancient Near East during the fifteenth century BC. The Fourth chapter discusses relations with the countries of the Ancient Near East during the fourteenth century BC. and the collapse of the Mitanni, Chapter V sheds lights of the Mittani civilization.

Through our study of the subject, we have reach a number of conclusions, the most important of them are:

The history of Mittani state is part of the history of the Horri people, this people formed the vast majority of the population of Mitanni, and the Hondo-Arian category that led State of Mittani, the proportion within the population of this state is very low. This category mixed with Hurrian after a long period of the later settler.

The Mittani State had been known during its history with three synonymous names are Mittani, Houry, and Khanijelbat.

Hurrian are from the tribes that rushed down from their origin place of between Van Lake east of Turkey and Urmia

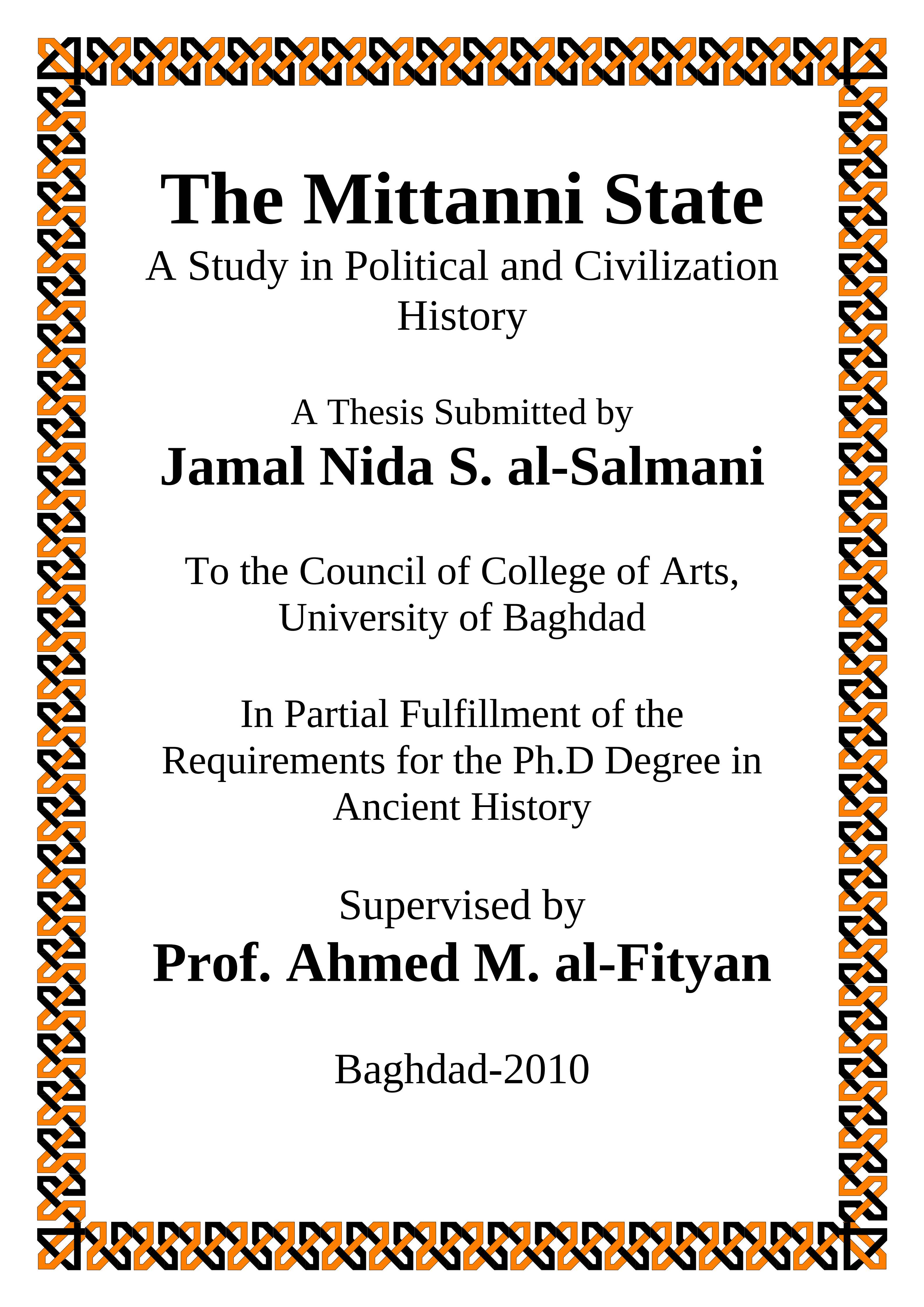
Lake, which lies in the region of Azerbaijan to the north-west of Iran, in the form of sporadic peaceful migrations and settled in the northern regions of both Mesopotamia and Syria. Those waves started in the late third millennium BC. The ethnic origins of these people are unknown, their spoken language did not similar any language known only by a simple convergence between them and the language spoken by Aorarti people who inhabit the mountainous areas around Lake Van.

Hurien has spread by their migration on a wide area, including northern Mesopotamia and northern Syria, noting that other groups of Hurien, although a few, had settled south-east of Anatolia, southern Syria, and Palestine.

The Mittani state after a period of its formation having to stand the Hittites and the Egyptians seeking to control the Levant region, especially northern parts

This state had managed to turn into a vast empire spread its influence from Zagros Mountains as farthest east borders, to the Mediterranean as its west. Nevertheless, it could not managed to stay for long period, due to effort that was exhausted, that she exerted in its conflict with the Hittites, Egyptians, and Assyrians. Mittani collapsed in the second half of the fourteenth century BC. and no longer had an influential role in the Ancient Near East.

Despite the Hurien continued to exist after the collapse of their state, but that by the end of the thirteenth century BC. Hurien had been disappeared from the Ancient Near East and ended every little thing remind with Mittani.



The Mittanni State

A Study in Political and Civilization History

A Thesis Submitted by

Jamal Nida S. al-Salmani

To the Council of College of Arts, University of Baghdad

In Partial Fulfillment of the Requirements for the Ph.D Degree in Ancient History

Supervised by

Prof. Ahmed M. al-Fityan

Baghdad-2010